كتاب البلاغ

ثورة يوليو وقضايا حائرة !



لطفى عبد القادر

كتاب البلاغ

يصدر شهريا عن :
دار البلاغ للطبع والنشر

رئيس التحرير
عبد المجيد الشوارف

الإدارة :
٢٥٥ شارع رمسيس ـ القاهرة ت: ٨٣٥١٣٤٠

كتاب البلاغ

١

ثورة يوليو وقضايا حائرة

لطفي عبد القادر

هذا الكتاب

الثورة المصرية فى يوليو عام ١٩٥٢ كانت ومازالت وستظل لسنوات عديدة قادمة موضع بحث ومناقشة وتحليل واهتمام الكثيرين من الكتاب والصحفين والمفكرين والعسكريين والسياسيين فى محاولة للكشف عن مكنون أسرارها وأحداثها .. وستظل معها شخصيات ومواقف وهويات الضباط الذين خططوا لتنفيذها وكل القيادات والذين شاركوا فى صنعها وجماهير الشعب التى أيدتها فى دائرة الإستكشاف للبحث عن الأهداف التى أحاطت بتصرفاتهم ودفعتهم إلى هذا العمل .

ورغم كل ما تناولته الصحف والكتب والأقلام من تسجيل ومتابعة وعرض للوثائق والمذكرات حول تلك الثورة منذ بدايتها للكشف عن أسرارها ومغزاها واتجاهاتها .. فلا يزال الكثير من محتوياتها ومعانيه لغزا محيرا .. ولايزال العديد من قضاياها حائرا فى أفكار العامة والخاصة .

ومؤلف هذا الكتاب الأستاذ لطفى عبد القادر يعرض للرأى العام فى مصر وعالمها العربى ولكل المتابعين فى أنحاء العالم ومن خلال معايشته للظروف السياسية والإجتماعية فى مصر قبل قيام ثورة يوليو وأثناءها ومروراً بأحداثها عبر مراحلها المتلاحقة وحتى قيام الوحدة مع سوريا فصولا لم يتطرق لها كاتب آخرى نتيجة لمتابعته الطبيعية لتلك الأحداث التى شاهدها عن قرب ... وأمعن النظر فى مجراياتها ... وتعرف على ما كانت تستهدفه تطورات تلك الثورة بحكم ممارسته لعمله الإذاعى والإعلامى والصحفى على مدى قرابة ٤٠ عاما متواصلة فى مواقع الأحداث ... وسجل بواقعية وصدق شديدين ملامح تلك المراحل وملابساتها دون تهويل أو تهوين بما يضع القارئ أمام الصورة الحقيقية التى يتميز بها هذا التسجيل المنفرد لجانب حيوى وهام من تاريخ الثورة .

ولقد أجاب الأستاذ لطفى عبد القادر فى هذه الذكريات بكل الصراحة عن كثير من الأسئلة الغامضة وأفصح لأول مرة عن عدد من الحقائق .. والقرارات الحاسمة والأحداث المصيرية والتحولات الكبرى بحيث تصبح منارا يهتى إليه الجميع للتعرف على كل الملابسات والخفايا فى تاريخ هذه الثورة .

عبد المجيد الشوادفى

المقدمة

هذا الكتاب محاولة متواضعة لإلقاء بعض الإضواء عل مواقف وقضايا فى ثورة يوليو مازال يكتنفها الغموض ويثور حولها جدل هام مستمر وخلاف فى الرأى لم يحسم بعد على الرغم من مرور ما يقرب من أربعين عاماً على هذه المواقف وتلك القضايا .. ونحن نقر ونعترف أن ثورة عملاقة كثورة يوليو غيرت وجه التاريخ ليس فى مصر فحسب وإنما فى سائر الدول النامية أو دول العالم الثالث وفى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لابد وأن يكون لها اسرارها ولابد أن يكون أيضا لها وثائقها التى تكشف وتوضح هذه الأسرار ، ولكن محاولات كشف هذه الأسرار لن تتوقف ما دام الوقت لم يحن بعد لإذاعة هذه الوثائق التى تقطع الشك باليقين ، وثورة يوليو - كغيرها من الثورات - لن يكتب تاريخها الحقيقى إلا بعد مئات السنين عندما تهدأ سخونة أحداثها وتزول كافة المؤثرات التى يمكن أن توجه هذا التاريخ إلى غير الطريق الصحيح .

والكتاب الذى بين يديك - عزيزى القارئ - لا يعد وإلا أن يكون سوى محاولة من هذه المحاولات فإذا وجدت فى معلوماته وتحليلاته ما يخالف ما جاء فى كم المذكرات الهائل التى أصدرها هؤلاء الذين كانوا مشاركين فى صنع القرار أو قريبين منه فى تلك الفترة الدسمة من تاريخ مصر الحديث أرجو أن تكون رحيما فى حكمك فتلك المعلومات ليست من بنات أفكارى وإنما سمعتها من صناع القرار بنفسى وحسبى أننى لم ألونها أو اذوقها لأضيف لنفسى بطولات لست أهلا لها ولا أطمع فيها ، وثق أنها أكثر صدقا من كل ما جاء فى هذه المذكرات ، وإذا وجدت فى معلومات الكتاب وتحليلاته مايتوافق مع ما جاء فى الكم الهائل من هذه المذكرات فثق فى صدقى وصدق هذه المذكرات ولننتظر أنا وأنت إلى أن تتضح الحقيقة وتنجلى المواقف ويتبين الأبيض والأسود فى تلك المواقف والقضايا حيث لم يعد هناك مجال للشك .

على أنه يمكن أن نجمل بعض هذه المواقف وتلك القضايا وليس كلها باختصار فى هذه المقدمة حتى يتهيأ ذهنك ويتقبل بصدر رحب - الحقائق التى قد لاتتوافق مع ما هو متعارف عليه أو ما هو عالق فى ذهنك شخصيا سواء كنت ممن عاصروا هذه الإحداث أو ممن قرأوا عنها وسمعوا الكثير منها بحيث أصبحت الصورة أمامهم مهزوزة مشوشة أو كنت ممن يقرؤها لأول مرة وإذا كنت من هؤلاء فأنت محظوظ لأنك ستقرأ الحقيقة مجردة من كل زيف أو تزويق أو تزويز أو تهويل ، ولقد كان أول هذه

المواقف وتلك القضايا الإجابة على السؤال الكبير "هل ثورة يوليو ثورة مصرية خالصة . . ١٠٠٪ أم أنها ثورة قامت لحساب الأمريكان الذين كانوا يتتبعون سقوط الإمبراطورية البريطانية على أساس أنهم الورثة الشرعيون لهذه الإمبراطورية ؟ نحن من المؤمنين تماما بأن ثورة يوليو ثورة مصرية خالصة . . ١٠٠٪ وأن ضباطها ثاروا على الأوضاع الفاسدة التى كانت قائمة وقتذاك دون أن يكون لهم أى سند أجنبى سواء أكان هذا السند أمريكيا أو انجليزيا أو غيرهما وأن حركتهم جاءت تعبيرا عن نبض الجماهير المصرية وأن هذا كان السبب الرئيسى فى أنها استطاعت تنفيذ ٩٩٪ من مخططها فى غفلة من أجهزة الأمن والبوليس السياسى ، ونحن من المؤمنين بما جاء فى كتاب محمد نجيب "قدر مصر" الذى كتبه باللغة الإنجليزية عام ١٩٥٤ واعدمته السلطات المصرية أنذاك من أن مهام الثورة كانت الإمساك بزمام السلطة وتعيين رئيس وزراء يتعاطف مع القائمين بالحركة والمهمة الثانية تهدئة مخاوف الإنجليز والأمريكيين والأجانب عموما الذين قد يشكون أن تكون الحركة شيوعية أو اخوان مسلمين والمهمة الثالثة هى التخلص من الملك ومن النظام كله بمجرد نجاح الثورة ، نحن نؤمن بهذا كله لأن ذلك هو الذى حدث بالفعل ولكن ينبغى ألا نهمل الرأى الذى يقول أن الثورة ما كان لها أن تنجح لولا تأييد الأمريكان لها وأنه لولا هذا التأييد لتحركت القوات البريطانية المرابطة فى منطقة القناة وقتذاك والتى لا تبعد عن القاهرة أكثر من مائة كيلو ودكت القاهرة دكا ، وأن عبد الناصر بعد مساعدة الغرب له أخل بتعهداته وأن هذا هو سر الحرب الاقتصادية والعسكرية الشرسة التى شنها الغرب ضده وسعى لخلعه وعقابه ولكن الحقيقة أن عبد الناصر انتصر عليهم وقيل أن الأمريكان خدعوا الإنجليز وأن الثورة خدعت الأمريكان والإنجليز معا .

أما ثانى هذه المواقف فكان حادث المنشية والتساؤل عما إذا كان هذا الحادث من صنع عبد الناصر نفسه أم لا ، لقد أقسم محمد نجيب بشرفه العسكرى وشرفه كانسان أن مؤامرة اطلاق الرصاص على عبد الناصر فى الإسكندرية كانت مؤامرة وهمية من أولها إلى أخرها وأيد أقوال محمد نجيب حسن التهامى فى مذكراته وهو أحد ضباط الثورة الذى وصل إلى منصب نائب رئيس وزراء برئاسة الجمهورية عندما قرر أن خبيرا أمريكيا رسم ما تم فى المنشية بقصد تحويل حالة الإمتعاض التى كان يقابل بها عبد الناصر من الشعب إلى حالة استقبال الأبطال وقرر عبد اللطيف بغدادى فى مذكراته أيضا أن أحداث التخريب والحرائق فى السينمات والمسارح فى الخمسينات كانت من صنع عبد الناصر بقصد الإثارة واشعار الجماهير أنهم بحاجة لمن

يحميهم ، هل هذه الشهادات يمكن أن تقطع بأن حادث المنشية من تدبير عبد الناصر وأن القنابل التى وضعت فى السينمات والمسارح هى أيضا من تدبير عبد الناصر ونرتب على ذلك أيضا أن إضراب عمال هيئة النقل العام كان بوحى من عبد الناصر وهى قضية مازالت موضع شك إلى يومنا هذا ، لاشك أن هذا اتهام خطير لعبد الناصر لا يمكن أن تقبله إلا إذا كان موثقا بالوثائق غنيا بالأدلة والبراهين ، لهذا ستظل هذه الأخداث موضع بحث واستقصاء بحثا عن الحقيقة .

مثل هذه الفترة الدسمة من تاريخ مصر الحديث - عزيزى القارىء - الغنية بتياراتها التحتية والسطحية واسرارها الخطيرة لا يقوى على رصد أحداثها شخص واحد مهما أوتى من قدرة حتى ولو كان من الذين صنعوا أحداث هذه الفترة أو شاركوا فيها أو أؤتمن على كل الأسرار التى حفلت بها ، لذلك فأننى رأيت أن أسهم بهذا الجهد المتواضع عله يساعد على استجلاء هذه الحقبة الهامة من تاريخنا المعاصر ويساعد على كتابة التاريخ الدقيق لهذه الفترة الهامة حتى لا تطمس الحقائق وتضيع أجيالنا من الشباب فى متاهات لاوجود لها وهذا يشكل أمراً جللاً وخطيراً لا بد أن يسهم الجميع فى امكانية منع حدوثه .

لطفى عبد القادر

لماذا اعادت الثورة الرقابة على الصحف ؟

خرجت من مبنى قيادة الثورة بالجزيرة متوجها إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بالقبة وطوال الطريق لم تفارقنى صورة عبد الناصر ولا كلماته بل ظلت مرتسمة في مخيلتى وكلماته ظلت ترن فى أذنى وظل يرن فى أذنى منها ماسمعته من الإذاعات الأجنبية عنه وعن مستقبل مصر فى عهد الثورة وأجرى المقارنة بين ماسمعت وبين ماشهدت هل ستصدق نبوءة هذه الإذاعات التى كانت تصر على أن أيام الثورة معدودة أم يصدق ماشاهدته فى عبد الناصر من تصميم وقدرة مع مكر ودهاء مغلف بثقة لا تتزعزع ؟

كانت كلماته صارمة وهو يرد على تبريرى لإختيار الدكتور محمد صلاح الدين بطلا لبرنامجى ، عندما قال :«كثيرا ما تخرج الصحف عن الخط الصحيح اذهب إلى صلاح سالم فى القبة وهناك تتلقى التعليمات أية تعليمات هذه ؟ ... هل كان يعلمها ولم يشأ أن ينقلها لى وإنما تركها للمختص بشئون السودان ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فإن ذلك يعتبر بداية طيبة للثورة ، وإن أيامها لن تكون معدودة كما زعمت هذه الأذاعات الأجنبية وإنما أقدامها راسخة وعمرها طويل وأنها قادرة على تخطى الصعاب والعقبات والقضاء على الثورة المضادة التى أوجدتها هذه الإذاعات وأوجدها كل من حاكمتهم الثورة من رجال العهد الملكى ومن الساسة والسياسيين ورجال الأحزاب والرأسماليين والإقطاعيين .

ولم يخرجنى من هذه التأملات وهذه الخواطر سوى صوت أجشى يسألنى من أنا ..؟ ولماذ جئت إلى هنا ؟ .. أفضيت إليه بمهمتى ولكنه لم يقتنع وطلب منى تحقيق شخصيتى . وأمر عسكرى آخر باصطحابى إلى مكتب صلاح سالم . وبذلك اتيحت لى الفرصة أن أتجول فى فناء وردهات المبنى الذى تفجرت فيه ثورة يوليو وكان مسرحاً لأول معركة فيها بين من كانوا يقيمون فيه وبين الثائرين بقيادة يوسف صديق الذين يريدون احتلاله .

ولم أكن اتخيل أنه سيأتى اليوم الذى سأتردد فيه على هذا المبنى كمندوب للإذاعة . ولكن القدر فيه العجب ونحن فيه مسيرون لا مخيرون ..

أدخلنى مرافقى إلى صالح سالم مباشرة ولم يكد أن يؤدى له التحية العسكرية ويرانى ، حتى ابتدرنى قائلا بحدة شديدة جدا «أنت مرفوت» .. اشمعنى صلاح الدين اللى بيتكلم عن السودان فاعدت عليه ما قلته لعبد الناصر وأضفت أن اختيار الثورة له ليرأس بعثة المحامين للسودان دليلاً على نظافته وكفاءته ورد على صلاح

سالم كان اختيارا خاطئا ونزع البرنامج الإذاعى من يدى وأخذ يقرأ وبعد دقيقتين انفجر صائحا «هذا تخريب ...هذا كلام فارغ وأخذ يقلب الصفحات بعصبية ظاهرة ونظارته السميكة تتارجح كأنها ستسقط وكتب تعليماته على البرنامج .. لا يذاع هذا البرنامج لظروف جدت في اليومين الماضيين ويمنع صلاح الدين من التحدث فى الإذاعة بالمرة .. وعدت وأنا أحمد ربى أن التعليمات كانت خاصة بالدكتور صلاح الدين وليست خاصة بى ، واضطررت أن أذيع في برنامجى حلقة قديمة عن الدستور كنت قد سجلتها مع مؤرخنا عبد الرحمن الرافعى بدلا من الحلقة الخاصة بالسودان موضوع الساعة وأوقفت البرنامج حتى لا يجلب على متاعب أخرى وأنا مازلت طرى العود لا أقوى على مواجهة هذه المتاعب .. فى هذا الوقت لم أكن أعرف أسباب هذا الموقف من الدكتور صلاح الدين وفى الوقت نفسه كنت مقتنعا تماما أن هذا الموقف ليس بسبب حديثه عن السودان الذى كان فى حوزتى فكل ما جاء به كان متمشيا مع المهمة التي أوفد من أجلها فى السودان وان السودان حكومة وشعبا أشادت به ويقسدرته وتأثيره فى اللقاءات التى عقدها فى الخرطوم وفى كل المدن السودانية ولكننى عرفت فيما بعد أن سبب غضب الثورة عليه أنه خطب مع غيره فى نقابة المحامين يطالب بعودة الجيش إلى الثكنات وترك أمور السياسة للسياسيين وشاركه فى ذلك عدد من الصحفيين انتهزوا فرصة رفع الرقابة على الصحف لمدة أيام وطالبوا بعودة النحاس إلى الحكم ولما رأت الثورة هذا التحول أعادت الرقابة على الصحف أشد مما كانت ونكلت بكل من كتب وتحدث شر التنكيل وكان منهم صلاح الدين ..

تركت التدريس بسبب «أسرة محمد على»
احتفظت بتذاكر السفر .. لمواجهة الاتهام بحريق القاهرة

نحن فى يناير ١٩٥٢ ، الجو مفعم بسحابات داكنة تنبئ بهطول الأمطار تماما كما كان الجو السياسى سلطة الشعب غائبة ، والصراع محتدم بين الذين وضعوا أنفسهم على قمة السلطة من السراى والأحزاب، والاحتلال البريطانى قابع فى قصر الدوبارة يرقب الموقف بحذر واهتمام شديدين ، والمحللون السياسيون يقطعون بأن شيئا ما سيحدث ولكنهم لم يستطيعوا تحديده ، هل هو ثورة أم تغيير وزارة الوفد التى كانت تتولى زمام الحكم وقتذاك ، والموقف هكذا كنت أنا أسعى لتولى وظيفة فى الصحافة أو الاذاعة تبعدنى عن هم التدريس ومشاكله وقسوته ، وكانت ظروفى مهيأة لتحقيق رغبتى هذه ، فأخى الأكبر محمد زكى عبد القادر كان رئيساً لتحرير جريدة الأخبار وعضواً بارزا فى المجلس الأعلى للاذاعة ، ولكنه كان له رأى آخر ، فأنا لا أصلح للعمل فى الاذاعة لأن أخلاقى وهدوئى الشديد لا يتفقان مع المؤهلات المطلوب توافرها لمن يريد العمل فى هذا الميدان . وكان رأيه أن أعمل مدرساً وفى المساء أعمل فى مجلته مجلة الفصول ، ولكن الريح تأتى بما لا تشتهيه السفن ، فكنت قد تخرجت فى كلية الآداب منذ مايو ١٩٥١ ، ومنذ هذا التاريخ وأنا أحاول التعيين فى وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) ، وجاء تعيينى فى المنيا ولما اعترضت عدل الى مغاغة ، وكانت عائلتى يربطها بعائلة الشمسى علاقات جوار ومحبة ، فذهبت الى عبد الحليم الشمسى وكان نائباً عن دائرة القنايات دائرتى وهو شقيق لعلى الشمسى باشا ، وبينه وبين والدى رحمه الله علاقة معزة وود ، فذهبت اليه أنا وأخى الثانى فى منزله بمصر الجديدة ، وكنا متخوفين أن ينسى هذه العلاقة فقد توفى والدى عام ١٩٤٧ ، فلا يستقبلنا الاستقبال اللائق ، ولكنه خالف كل الظنون ، وصحبنا فى سيارته الفارهة الى وزارة المعارف ، والتقينا بطه حسين باشا وزير المعارف ، وعينت فى مدرسة بنباقادن الثانوية بدلاً من مغاغة ، وتوجهت الى عملى وبينما أنا أحاضر لطلبة الثقافة عن التاريخ الحديث ، وأحذر الطلبة من خطأ شائع فى كتب التاريخ حينئذ وهو أن ابراهيم باشا تولى الحكم بعد محمد على والحقيقة أن سعيد باشا هو الذى تولى الحكم بعد محمد على والخطأ وقع من أن محمد على وابراهيم باشا كانا يتناوبان حكم مصر بسبب ذهاب محمد على كل عام

الى الخارج للاستشفاء لفترة طويلة ، ولكن ابراهيم باشا توفى قبل محمد على فكيف يمكن أن يتولى بعده ، وأنا اذكر هذه الحقائق دخل على المفتش ، وأمام الطلبه خطأنى ، فثار الدم فى عروقى ومن غير شعور أمرته بمغادرة الفصل ، وخرج ليحضر معه ناظر المدرسة لا لينهيا الموقف ولكن ليعقداه اكثر ، فاضطررت لطردهما الأثنين، وكانت هذه هى الحصة اليتيمة التى تعاملت بها مع وزارة المعارف ، وتركت المدرسة متوجها الى منزلى فى الحلمية الجديدة ، وفى قرارة نفسى الأ أعود الى التدريس مرة اخرى مهما كانت الأسباب والظروف ، وأفضيت بما فى نفسى لأخى الذى صحبنى الى منزل عبد الحليم الشمسى ، وكنت مقيما معه ، فاستاء وتحير ولكن لم تطل حيرتنا ، فقد جاء من يدق الباب وكان رسولا لأخى الاكبر ليخبرنى بضرورة مقابلة حسنى نجيب مدير الاذاعة هذه الليلة .

توجهت الى دار الأذاعة فى الشريفين فى نفس الليلة ليلة ٢٠ يناير سنه ١٩٥٢، والتقيت بحسنى نجيب وسألنى عما اذا كنت قد اعددت طلبا للتعيين ، فأجبته بالايجاب وقدمت له الطلب ، وتفرس فيه برهة من الوقت ، ورفع قامته المديدة موجها الحديث الى قائلا يا أبنى انا مسافر الى الأسكندرية غدا ، والجو السياسى مضطرب، وأخاف الا أعينك اليوم فيتأخر تعيينك أو لا يتم على الأطلاق ، «وأمسك بقلم وكتب على الطلب" يعين أعتبارا من غد ٢٠ يناير سنه ١٩٥٢ على أن يستكمل أوراق تعيينه فيما بعد» ودق الجرس ودخل عليه سكرتيره وطلب «محمد المعلم» وأنا لا أعرف اذا كان طلب المعلم يتعلق بموضوعى أم لا ، واذا به يقول لى «أنا الذى أعزه أعينه فى ادارة العلاقات الخارجية» وحضر «المعلم» فاذا به هو مدير هذه الادارة ، وقدمنى له وصحبنى «المعلم» وتحدث عن مهمة العلاقات الخارجية وكانت ادارة تقوم فى هذا الوقت مقام ادارة العلاقات الدولية وتوقيع البروتوكلات الاذاعية وفوجئت بأن أعضاء هذه الادارة هم الرعيل الذى يتولى تسيير دفة الأمور فى الأذاعة والتليفزيون ، فمن بين أعضائها سامية صادق رئيس التليفزيون الآن وثريا عبد المجيد مدير عام برامج الأذاعة الآن واحمد سعيد الذى تولى فيما بعد مدير صوت العرب ويعمل الان محاميا وليلى عجرمة وسميرة الكيلانى وسعيد زايد وغيرهم ، ولم يمض على ثلاثة أيام حتى جاءنى نبأ وفاة عمى، وكان على أن اسافر الى بلدتى فرسيس للقيام بواجب العزاء أو قل لأتلقى العزاء ، وعدنا أنا وعمى سكرتير احدى النيابات الى القاهرة يوم ٢٦، ولم تكد اقدامنا تطأ أرض محطة مصر حتى علمنا بحريق القاهرة ، واذا بعمى يحرص رجال النيابات

يأمرنى بالأحتفاظ بتذاكر سفرنا لمواجهة احتمال ان نتهم باشتراكنا فى حريق القاهرة ، وكانت المواصلات متوقفة تماما ، فاضطررنا الى السير على الاقدام من محطة مصر الى الحلمية الجديدة حيث نقيم مخترقين شوارع محمد على وابراهيم باشا والعتبة وشهدنا آثار الحرائق التى اشتعلت واطفئت ، وكان الدمار تاما فى شارع فؤاد (٢٣يوليو حاليا) وميدان الأوبرا ، وفهمنا ان المحللين السياسيين كانوا على حق ، فها هى غضبة الشعب تتجلى فى حريق القاهرة احتجاجا على الطريقة التى تحكم بها مصر ، وهنا اتضحت صورة ماكان يتوقعه المحللون السياسيون ، ودخلت مصر فى عهد من الاضطراب وعدم الاستقرار الى ان اشتعلت ثورة يوليو ووضعت حدا للملهاة التى كانت قد وصلت الى الذروة ، وهدأ الموقف نسبيا وسارت دواليب العمل كعادتها ، وأنا اؤدى عملى فى الأذاعة مع هذه النخبة التى تحدثت عنها .

وبينما أنا سعيد بعملى هذا لأنه حقق امنية كنت اسعى لتحقيقها فاذا بمن ينادينى ويبلغنى بأن مدير الاذاعة يطلبنى ، فخفت من هذا الاستدعاء وتوقعت منه الشر ولكننى فى الوقت نفسه كنت اتوقع منه الخير.

كان «الانضمام للوفد» جريمة يعاقب مرتكبها بالفصل

أزعجني وأقلقني أشد القلق استدعاء حسنى نجيب مدير الاذاعة لى ولم يمض على تعييني سوى بضعة أيام ، فكان على قبل لقائه أن أقلب أموري على كافة الوجوه على أهتدى إلى السبب الخطير والهام الذى من أجله استدعانى على عجل ، هل الاستدعاء بسبب خطأ ارتكبته في العمل ؟ وقد استبعدت هذا الاحتمال تماما ، فلم يوكل لى أى عمل فى هذه الفترة البسيطة حتى اخطئ فيه .

وسرح خيالى« بعيدا عن دائرة العمل ، وظننت أن الاستدعاء ربما لتحذيرى بعدم الخوض فى السياسة وأنا بعد أستهل عملى الاذاعى ، فالآراء حينئذ متضاربه متصارعة ، ففى اليوم التالى لحريق القاهرة أى فى ٢٧ يناير سنه ١٩٥٢ استقالت أو أقيلت حكومة الوفد بزعامة مصطفى النحاس باتهام من السراى بأنها تهاونت فى معالجة الامور ، وأن هذا التهاون هو الذى أدى إلى كارثة حريق القاهرة .

وكان الوفديون يؤكدون أن السراى هى التى رتبت حريق القاهرة للتخلص من النحاس وكنت أنا فى هذا الخضم فى دائرة عملى التقى بالعديد من الاذاعيين وأدلى بدلوى فى كل ما يدور فى أروقة مبنى الشريفين العتيد ، فقلت فى نفسى ربما أن أكون قد «زودتها حبتين» ومدير الاذاعة يستدعينى ليقدم لى النصيحة حتى لا أتعرض للرفت أو العزل أو التشريد ، وحكومة نجيب الهلالى التى تولت أمور البلاد جاءت لتضع حدا للفوضى وأنا على هذا الحال التقيت بمدير الأذاعة ، وإذا به يواجهنى بأمر لم يكن فى الحسبان أو على البال ، فالأذاعة كانت قد انتقلت إداريا الى الحكومة وانتهت ولاية شركة ماركونى عليها و لكنها كمؤسسة رغم انتقالها الى الادارة الحكومية فى ٣١ مايو عام ١٩٣٤ فإنها بعد مرور ثمانية عشر عاما كاملة مازالت غير خاضعة للوائح الحكومية تماما ، ومازالت تأخذ من نظام شركة ماركونى أحسن ما فيه وتأخذ من لوائح الحكومة أحسن مافيها ، فلم يكن مدير الاذاعة ملزما بتحديد راتب معين لكل من ينضم إلى أسرة الاذاعة طبقا لمؤهلاته العلمية ومصوغات تعيينه ، وإنما الأمر متروك لمدير الأذاعة نفسه ، وقد استغلت الأحزاب هذه الجزئية وأوفدت إلى الاذاعة محاسيبها وتم تعيينهم بأرقام خيالية ، ولما كان تعيينى جاء فى عهد حكومة الوفد فقد حسبت على حزب الوفد ، وقرر مدير الاذاعة تعيينى بخمسين جنيها شهريا وكانت حجته فى هذا أن للشباب مصاريف كبيرة ، وعوملت كما عومل من سبقنى من الوفديين أمثال محمد المويلحى وهارون الحلو وسليمان النمكى والشافعى البنا وهم وفديون عينوا بمبالغ كبيرة .

وتعلمت أن مايزعجنا اليوم قد يسعدنا غدا

لم أكن أعلم هذه الحقائق عندما عرض على حسنى لحبيب تعينى بهذا المبلغ الكبير ، فكنت سعيدا سعادة لا حد لها ، لكنها فرحة لم تتم ، فكان استدعائى ليخبرنى أن أخى الأكبر محمد زكى عبد القادر رفض تعيينى بهذه الطريقة وطلب تعيينى طبقا للائحة الحكومة التى تنص على التعيين لخريج الجامعة مقابل خمسة عشر جنيها شهريا وغضبت غضبا شديدا وتوجهت الى أخى اعاتبه ، وكان عتابا شديدا من ناحيتى ، وسكت أخى الى أن أنتهيت من حديثى وغضبى ، وبمنتهى الهدوء قال لى عود نفسك فى حياتك ألا تأخذ حقا غير حقك ذلك يحميك فى أوقات العواصف والزوابع وكأنه كان يعلم الغيب ، وأضاف : إذا كنت راغبا فى زيادة دخلك فالفرصة متاحة أمامك ، فالأستاذ أحمد بهاء الدين يجلس فى الغرفة المجاورة لمكتبى ، وهو المشرف على تحرير مجلة الفصول بسبب انشغالى حاليا ، ويمكنك أن تعمل معه ، وسأعطيك جزاء ما تقدم من أعمال .

ودارت الأيام وقامت ثورة يوليو ، وفى عام ١٩٥٣ أجرت تطهيرا فى الإدارة الحكومية ، وكان نصيب الاذاعة من هذا التطهير كبيرا ، وخرج منها أعداد كبيرة ، وسمعنا فى هذه الفترة حكايات تقترب من الخيال أو هى الخيال نفسه ، سمعنا أن التطهير سيتناول الوفديين لمجرد أنهم وفديون ومن بين الذين خرجوا بهذه التهمة كمال الطويل الملحن المشهور الآن بالاضافة إلى الشافعى البنا وغيرهما ، وكان من بين اللوائح أن كل الذين عينوا فى عهد حكومة الوفد التى تولت الحكم فى الفترة من ١٢ يناير سنة ١٩٥٠ إلى ٢٧ يناير سنه ١٩٥٢ مطلوب ابعادهم عن الاذاعة فى حركة التطهير ، وبالطبيعة كنت أنا واحدا منهم ، وأعد الكشف وعند مراجعته كان الاستاذ عبد الحميد يونس رحمه الله عضوا فى هذه اللجنة ، ولم يكن لى به معرفة حتى هذا الوقت ، وقف عند اسمى وقال للجنة إن أساس إخراج الذين عينوا فى عهد الوفد المحسوبية وتعيينهم برواتب خيالية ، ولكن لطفى عبد القادر يبدو أنه ليس محسوبا على الوفد ، واخراجه مع هؤلاء ظلم له ، وصدعت اللجنة بأمره وبقيت فى الأذاعة وخرج منها كل المحسوبين .

إن فى مشوار كل انسان مواقف واحداثا تكدره وتزعجه وتقلقه لحظة صدورها أو وقوعها وفى مشوار كل انسان احداث ومواقف وقرارات يطرب لها ويسر بها لحظة وقوعها ولكن الايام قد تثبت عكس ذلك فما يغضبك من هذه القرارات قد يتبين لك

فيما بعد أنها كانت لصالحك وما يسرك منها ويسعدك قد يتبين لك فيما بعد أنها كانت نقمة عليك ، هأنذا كنت غاضبا لقرار أخي ولكنه حماني من الشر وبقيت في الاذاعة وسارت حياتي إلى أن وصلت إلى أعلى مناصبها وقطفت كل ثمارها بجدى واخلاصى وتنفيذى لنصيحته ألا أحصل على حق ليس لى ، وهذا الطريق طويل وشاق ويتطلب الصبر والمثابرة ولكنه في النهاية يوصلك إلى القمة وعندما تصل إليها لا يستطيع أي أنسان مهما كانت سطوته ومهما كان نفوذه أن ينزلك إلى السفح أو القاع .

لقد أخذت عمليه التطهير التي اجرتها ثورة يوليو الكثيرين ظلما ولكنها في مجملها كانت مصيبة ، فلم يعتمد القائمون عليها على الوشايات والشكاوى الظالمة ولكنهم كانوا يحققون في ادق الجزئيات وعندما يثبت بالدليل والبرهان يصدر القرار ، فكم من شكاوى سمعنا أنها أصابت الكثيرين من الاذاعيين والمخرجين ولكنها جاءت «فشنك» وبقى كل الذين تناولتهم هذه الشكاوى ، وسمعنا أن فنان الشعب يوسف وهبى أثبت بالدليل والحجة على عدد من المخرجين أنهم كانوا مرتشين ، وأخذت لجان التطهير بكلامه وخلصت الاذاعة من هؤلاء المرتشين .

كان التطهير يشكل ازعاجا وقلقا في سائر المصالح الحكومية ولكن قلقه وأزعاجه كان أكبر في الاذاعة لتشعب اعمالها وتعدد المتعاملين معها من الخارج ، ولم يكد التطهير ينتهى حتى عادت الادارة الحكومية الى فاعليتها ، وأنا من جانبى لم أعرف ما حدث لى الا بعد عام من التطهير ، وحمدت ربى وانصرفت إلى عملى .

المستشار الصحفى للملك
ينقل الى الاذاعة فجأة !

لم نكن نعرف فى هذا الوقت المبكر من حياتنا ان كل تغيير وزارى يترتب عليه تغيير آخر فى السراى وديوان الملك بل لم تكن نعرف فى هذا الوقت ونحن فى عام ١٩٥٢ ان الملك يعد طاقما خاصا لوزارة الوفد وطاقما آخر لسائر الوزارات الأخرى «السعدية أو الدستورية أو الكتله الوفدية» وطاقما ثالثا للوزارات الائتلافية وانما عرفنا هذه الحقيقة فيما بعد ، ونحن كإعلاميين كنا نلمح أن سائر هذه التغييرات لا تشمل المستشار الصحفى للملك ، فعشنا وتعايشنا مع مستشار صحفى واحد للملك لم نعرف غيره وهو كريم ثابت (باشا) .

ولذلك كانت دهشتنا شديدة ان التغيير الذى حدث فى« اعقاب اقالة حكومة الوفد وتولى حكومة نجيب الهلالى زمام الامور قد شمل كريم ثابت وكان نصيب الاذاعة من هذا التغيير أن أوفد إليها كريم ثابت كمستشار بها ، وبالتالى لم نعرف المهمة التى جاء من أجلها ولم نعرف بالتحديد أيضا الدور الذى لعبه خلال حريق القاهرة وأغضب منه الملك حتى أنه استصدر هذا القرار الغريب ، وانما الذى لمسناه أن كريم ثابت قابع فى مكتب فاخر أعد له على الفور فى الدور الخامس من مبنى الاذاعة بالشريفين وان هرجا ومرجا شمل هذا المبنى منذ قدومه ، فوفود المهنئين له من الاذاعيين تتوافد عليه فى مواكب متواليه يتقدمهم مدير الاذاعة وعلى خليل وكيل الاذاعة ومدير البرامج وقتذاك الذى كان يعرف كريم ثابت معرفة جيدة حيث ان من أساسيات عمله انه كان همزة الوصل بين السراى والاذاعة فكان يقوم بتقديم المهنئين إليه سواء كان على معرفة بهم أو يجهلهم كشخصيات وإنما يعرفهم بأعمالهم الاذاعية التى تعطى لهم الشهرة .

ولم تقتصر مواكب المهنئين على الذين يتولون مناصب تفرض عليهم بروتوكليا القيام بهذه المهمة ولكن شملت أيضا جيل الاذاعيين العملاق من أمثال محمد فتحى كروان الاذاعة وعبد الحميد يونس وعبد الحميد الحديدى وصفية المهندس وتماضر توفيق وعلى الراعى وعبد الوهاب يوسف وحسنى الحديدى وعباس أحمد بل شملت هذه المواكب المستويات الأدنى بحيث يمكن القول ان العمل توقف تماما يوم وصول كريم ثابت الى مبنى الاذاعة وكنت بالطبع واحدا من الذين شملتهم هذه المواكب لا عن ايمان وانما عن تقليد لمن هم أطول باعا منى فى الاذاعة وربما كان خوفا من البطش

بى ومازلت أحبو على الطريق الطويل الشاق من جانب الباشا الجديد ذى السطوة والسلطة التى سبقت مجيئه .

واعتبرونى مجرما ... لأنى نطقت اسم كريم ثابت بدون لقب «باشا»

لم أكن اتخيل أن أول لقاء لى مع كريم ثابت سيكون عاصفا كما حدث بعد أن انخرطت فى سلك مهنتيه ، بل لم أكن أتخيل أننى سألتقى به على الاطلاق فمن اكون أنا وأنا بعد غير معروف وليس لى ماض يحتم استدعائى لأمثل فى حضرته ، ولكن الريح تأتى بما لا تشتهيه السفن ، فقد كانت عادتنا ان نلتقى نحن الاذاعيين فى مكتب زميل نحبه جميعا نتدارس أمورنا ونفكر فى تطوير عملنا واختيار برامج جديدة نضيفها الى خريطة البرامج ونحن شباب متحمس ملئ بالأمل مفعم بالرجاء ، وكنا فى هذه الجلسات نتطرق الى الحديث عن السياسه ومستقبل مصر سواء أردنا أم لم نرد ، حيث أننا كنا جميعا متفقين على ان مصر مقبلة على فترة لا يعلم إلا الله نتائجها وأسبابها ، وكنا نتسابق فى وضع ملامح هذه الفترة .

وقد جاء لقاؤنا بالصدفة البحتة فى مكتب مدير الاذاعة وبينما نحن نخوض فى تحليل سائر الاحداث التى تشغلنا بعد مأساة حريق القاهرة ، ذكرت اسماء السياسيين النحاس وهيكل والهلالى ومكرم عبيد وكريم ثابت وغيرهم وكنت قد ذكرتهم دون ذكر القابهم فإذا بى أفاجأ بمن ينتصب واقفا من الحاضرين ويوجه الحديث لى قائلا : كريم ثابت باشا من فضلك ، فقلت له على الفور كريم ثابت ليس أفضل من النحاس وهيكل وغيرهما الذين استشهدت بهم فى حديثى دون ان أضيف اليهم القابهم ، وأردفت قائلا «هؤلاء شخصيات عامة معروفة لدى كافة الشعب واقدارهم محفوظة دون ذكر القاب» وهم الرجل وخرج غاضبا ثائرا وكأنه يضمر لى شرا .

تساءلت عنه لاننى لم أكن اعرفه فعلمت انه سكرتير كريم ثابت الخاص أحضره معه من السراى ، وفى اليوم التالى وبينما انا منكب على عملى أعد أول برنامج أسهمت به فى العمل الاذاعى وكان بعنوان «خبر وتعليق» إذا بمن يحضر ليبلغنى ان الباشا يطلبنى .

فدلفت على الفور الى مكتب لالتقى بالسكرتير الخاص ، وسمح لى بالدخول على الباشا وقبل ان ترد على تحيتى قال لى «لما تتكلم ابق اعرف اقدار الناس» وقلت

له ماذا تعني ياباشا أفصح فلم اعرف ابدا فى حياتى اننى غضضت من طرف انسان مهما كان وايا كان ، فإذا بالباشا يضيف فى حدة شديدة قوله «من تخطيطى الا يستمر الاذاعى يعمل فى موقع واحد وانما لابد ان يتنقل بين البرامج بمختلف فروعها والادارة ايضا ، لأنه فى المستقبل سيصل الى منصب مدير برامج ولكى يكون مديرا ناجحا لابد ان يكون على دراية واسعة بكل أعمال الاذاعة الفنية والادارية .

وقبل أن ارد دخل عبد الحميد الحديدى وكنت اعرفه جيدا فقد اختبرنى لاعمل مذيعا من قبل ، ودار بينى وبينه حوارا فكنت قد اجتزت اختباراتى ونجحت كواحد من ثمانية اختيروا من حوالى ١٢٠ ممتحنا ، وبقى اختبار ثالث لاختيار اربعة من بين ثمانية ، وأبلغنى باننى سأكون من بين هؤلاء الاربعة ، فألقائى ممتاز لا الحن ومخارج الفاظى« تنم عن قدرة فائقة فى اللغة وتدخل فى المعركة وفهم على الفور أن «الباشا» غاضب لأمر تافه لا يمكن ان اكون أخطأت فيه ، فحدثه عنى وبين له اننى واحد من شباب الاذاعة الذين ينتظرهم مستقبل مشرق ، وأن الواقعة وصلته محرفة ، وأنقذنى من المأزق وخرجنا معا بعد ان حياه الباشا وحيانى ، ولكننى خرجت والخوف يملأنى من مستقبل مظلم ينسجه لى الباشا دون ذنب جنيته ، فلا يكفى ألا تكون مذنبا ولكن لكى تبرأ ينبغى ان تدافع عن نفسك دفاع الابطال وان يقتنع المسئول بأنك برئ .

على أيه حال استمر هذا الحادث يزعجنى الى ان جد حادث اخر ازعجنى اكثر الا ان قيام ثورة يوليو حمانى من فتك الباشا وحمى الكثيرين غيرى من بطش المثاله .

وخرجنا من قصر عابدين «مفصولين»

الذاكرة تخطئ فى أحيان كثيرة ولكن المذكرة لا تخطئ أبدا ، وقد اعتمدت على الذاكرة فيما كتبت من حلقات سابقة ولم أرجع إلى المذكرة أبدا ، ولما رجعت إليها وأنا أكتب هذه الحلقة وجدت اننى وقعت فى خطأ كبير فقد قلت أن نجيب الهلالى قد تولى الوزارة فى اليوم التالى لحريق القاهرة بعد إقالة حكومة الوفد برياسة النحاس أى يوم ٢٧ يناير سنه ١٩٥٢

والحقيقة أن الذى تولى الوزارة على ماهر واستمر حتى أول مارس ، وأنه استقال عندما رفض المندوب السامى مقابلته ، وتولى بعده نجيب الهلالى فى الفترة من أول مارس حتى ٢ يوليو ثم جاءت حكومة حسين سرى التى استمرت فى الحكم . ٢٠ يوما فقط لتتولى الحكم حكومة نجيب الهلالى مرة أخرى ولم تستمر فيه سوى يومين بسبب قيام ثورة يوليو فى ٢٣ منه ولتستعين الثورة مرة أخرى بعلى ماهر ليكون هزة الوصل بينها وبين الملك .

على أن حرصى على معرفة رئيس الوزارة الحاكم معرفة دقيقة وأنا أسرد هذه الذكريات إنما جاء بسبب التأثير الكبير الذى يحدثه التغيير الوزارى فى كل مرة على مواقع الاذاعيين خاصة ومنهم رئيس الاذاعة ، ففى كل تغيير كان يسطع نجم بعض الاذاعيين ويختفى نجم البعض الآخر ، ولم أكن حتى هذا الوقت من بين هؤلاء وإن كنت أصبحت واحدا منهم كما سيأتى بعد ، وأما عن تدخل المندوب السامى البريطانى القابع في قصر الدوبارة فى مسار الحياة السياسية فى مصر فقد كان واردا بشكل ظاهر وواضح ، ولعل أوضح هذا التدخل كان فى أزمة الدبابات البريطانية التى حاصرت قصر عابدين عام ١٩٤٢ ، وفرضت على الملك إقالة الحكومة القائمة وقتذاك وفرض حكومة النحاس ، وكان ذلك الدافع الرئيسى والجوهرى لقيام ثورة يوليو ، بجانب دافع جوهرى آخر وهو قضية الاسلحة الفاسدة التى كانت تنفجر فى صدور ضباطنا وجنودنا قبل إطلاقها خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، والتى على أثرها تكون تنظيم الضباط الأحرار الذى أعد لثورة يوليو ..

عزيزى القارئ ..

بعد هذا التوضيح السريع استأذنك فى متابعة هذه الذكريات ، فقد وقفنا عند واقعة أزعجتنى وهى اتهامى بالخروج على المألوف لعدم ذكر لقب «باشا» مع اسم

كريم ثابت ، فقد ظلت هذه الواقعة تزعجني وتهز كياني تماما فقد كان عظمى مازال طريا لا يتحمل مثل هذه الأزمات مع هؤلاء الكبار والمسئولين ، ولكن يبدو انني كنت على موعد مع هذه الازمات ، وإن ظلت حليفة لي قبل الثورة وبعدها ، فقد كان من نصيبي أن أعمل في الجانب الاخبارى السياسي من العمل الاذاعي ، وهو كثيرا ما يأتي بالعواصف والرياح على صاحبه ، شأننا شأن الصحفيين المختصين بهذا العمل في الصحف الذين كانوا يساقون الى المحاكم بتهمة السب في الذات الملكية أو نشر أنباء لا تقرها الرقابة المشددة التي كانت مفروضة على الصحف في هذا الوقت ، وكنا نحن في إدارة العلاقات الخارجية في الاذاعة نعاني مما يعانيه الصحفيون ولكن الأمر بشأننا كان لا يصل إلى حد المحاكمة ولكنه يقف عند حد النقل أو الرفت .

وفى عملى في هذه الادارة كان على أن أكتب برامج تذاع كل يوم سبت في برنامج عام تقدمه إدارتى على مدى نصف ساعة ، وكنت استقى برامجى مما يجد في الشارع المصرى السياسى ، وكانت جماهير الشعب في هذا الوقت تطالب بإلغاء معاهدة ٣٦ على أعتبار أنها استنفدت اغراضها وحان الوقت لتوقيع معاهدة أخرى تنهى الاحتلال البريطانى برمته لا جزءا منه كما هو ثابت في معاهدة ٣٦ ، فكتبت برنامجا بعنوان «تسقط معاهدة ٣٦» مسست فيه النظام الملكى وتواطؤه مع الاستعمار ، وكتبت برنامجا آخر بعنوان «البترول بترول العرب» بالاضافة إلى البرامج الأخرى الثورية التى أسهم بها زملائى في عمل الادارة ، ولم نكن نعلم أن مثل هذه البرامج ستأتى علينا بما أتت ، فقد كنا شبابا متحمسا حديثى التخرج لم تستغرقنا الحياة بمسئولياتها الجسام التى تحد من حركة الانسان وتجعله يقيس كل شئ بحساب الخسارة والمكسب ، وحساب غضب المسئولين عليه .

لم نستطع أن نقدم هذه البرامج إلا بعد أن رحل عنا كريم ثابت ، فقد حدث في منتصف مارس عام ٥٢ أن ترك كريم ثابت الاذاعة في رحلة إلى الخارج لم نعرف أسبابها ودوافعها ، وخرجنا نحن الاذاعيين نودعه في مواكب كما استقبلناه في مواكب ، عن يقين منا أن كريم ثابت ذو سطوة سواء كان داخل القصر أو خارجه ، وقد حدث ما توقعناه ، فقد عاد كريم ثابت بعد هذه الرحلة الى القصر ، وعادت إليه سطوته وتوقعنا منه الشر وقد كان ، فبينما نحن نتناقش في أواخر مايو من السنة نفسها حول ما نعد من برامج ، إذا بمحمد المعلم مدير الادارة يدخل علينا ليبلغنا انه مطلوب في السراى ولا يعرف لماذا ؟ وقرر أن يصحبنى معه دون طلب من السراى ، وكان الطربوش لباس الرأس في طريقة إلى الزوال ، ولكن حينما نذهب إلى السراى

ينبغى أن «نتطربش» وحصلنا على طربوشين ، وفى صباح يوم توجهنا إلى عابدين، وقد شعرنا برهبة شديدة ونحن على مشارف القصر العتيد ، واعترف اننى كنت أشد رهبة من محمد المعلم ، فقد كان هو أكثر تمرسا منى على هذه المواقف ، ودخلنا عابدين واستقبلنا كبير الأمناء وكان فى هذا الوقت على باشا رشيد ، رجل طويل القامة دمث الأخلاق يوحى بالأطمئنان ، وصحبنا إلى كريم ثابت الذى لم يكد أن يرانا حتى غلى الدم فى عروقه ووجه الكلام إلى محمد المعلم وسأله عن اسمه ولم يزد على قوله «انت مرفوت» وخرجنا من عنده نضرب أخماس فى أسداس ، ولكن محمد المعلم أزال الرهبة عنى عندما قال : لا تجزع ، فأنا خبير فى إنشاء دور النشر وكان قد اتفق مع على الرجال على إنشاء دار للنشر ، وأنه سيتعاون معى فى هذا العمل وسيكون عائده المالى أكثر بكثير مما نحصل عليه من عملنا في الأذاعة .

كان يوما كئيبا فى حياتنا

وطلبت من المعلم أن نتوجه إلى مبنى الأذاعة فى الشريفين ، أولا : لنقف على مصيرنا بالتحديد وثانيا : لنعلم بقية الزملاء بما حدث وقد كانوا قلقين أشد القلق بسبب هذا الأستدعاء المفاجئ ، وفى اليوم التالى حدث مالم يكن فى حسابنا ، فلم نرفت وإنما نقلنا إلى أعمال أخرى ، مع صدور قرار بحل إدارة العلاقات الخارجية وتوزيع أعضائها على باقى إدارات الاذاعة .

وتحول مبنى الاذاعة إلى قلعة حربية يحاصرها الجيش من جميع الجهات !

كان منطوق قرار الملك فاروق بحل إدارة العلاقات الخارجية بالأذاعة أن تتوجه سامية صادق وثريا عبد المجيد وليلى عجرمة الى البرنامج العام ويتوجه محمد المعلم الى مجلة الاذاعة ويستقل أحمد سعيد ببرنامجه الاقتصادى أما أنا وسعيد زايد فقد نقلنا الى الاستماع السياسى ، والاستماع السياسى إذا لم نكن نعرف مهمته ، كان قسما مستحدثا جدا فى الأذاعة فى هذا الوقت ، يعمل فيه مجموعة من الشبان المغمورين الذين لا يعرف أحد عنهم شيئا ، بعيدين تماما عن الشهرة الاذاعية ، ويستمعون الى المحطات الاجنبية والعربية وينقلون ما تبثه هذه الاذاعات من أنباء فى نشرات تصدر ثلاث مرات يوميا ، ترسل الى المسئولين فقط ، وكان بمثابة «جراج الاذاعة» ينفى اليه كل من يغضب عليه ، لدرجة أنه فى فترة من فتراته تولى مسئوليته أحد المهندسين المطرودين من رحمة رئيس الهندسة ومدير الاذاعة ، وكان يتولاه وقت أن نقلت اليه عبد الرحمن سامى أحد المغضوب عليهم فهو ليس رجل أخبار وسياسة حتي يتولي هذه المسئولية ، وإنما هو متخصص فى الموسيقي ولأمر ما لم يستعينوا به فى تخصصه فكان بالطبيعة ناقما ساخطا ولكن بطريقة الموسيقيين ذوي الحس المرهف وهدوء الحركة ، وكان كل يوم يستحثني الاآفني شبابي في هذا القسم البعيد عن الاضواء، وان كان قد تطور فيما بعد و أصبح من الاهمية بمكان عندماأصبح المصدر الوحيد السريع لابلاغ المسئولين عن الأنقلابات العسكرية فى أفريقيا و ا سيا والدول النامية فى حينها فى الخمسينات والستينات بعد أن أيقظت ثورة يوليو المصرية هذه الشعوب وتطور اكثر حيث تضمنت نشراته البرامج تحليلا وتعليقا علي الاحداث وأصبح بمثابة وزارة خارجية داخل وزارة الاعلام وغداً أهم مصدر من مصادر الأخبار بجانب المندوبين والمراسلين ووكالات الأنباء .

عملت بالنصيحة وأخذت أسعى للخروج من المأزق .. وأخيراً هدانى تفكيرى الى أن التقى بصالح جودت وكان مراقباً للأحاديث ولم يكن لى به سابق معرفة ، ولكنى طرقت بابه وافضيت اليه بما يجول فى نفسى ، وكان رقيقاً رقة الشعراء حساسا كفنان أصيل ، ولم أكن أعرف أنه شاعر وأن له أغان طربت لها واعجبت بكلماتها دون أن أعرف أنه مؤلفها ، وتوثقت صلتى به ، وشجعنى على أن أعد برنامجا يذاع كل أسبوع بعنوان شخصية الاسبوع ، وشرح لى تجربته الاذاعية الطويلة حتى لا أفشل

فى اعداد هذا البرنامج ، وأعددت حلقة وحلقتين لم يذاعا .. وبعد ذلك أصبح لى برنامج اسبوعى وأنا أعمل فى الاستماع السياسى ، وبدأت الأنظار تلتفت إلى ، وكنت فى وهم كبير ، هذا الوهم تمثل فى اعتقادى ان ترحيب الاذاعيين بى والمسئولين نابع عن كفاءة أتميز بها ، ولكن ثبت فيما بعد أن هذا الترحيب وذلك التسهيل لى كان بسبب أن أخى عضو فى مجلس الاذاعة الأعلى والكل يخطب ودى لهذا السبب ، وهنا أصبت بخيبة أمل شديدة واحباط كبير ، وكان يؤلمنى كثيرا اننى فى أى مجتمع أوجد فيه أقدم بأننى شقيق الكاتب الكبير محمد زكى عبد القادر وليس كشاب تخرج فى كلية الآداب ويعمل فى الإذاعة ، لدرجة أننى غضبت غضباً شديداً من أحد أصدقائى وهو يقدمنى كشقيق لزكى عبد القادر وقاطعته فترة طويلة لهذا السبب .

هذا استطراد لابد أن يتوقف ونكمل الذكريات ، كنا فى أوئل شهر يوليو عام ١٩٥٢ واستقالت حكومة نجيب الهلالى وتولت بعدها حكومة حسين سرى ، لتواجه الغليات الشعبى الشديد ضد الملك وبطانته ، ولم يؤثر حل العلاقات الخارجية فى حماسنا وتأييدنا لهذا الغليان الذى نشهده صباح مساء هذا الغليان الذى لم يكن ابن ساعته وانما يمتد جذوره الى أعماق التاريخ ، ولكن الغليان فى هذا الوقت بالذات قد بلغ الذروة ولاح فى الأفق ما يوحى بنهاية المأساة والملهاة ، فالغضب شديد فى كل قطاعات الشعب طلبة وعمالا ، والعرش بدأ يهتز ويبدأ يتعرض للنقد العلنى بل وللعيب فى الذات الملكية ، وعليه فإذا كان الملك فاروق قد ظن بقرار حله لادارة العلاقات الخارجية التى كانت تجمعنا فإنه وقع فى خطأ كبير فقد كان حماسنا ينصهر فى بوتقة ، فى مجلة الاذاعة وفى البرنامج العام وفى الاستماع السياسى وفى مراقبة الأحاديث أى فى كل أركان مبنى الاذاعة فى شارع الشريفين .

ولم يمنعنا قرار الحل من الاجتماع والالتقاء بين آن وآخر أما داخل الاذاعة أو خارجها نتدارس الموقف وكل منا يدلى بدلوه ، وفى احدى ليالى شهر يوليو فى النصف الثانى منه حمل الينا أحد الزملاء أن هناك أنباء غير مؤكدة عن وجود جماعة من الضباط الأحرار بين صفوف الجيش وأنهم عقدوا العزم على القيام بحركة لوضع حد لكل ما يجرى فى البلاد من فساد ومحسوبيات ، ولكثرة ما عانينا من التجسس والتخابر الذى كان يقوم به البوليس السياسى فى هذا الوقت أشفقنا على هذه الجماعة وكنا خائفين عليها من بطش السراى اذا انكشف أمرها ، فإذا كنا نحن قد سمعنا عنها فلابد أن السراى رصدت حركاتهم وتنقلاتهم للقبض عليهم رصدت حركاتهم وتنقلاتهم للقبض عليهم والتنكيل بهم .

وبينما نحن على هذه الحال من الخوف والقلق نسهر الليالى نتناقش ونتحاور ونتشاجر اذا بنا نفاجأ فى صباح يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بالراديو يحمل الينا نبأ قيام الثورة بصوت أنور السادات وعرفنا فيما بعد أن للثورة مجلسا يدير شئونها ، وذهبنا الى الاذاعة فوجدناها وكأنها قلعة حربية محاصرة من جميع الجهات بقوات الجيش بل وكانت قوات الجيش تحتل الشوارع المؤدية اليها .. ولكى نصل الى مكاتبنا علينا أن نخترق هذا الحصار كله ولابد لنا من دليل على اننا من أبناء هذا المبنى ولا دليل على اننا من أبناء هذا المبنى ولا دليل لنا الا تحقيق الشخصية فحملناه فى أيدينا منذ أن اقدمنا على مشارف المبنى العنيد فى الشريفين .. وبدأت فى حياتنا مرحلة جديدة بكل ما تحمل من معنى وخفايا وأسرار .

ودخلنا مبنى الاذاعة بالشريفين بعد لأى وجهد شديدين ، وبعد فحص دقيق لتحقيق شخصيتنا ، لنجد المبنى من الداخل وكأن الجيش اتخذه ثكنة له ، عساكر وضباط فى كل مكان مدججين بالسلاح ، حتى مصعد المبنى عين به اثنان من العساكر لا يغادرانه وانما يرافقان الصاعد والهابط من أبناء المبنى من الاذاعيين ، وعين على كل درجة من السلم عسكرى ، وتوجهنا الى المصعد فقد كان مكتبنا فى الدور الخامس آخر أدوار المبنى .

لو تأخرت الثورة ٥ دقائق لفشلت .. ودخل الضباط الأحرار السجن !

وللحق والحقيقة وأنا أشهد هذه الصورة كنت مشفقاً على من قاموا بالثورة وكنت خائفاً من بطش الملك بهم ، وترامت كل الصور الى خيالى ما شهدته اليوم وما شهدته فى الماضى ، تذكرت قصر عابدين العتيد الذى يقع على بعد خطوات من منزلى الذى كنت أقطن فيه فى الحلمية الجديدة ، وكيف كنت أمر عليه كل يوم وأنا فى طريقى الى مقر عملى فى الاذاعة ، وكيف كنت لا أجرؤ من الاقتراب من أسواره العالية ، فقد كان ذلك ممنوعاً على وعلى عامة الشعب المصرى قاطبة ، وغير مسموح إلا للحرس الملكى فقط بلباسه المميز الذى كا يقطع هذه الأسوار ذهاباً وجيئة شاهراً سلاحه طوال الليل والنهار .

وفجأة سلخت نفسى من الماضى وتنبهت للحاضر الذى أشهده الآن ، ها هو القصر العتيد محاصر بالدبابات ، وكل من فيه ترتعد فرائصه خوفاً ورعباً ، وبالقطع سيده - سواء أكان فيه أو مقيماً فى الاسكندرية - ترتعد فرائصه أيضاً وهو الذى كان يتخيل ألا يحدث ما حدث له اليوم ، صور مختلفة متباينة دارت فى ذهنى .

وشدنى تفكيرى الى ماض أبعد ، يوم كنا طلبة فى مدرسة الزقازيق الثانوية ويوم أن ساقونا الى القصاصين لنحتفل بنجاة الملك فاروق من حادث ألم به وكاد يودى بحياته ويومها كان يطلق عليه الملك المؤمن وفيما بعد عرفنا أن الإيمان منه براء .. تذكرت يوم كنا طلبة فى مدرسة الزقازيق الثانوية ، وكنت عضوا فى لجنة الطلبة ولم نحتفل بعيد ميلاد الملك يوم ١١ فبراير فى عام من الأعوام ، واستدعانا ناظر المدرسة وحقق معنا وهددنا بالفصل .. تذكرت عام ١٩٤٦ يوم أن أمر الملك بفتح كوبرى عباس (الجيزة الآن) على الطلبة الذين كانوا يهتفون ضده ويطالبون بعزله ، واستشهد منهم العشرات وذلك لمنعهم من الاتصال بالجماهير فتتحول الى ثورة عارمة تنزعه من العرش ، وتذكرت يوم اشتركنا فى تمزيق صورته فى الجامعة عام ١٩٤٧ غضباً وثورة عليه وعلى بطانته التى أذاقت الشعب الأمرين ، وكيف كان يأمر بدفع المصروفات لنا فى عطف سام - كما كان يقال يومها - لامتصاص غضبنا ويصحب أحد الطلبة منا فى سيارته مما يعتبر تنازلا سامياً .

ومرة أخرى أجدنى مشدوداً لما رأيته فى هذا اليوم المشهود ، والجماهير تتجمع

حول أجهزة الراديو لمتابعة الأخبار والأحداث ويصفقون تصفيقاً حادا كلما استمعوا الى انجاز يحققه مفجرو الثورة ، لتثبت جذورها متغلبة على بطانه الملك الفاسد تذكرت الدبابة التى كانت متمركزة عند وزارة الأوقاف وأحد ضباطها مستريح يحتسى الكوكولا والمواطنون يسألونه عما حدث فيجيب فى زهو وفخر بقوله «إن فى البلاد ثورة على الظلم والفساد والاقطاع» وقد ظلت هذه العبارة ترن فى أذنى وخاصة كلمة «الاقطاع» التى تحمل فى طياتها نظاماً جديدا لابد وأن الثورة تنوى إقامته .

وما أن وصلت الى مكتبى حتى رأيت الحلقات منصوبة فى كل مكان كل يدلى بدلوه ويذكر قصة عن بطولة من قاموا بالثورة ، وعرفت أن زعيم الثورة اللواء محمد نجيب وقد كان معروفاً لدى الشعب بموقفه فى انتخابات نادى الضباط بالزمالك التى كانت قد أجريت من شهر مضى وأتت الانتخابات بمجلس ادارة من هؤلاء الضباط الذين قاموا بالثورة اليوم ولم يكونوا من أعوان الملك ، وأصدر الفريق محمد حيدر يوم ١٦ يوليو سنة ١٩٥٢ قرارا بحل هذا المجلس ارضاء للملك واعيدت الانتخابات وفاز فيها اللواء محمد نجيب رغماً عن أنف الملك ومعه عدد من هؤلاء الضباط ، وكان نجيب معروفاً بمواقفه البطولية فى حرب فلسطين ، كما كان أنور السادات الذى اذاع بيان الثورة معروفاً أيضاً لدى الجماهير فقد كان مشغولا بالعمل السياسى ومقاومة الاحتلال ، وعرفه الشعب أكثر يوم أن حوكم بتهمة قتل أمين عثمان رجل الانجليز ، وماعدا نجيب والسادات من ضباط الثورة لم يكن واحد منهم معروفاً شعبياً ، ولكننا على أية حال سمعنا أسماءهم فى اليوم الأول للثورة جمال عبد الناصر - صلاح سالم - بغدادي - كمال حسين وغيرهم من الضباط .

عرفنا القصة كاملة .. عرفنا الدقائق الخطيرة التى مرت بها عرفنا أن الملك فطن لحركة الضباط أو علم بها فى الساعة الحادية عشرة والنصف قبل منتصف ليلة الثورة ، وأصدر تعليماته لضباطه وجنوده باحتلال المواقع فى الأسلحة المختلفة ، وأن وجوده فى الاسكندرية عطل تنفيذ هذه التعليمات على عجل .

فقد كان الضباط الأحرار أسرع فى احتلال هذه المواقع ، وأن القادة والضباط الموالين للملك وقعوا أسرى فى أيدى الضباط وقدر للحركة أن تنجح رغم علم الملك بها قبل ساعة الصفر بأكثر من ساعة ونصف الساعة ، وأن السراى اتصلت بالمهندس المسئول فى محطة ارسال أبو زعبل (الجارحى القشلان الذى أصبح فيما بعد نائباً لرئيس الهندسة الاذاعية) فى الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً وطلبت منه - فى صيغة

الأمر - أن يفك المحطة ولا يسمح لأي انسان أيا كان بالاقتراب منها ، وأنها سترسل له لوري أو اثنين لحمل أجزاء المحطة ، ولم يعرف الجارحي القشلان أسباب هذه التعليمات ، وبينما هو فى هذه الحيرة فوجئ بالصاغ مجدى حسنين على رأس قوة من الضباط والجنود يدخل عليه فى مكتبته ، وكانت لوريات السراى قد وصلت فى لحظة وصول مجدى حسنين أو قبله بثوان ، وأبلغه بنبأ قيام الثورة وطلب منه المشورة حتى يمكن اذاعة بيان الثورة فأرشده بضرورة التوجه على الفور الى محطة كهرباء غرب القاهرة التى تمد الاذاعة بالكهرباء خوفاً من أن يسبقه اليها رجال السراى ويفكونها فلا تستطيع الثورة اذاعة البيان ، وطمأن الجارحي القشلان مجدى حسنين وزملاءه على محطة أبو زعبل .

وبالفعل وصل مجدى حسنين وقوته الى محطة الكهرباء قبل وصول رجال السراى اليها بخمس دقائق فقط واحتل المحطة وفشلت محاولات السراى التى لو كانت قد بكرت خمس دقائق لفشلت الثورة وقدم ضباطها الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى .

ولم تيأس السراى ، بل لجأت الى أعوانها فى مصلحة التليفونات لقطع خطوط التليفون الموصلة بين الشريفين حيث استوديو الاذاعة ومحطة أبو زعبل حيث الارسال وتحويل الموجات الصوتية الى موجات كهربائية ، وبسبب هؤلاء الأعوان انقطع الارسال مرتين والسادات موجود فى الاستوديو ومعه فهمى عمر الذى كان عليه اذاعة هذه الفترة ، مرة بسبب الكهرباء ومرة بسبب خطوط التليفون ، وكان ذلك سببا فى تعطيل اذاعة البيان من الساعة السادسة والربع عند وصول السادات اللى الساعة السابعة والنصف موعد اذاعة نشرة الأخبار .

ووقف فهمى عمر ليعلن : «أيها المواطنون اليكم البيان التالى»، وباذاعة بيان الثورة تأكد نجاحها ، فمع اذاعة البيان كان الضباط الأحرار قد نفذوا كل ما هو متفق عليه فى الاسكندرية والعريش ورفح وباقى المديريات كما كان يطلق عليها وقتذاك ، وما أن أذيع بيان الثورة حتى تلاحقت الأحداث بسرعة مذهلة ، وارتبكت السراى بملكها وبطانته ، وأيقنت أن عهدها الى زوال ، والقى الملك فاروق كل اسلحته وسلم بكافة طلبات الضباط الأحرار ودخلت مصر عهداً جديداً يختلف كل الاختلاف عما سبقه من عهود فى الحكم وفى النظام وانطوت صفحة من تاريخ مصر وبدأت صفحة جديدة .

سر المظاريف الثلاثة التى حملتها إلى نجيب وعبدالناصر وصلاح سالم !

فى لحظة تغير وجه مصر ، نظام هوى وتم التخلص من جميع أعمدته وأركانه وقام نظام قوامه ثائرون على كل ما كان فى النظام القديم ، يحملون على عاتقهم تبعات الاصلاح والتغيير الجذرى فى شتى الميادين سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وثقافية وغيرها ، ففى أيام قليلة صدرت عن الثورة قرارات واجراءات سريعة متلاحقة ، من اعلان لأهداف الثورة الستة المعروفة ومن حصار للقصور الملكية فى رأس التين والمنتزة وعابدين والقبة ، وتوجيه إنذار للملك بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد ، وصدوعه لأمر رجال الثورة ، ثم قرار بالعفو الشامل عن المحكوم عليهم فى جرائم العيب فى الذات الملكية ، وصدور قانون جديد لتطهير الأداه الحكومية والكسب غير المشروع وانشاء مجلس تأديبى لمحاكمة الموظفين المسئولين عن المخالفات المدنية ، وصدور قانون الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية وقرار العفو الشامل عن جميع المجرمين السياسيين الذين ارتكبوا جرائم سياسية فى العهد البائد والغاء الألقاب والأحزاب ومصادرة جميع أموالها لصالح الشعب واعلان فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات لاقامة حكم ديمقراطى والبدء فى مباحثات خاصة بالوضع فى السودان وعلاقته بمصر ومباحثات الجلاء واصرار رجال الثورة على أن يكون الجلاء ناجزاً كاملا غير مشروط وغير ذلك من القرارات المتلاحقة المتلاحمة بحيث لم يكد الشعب يفيق من صدمة قرار حتى يفاجأ بصدمة قرار آخر .

وكنا نحن فى الاذاعة نتعامل فى هذه الفترة كاذاعيين مطلوب منهم تغطية هذه الأحداث وكشريحة من شرائح الشعب كان علينا مشاركة الشارع السياسى وما يدور فيه من ردود فعل مؤيدة وأيضاً معارضة ، وكنا ندرك أن المخابرات وأجهزة الأمن نشطة ومقيمة إقامة دائمة فى مبنى الاذاعة فى الشريفين لمعرفة المعارض لرفته ومعرفة المؤيد لتحديد دوره ، وكان نصيب الاذاعة من التغيير والتبديل كبيراً جداً ، فكل يوم كنا نرى وجوها اختفت ووجوها لمعت ، على أية حال اصطفت الثورة من المذيعين حسنى الحديدى وجلال معوض ومن المهندسين صلاح عامر تتصل بهم فى كل ما يعن لها من شئون وطلبات حتى اطلق على حسنى الحديدى وجلال معوض لقب مذيعى الثورة ، وتولى شئون الاذاعة مجموعة من الضباط عرفا فيما بعد أنهم من الضباط الأحرار صف ثان ، تدخلوا فى كل شئ وكانت طلباتهم أوامر لا رد لها

ولا يقدر أحد علي معارضتها ، حتى ان ضابطا منهم طلب عدم اذاعة اغانى ام كلثوم ولما نما الى علم القيادة العيا هذا الطلب سارعت الى الغائه ومحاسبة الضابط الذى أصدر هذا الأمر ، حقا كانت فترة قاسية جداً علينا نحن معشر الاذاعيين الذين تعودنا على الحرية في ابداء الرأى ومناقشة الرأى الآخر دون رقيب أو حسيب ، وكان علينا فى هذه الفترة أن نحسب ابعاد الكلمة قبل أن ننطق بها وابعاد الحركة قبل أن نقدم عليها .

أين كان موقعى فى هذه الفترة ؟

كنت أعمل فى قسم الاستماع السياسى بالاذاعة واشارك فى البرامج عن طريق قسم الأحاديث الذى كان يتولاه صالح جودت كما ذكرت ، وكنت فى هذه الفترة ابحث عن موضوع اقدمه فى برنامجى ، وكنا فى بداية عام ١٩٥٣ ويوم ١٢ فبراير بالذات الذى تم فيه توقيع الاتفاق المصرى البريطانى بشأن السودان ، وأوفدت حكومة الثورة بعثة من المحامين المصريين برئاسة الدكتور محمد صلاح الدين الذى كان وزيرا للخارجية فى حكومة الوفد السابقه على قيام الثورة ، وأوفدتها الى السودان لتهيئة الشعب السودانى للاستفتاء المقرر اجراءة ليدلى شعب السودان برأية : «أما الاستقلال واما ابقاء وضعه متحدا مع مصر واما القبول بوجود الاحتلال البريطانى»، وخرجت مجلة روز اليوسف تشيد بالجهد الخارق الذى بذلته بعثه المحامين المصريين ، وخصت رئيسها الدكتور صلاح الدين بالثناء والتمجيد ، ورأيت فى ذلك فى موضوعا يمكن ان اقدمه فى برنامجى .

اتصلت بالدكتور محمد صلاح الدين وعرفت انه يقطن ضاحية المعادى ، وتوجهت اليه واجريت معه تسجيلا رائعا عن الاحوال فى السودان بالتفصيل ، واتخذت كل الأجراءات لاذاعته فى البرنامج الذى كان يذاع فى التاسعة والربع مساء كل سبت ، وعرضته على الرقيب المقيم بالأذاعة وكان ضابطا واقره ووقعه ، وتركت المبنى يوم الخميس مساء وكلى اطمئنان على ان كل شئ سائر على مايرام .

وكانت المفاجأة يوم السبت صباحا ، فإذا بى وانا اخترق باب المبنى فى الشريفين ، يستوقفنى الحرس ويطلب منى فى شبه أمر مشدد ان اتوجه على الفور الى صالح جودت فانزعجت وقلبت الامور على كل وجوهها وانا فى طريقى إليه ، هل طلبى بخصوص البرنامج ام لشئ اكبر يتصل بعلاقتى بالثورة ؟ وساورنى قلق شديد خوفا من فيلق المباحث والمخابرات المقيم فى المبنى ، ولكن ابتسامة صالح جودت التى

قابلني بها ازاحت عني القلق نوعا ما ، وسلمني ثلاثة مظاريف ، وابلغني ان عربة من الاذاعة تحت أمري لأتوجه بها الى قصر عابدين حيث يقيم محمد نجيب رئيس الجمهورية والى مجلس قيادة الثورة حيث يقيم جمال عبد الناصر وزير الداخلية وقتذاك ، والى القيادة العامة في القبة حيث يقيم صلاح سالم فكانت اسماؤهم موقعه على هذه المظاريف ، وعرفت من صالح جودت ان بكل منها صورة من البرنامج عن السودان ، وهنا عرفت ان فحوى البرنامج ابلغ إليهم بطريقة ما ، وربما من الرقيب نفسه وربما من غيره ، وانهم ابدوا اعتراضا عليه من نوع استوجب تعديله وربما استوجب الغاءه ، وبرباطة جأش لا أعرف من اين أتت لي واجهت الموقف ربما لأن الانسان في مثل هذه المواقف الصعبة يتظاهر بالقوة وفي حقيقته فهو مرعوب ، وربما لأن الانسان لا يحب ان يتظاهر بالتهالك والخوف أمام احد .

وشقت السيارة طريقها الى قصر عابدين الذي لا يبعد كثيرا عن مبنى الاذاعة في الشريفين ، وهناك وجدت من ينتظرني ، ودلفت الى القصر على الفور ، هذا القصر الذي دخلته وسيده في عنفوانه ، فكان اشبه بالمحراب ، هدوء تام تسمع فيه صوت الابرة ، ودخلته بعد الثورة اليوم فوجدته شعبيا بما تحمل هذه الكلمة من معان .. الضوضاء عالية ، والفوضى قائمة ، ودخلت على محمد نجيب ، وبطيبته المعهودة تسلم مني المظروف ولم يفتحه ، ولكنه قال لي «احمله الى جمال في مجلس الثورة».
هنا تحققت من الشائعة التي كانت تملأ الشارع المصري ، التي تقول انه مغلوب على امره ، ولا دور له في الثورة وانه يمضي وقتا الى ان يشتد عود الضباط الصغار في الرتبة الذين قاموا بالثورة وتوجهت الى عبد الناصر ، ووجدت مجلس الثورة قلعة حربية تماما ، ولكني لم أجد صعوبة في اختراق هذه القلعة ، لأن الأوامر كانت قد صدرت إليهم من قبل ، وفي لحظة كنت وجها لوجه مع عبد الناصر مفجر الثورة وقائدها ، طويل القامة ذو عينين جريئتين تحجمك في الكلام والتصرف ، وسلمته المظروف وقرأ جانبا منه ، ووجه لي سؤالا «لماذا اخترت صلاح الدين ؟ فاجبته رأيت في روز اليوسف انه قام بعمل خارق يستحق تقديمه في البرنامج ، فرد علي ، ومن اين علمت ان ماكتبته روز اليوسف صحيحا ؟ فقلت له وما مصلحة روز اليوسف في ان تكتب غير الحقيقة ؟ اجابني لانها حصلت عليها من صاحبها ، وهنا عرفت المطب الذي وقعت فيه ، واخيرا قال لي انني ارى معك مظروفا اخر واعرف انه موجها لصلاح ، فاذهب اليه وهناك تتلقى منه التعليمات ، وتوجهت الى القيادة العامة بالقبة للقائه ، وكان لقاء عاصفا انتهى بقرار غريب لم أكن أتوقعه ولا يتوقعه غيري

-٣٠-
لماذا اعادت الثورة الرقابة على الصحف

خرجت من مبنى قيادة الثورة بالجزيرة متوجها إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلة بالقبة ، وطوال الطريق لم تفارقنى صورة عبدالناصر ولا كلماته بل ظلت مرتسمة فى مخيلتى وكلماته ظلت ترن فى أذنى وظل يرن فى أذنى منها ما سمعته من الاذاعات الأجنبية عنه وعن مستقبل مصر فى عهد الثورة وأجرى المقارنة بين ما سمعت وبين ما شاهدت هل ستصدق نبوءة هذه الاذاعات التى كانت تصر على ان أيام الثورة معدودة أم يصدق ا شاهدته فى عبدالناصر من تصميم وقدرة مع مكر ودهاء مغلف بثقة لا تتزعزع ؟.

كانت كلماته صارمة وهو يرد على تبريرى لاختيار الدكتور محمد صلاح الدين بطلا لبرنامجى ، عندما قال : «كثيرا ما تخرج الصحف عن الخط الصحيح اذهب الى صلاح سالم فى القبة وهناك تتلقى التعليمات أية تعليمات هذه ؟ هل كان يعلمها ولم يشأ أن ينقلها لى وانما تركها للمختص بشئون السودان ؟ اذا كان الأمر كذلك ، فان ذلك يعتبر بداية طيبة للثورة ، وان ايامها لن تكون معدودة كما زعمت هذه الأذاعات الأجنبية وانما أقدامها راسخة وعمرها طويل وأنها قادرة على تخطى الصعاب والعقبات والقضاء على الثورة المضادة الى اوجدتها هذه الاذاعات وأوجدها كل من حاكمتهم الثورة من رجال العهد الملكى ومن الساسة والسياسيين ورجال الاحزاب والرأسماليين والاقطاعيين .

ولم يخرجنى من هذه التأملات وهذه الخواطر سوى صوت أجش يسألنى من أنا..؟ ولماذا جئت الى هنا ؟ .. افضيت اليه بمهمتى ولكنه لم يقتنع وطلب منى تحقيق شخصيتى وأمر عسكري آخر باصطحابى الى مكتب صلاح سالم . وبذلك اتيحت لى الفرصة أن اتجول فى فناء وردهات المبنى الذى تفجرت فيه ثورة يوليو وكان مسرحاً لأول معركة فيها بين من اكانوا يقيمون فيه وبين الثائرين بقيادة يوسف صديق الذين يريدون احتلاله ولم اكن اتخيل أنه سيأتى اليوم الذى سأتردد فيه على هذا المبنى كمدوب للاذاعة . ولكن القدر فيه العجب ونحن فيه مسيرون لا مخيرون ..

ادخلنى مرافقى إلى صلاح سلام مباشرة ولم يكد ان يؤدى له التحية العسكرية ويرانى ، حتي ابتدرنى قائلا بحدة شديدة جدا «انت مرفوت» .. اشمعنى صلاح

الدين اللى يتكلم عن السودان فاعدت عليه ما قلته لعبدالناصر واضفت ان اختيار الثورة له ليرأس بعثة المحامين للسودان دليلا على نظافته وكفاءته ورد على صلاح سالم كان اختيارا خاطئا ونزع البرنامج الاذاعى من يدى واخد يقرأ وبعد دقيقتين انفجر صائحا « هذا تخريب .. هذا كلام فارغ وأخذ يقلب الصفحات بعصبية ظاهرة ونظارته السميكة تتأرجح كأنها ستسقط وكتب تعليماته على البرنامج .. لا يذاع هذا البرنامج لظروف جدت فى اليومين الماضيين ويمنع صلاح الدين من التحدث فى الاذاعة بالمرة .. وعدت وأنا احمد ربى ان التعليمات كانت خاصة بالدكتور صلاح الدين وليست خاصة بى ، واضطررت ان أذيع فى برنامجى حلقة قديمة عن الدستور كنت قد سجلتها مع مؤرخنا عبدالرحمن الرافعى بدلا من الحلقة الخاصة بالسودان موضوع الساعة وأوقفت البرنامج حتى لا يجلب على متاعب أخري وأنا مازلت طرى العود لا أقوى على مواجهة هذه المتاعب .. فى هذا الوقت لم أكن أعرف أسباب هذا الموقف من الدكتور صلاح الدين وفى الوقت نفسه كنت مقتنعا تماما أن هذا الموقف ليس بسبب حديث عن السودان الذى كان فى حوزتي فكل ما جاء فيه كان متمشيا مع المهمة التى أوفد من أجلها فى السودان وان السودان حكومة وشعبا اشادت به وبقدرته وتأثيره فى اللقاءات التى عقدها فى الخرطوم وفي كل المدون السودانية ولكنى عرفت فيما بعد ان سبب غضب الثورة عليه انه خطب مع غيره فى نقابة المحامين يطالب بعودة الجيش الي الثكنات وترك امور السياسة للسياسيين وشاركه فى ذلك عدد من الصحفيين انتهزوا فرصة رفع الرقابة على الصحف لمدة ايام وطالبوا بعودة النحاس الي الحكم ولما رأت الثورة هذا التحول اعادت الرقابة على الصحف اشد مما كانت ونكلت بكل من كتب وتحدث شر التنكيل وكان منهم صلاح الدين ..

وتوقعت اننا على ابواب «حكم شمولى»

هزتنى لقاءاتى العابرة مع محمد نجيب وجمال عبد الناصر وصلاح سالم هزا عميقا، وهزنى اعنف الحوار الذى دار فى اللقاءات والنتيجة التى انتهت اليها من منع الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية الأسبق فى حكومة الوفد من الاذاعة او دخول حتى مبناها لمجرد انه خالف الثورة فى الرأى وهاجمها ، ذلك لأن هذا التصرف المبكر الذى حدث ولم تكمل الثورة من عمرها العام الواحد يعطى امارة من امارات رفض الثورة للديمقراطية واحترام الرأى الاخر والتنكيل بكل من يخالفها او يوجه اليها نقدا مهما كان بسيطا ، ويعطى اشارة الى اننا مقدمون على عهد شمولى وحكم الفرد المطلق ، ولكن هذه اللقاءات مهما كانت نتيجتها ومؤشراتها حببتنى فى عملى الاذاعى الذى اتاح لى ان اقف وجها لوجه مع مفجر الثورة التى اسقطت نظاما ملكيا عريقا لم يكن احد يتخيل ان يسقط بهذه البساطة وتلك السرعة التى تمت بهما ، ووقف فى وجه ثورة مضادة حادة شرسة فى هذا الوقت كنت اسمع صداها وفحواها من الاذاعات المعادية التى وجهت خصيصا لاسقاطه ، وكان يتردد ماتذيعه بين شرائح الشعب وطوائفه ، فمن قائل بأن الثورة ستأكل نفسها وستقضى على نفسها بنفسها، ومن قائل لقد كان فى العهد الماضى ملك واحد واصبح فى الثورة عشر ملوك وحواريبهم ، وقال اهل التحليل السياسى ورجال القانون ان قيام الثورة أمر غير طبيعى وقد ينتهى الى امور غير طبيعية تضر بمصالح الوطن كله وذلك جريا على مبدأ ماللقيصر لقيصر ومالله لله ، ومن قائل ان القوات المسلحة خلقت للدفاع عن الوطن وليس للعمل والسياسة ، وان المبادئ التى نادت بها الثورة نادى بها من سبق الثورة من الزعماء السياسيين من تحديد الملكية ومجانية التعليم وتقريب الفوارق بين الطبقات ، فالدكتور طه حسين اعلن ان التعليم كالماء والهواء والدكتور خطاب طالب بتحديد الملكية بـ ٥٠ فدانا ، الى آخر هذه المبادئ التى ترسى جذورها الثورة بالقوة ، ولو لم تقم هذه الثورة فإن الدولة كانت بسبيلها الى اقرار هذه المبادئ بالطرق الدستورية والقانونية وليس بالطرق العسكرية ، وهذا هو الامر الطبيعى فكل مايسير ضد الطبيعة مقضى عليه لا محالة لأن قهر الطبيعة عسير ، على ان الفارق بين الحالتين هو الفارق الزمنى فقط اى ان كل ما ارست الثورة اسسه من مبادئ عن طريق كبت الحريات وتكميم الافواه ، كان سيتم تطبيقه بعد سنوات قد تصل الى عشر او عشرين ولكن بطريقة اكثر دراسة واكثر مطابقة لرغبات الشعب وآماله ، واكثر بعدا عن الهزات والنكسات التى تمنع وتعطل تقدم الشعوب وازدهار الحضارات

المهم ان ماحدث لى وما كنت اسمعه من نقد مرير للثورة وقادتها لم يمنعنى من الاصرار على مواصلة تقديم البرامج ، وانما كل ماحدث اننى أوقفت برنامج «موضوع الاسبوع» وقدمت برنامجا اخر بعنوان «حوار» وهو الذى تطور فيما بعد الى برنامج «المائدة المستديرة» واستمر احمد فراج يقدمه لفترة طويلة .

وبينما انا مشغول هكذا استدعانى صالح جودت وابلغنى ان الثورة تطلب اعداد برنامج تطلق عليه «امة العرب» وستعمل فيه مع احمد سعيد على ونادية توفيق ، وقد لا يعرف كثيرون ان هذا البرنامج كان هو النواة لبرنامج صوت العرب الذى انشئ فيما بعد فى يوليو عام ١٩٥٣ اى بعد قيام الثورة بعام ، وقبل بداية عملنا تساءلنا بفضول الاذاعيين كيف طلبت الثورة الاعداد لهذا البرنامج ؟ وكانت الاجابة ان على صبرى اتصل تليفونيا بمراقب الاحاديث صالح جودت واوفد اليه احد ضباط الثورة وهو كمال عبد الحميد الذى عمل فيما بعد فى الشئون العربية .

على اية حال بدأنا ثلاثتنا أنا وأحمد سعيد ونادية توفيق فى الاعداد للبرنامج ، وطلب منا اعداد علامة مميزة تمهد لاذاعته ، وكان نشيد «امجاد يا عرب امجاد» الذى انشده المطرب المبدع كارم محمود خصيصا لهذا البرنامج ، وحتى هذا الوقت كان للعرب امجاد ولكن فيما بعد تبخرت هذه الامجاد واصبح العرب فى حالة من التفكك والتفسخ يرثى لها ، واستمر البرنامج يذاع على هذا النحو ، الى ان رئى تغير اسمه باسم «صوت العرب» وتشكيل ادارة تشرف عليه ، واختير احمد سعيد مديرا لها بوصفه اقدمنا فى التخرج فقد تخرج فى كلية الحقوق عام ١٩٥٠ بينما تخرجت أنا فى كلية الآداب عام ١٩٥١ ، وقبلت نادية توفيق العمل فى صوت العرب ، واستمرت فيه الى ان وصلت الى مدير برامج به واخيرا مستشارة لرئيس الاذاعة ، ولكننى رفضت انا ان ابقى فى صوت العرب رغم تمسك صالح جودت واحمد سعيد ببقائى ، وكانت حجتى آنذاك أننى لو بقيت فى صوت العرب سأستمر الى الابد نائبا لمديره والاذاعة مازالت بكرا ويمكن ان اتولى عملا اكون انا نواته أكون الرجل الاول فيه لا الرجل الثانى ، ولكننى لم احدد هذا العمل ، ومنذ هذه اللحظة افترق العمل بينى وبين احمد سعيد بينما ظلت الصداقة تربطنا لم اكن اعلم ان خلافى هذا سيصل الى قيادة الثورة العليا ، ولم اكن اعلم ان اسمى يتداول على هذا المستوى العالى ، الى ان فوجئت بمن أوفدته لى قيادة الثورة ليبحث الأمر معى ، وكان شابا رقيقا الى ابعد حدود الرقة ، سأل عنى وعرفت على التو انه اليوزباشى على شوقى الحديدى الذى كان يعمل سكرتيرا لصلاح سالم ومعروف لكل الاذاعيين،

واستفسر منى عن الامر ، فسألته الى هذا الحد انا معروف على هذا المستوى ؟ فتوقف لحظة وقال ان المخابرات تتابع ما تقدم من برامج وقد اقرت بأنها برامج جيدة ، وكانت هذه أول مرة اسمع فيها كلمة «مخابرات» وسألته عن هدف ومضمون هذه الكلمة ، فشرحها لى ببساطة شديدة جدا فقال «إنها ادارة يعمل فيها عدد من الضباط الاكفاء ، يستمعون لكل مايذاع فى الداخل والخارج عن مصر وما ينشر عنها فى الصحف الداخلية والخارجية وتقيم ما يكتب ويذاع ، وتصنف الكتاب ومن يعملون فى الاذاعة ، وانت واحد منهم ، ومنذ ذلك التاريخ ربطتنى صداقة وعلاقة وطيده بمحمد على شوقى الحديدى الذى أصبح فيما بعد سفيرا بوزارة الخارجية ، وعرفت منذ هذه اللحظة ان كل مايذاع او ينشر مرصود ، وعرفت فيما بعد بأن كل العاملين فى حقل الاعلام لهم ملفات فى هذه الادارة ، بل وتجرى التحريات عليهم والغريب ان محمد على شوقى قدم الى وفى جعبته خلا لموضوعى ، بعد ان تناقشنا وتحاورنا عرض على ان اعمل مندوبا للأخبار ممثلا للاذاعة ، وقبلت على الفور فقد سبق لى ان مارست هذا العمل وانا طالب فى كلية الآداب وفيما بعد وانا أحد العاملين فى ادارة العلاقات الخارجية ، وطلب منى ان اتوجه على الفور الى الشئون السياسية فى الدور الثانى من مبنى الاذاعة العتيد، فى الشريفين ، لالتقى بمديرها وكان فى هذا الوقت الدكتور لهيطة . وهناك التقيت بيحيى ابو بكر وسعد لبيب ومحمد سعيد صبرى وتطورت حياتى تطورا لم اكن اتخيله او احلم به .

إختـرت أن ألتقى بأصحاب الوجوه العشرة الذين غيروا وجه مصر

لم اتخيل اننى بانضمامى الى اسرة العمل الاخبارى بالاذاعة سألقى المشقة والمتاعب التى تفوق طاقة البشر ، ولم اكن اتخيل اننى سأتبادل المقالب الصحفية مع زملائى الصحفيين فى منافسة شريفة لاعلاء شأن هذه المهنة المقدسة ، مهنة المتاعب كما يطلقون عليها ، ولكننى اعترف ان هذه المهنة صادفت هوى نفسى لم اكن اتبينه وانا فى هذه السن المبكرة فى حياتى ، فأقبلت عليها اعطيها وتعطينى ، أعطيتها جهدى وعرقى واخلاصى ، فأعطتنى المعرفة والتجربة ، صقلت مداركى وزادت من دائرة معارفى من عليه القوم والمسئولين المرموقين الذين يتوق كل شاب الى معرفتهم والالتقاء بهم ، لمعرفة اسرار الحكم وخفاياه فى فترة دسمة من الاحداث من تاريخ مصر الحديث ، غنية بتياراتها السطحية والتحتية ، التى لايقوى على رصدها شخص واحد مثلى ، مهما أوتى من قدرة ومقدرة ، حتى ولو كان من الذين صنعوا احداثها او شارك فيها او اؤتمن على عديد من الاسرار التى حفلت بها ، ولست هنا راصدا لهذه الاحداث ولا محللا لها ، وانما مسجلا لذكريات كما هى دون تعليق او ابداء رأى فيها ، وانما ارويها فقط تاركا للقارئ تقييمها كما يشاء مستنتجا مغزاها ومعناها كما يحلو له .

نحن الآن على مشارف نهاية عام ١٩٥٣ الثورة تحارب فى جبهات متعددة ، داخلية وخارجية ، وتجتاز البرزخ الذى يفصل بين نجاحها وفشلها ، مباحثات الجلاء مع بريطانيا مقطوعة ، وخطواتها فى السودان لم تصادف التوفيق المطلوب ، واسرائيل تتحرش بها ، وبريطانيا وامريكا والغرب كله يعاديها ويتآمر عليها ، والخلاف بين محمد نجيب وعبد الناصر ظاهر على السطح والدلائل كلها تنبئ بعدم اللقاء بينهما ، وان المعركة بينهما لابد ان تضحى بواحد منهما ، والشائعات تمسك بتلابيبها وخناقها ، ويغذيها الذين عزلتهم وابعدتهم عن الحكم ، ويتناولونها بالنقد والتجريح فى المجتمعات والمنتديات .

فى هذا الجو المشحون كلفت فى بداية عملى الاخبارى بتغطية مؤتمر صحفى كان من المقرر ان يعقده القائم اركان حرب عبد الفتاح فؤاد رئيس لجنة تنظيم احدى احتفالات الثورة وعضوية كل من القائم مقام اركان حرب يوسف البحرودى وقائد الجناح وجيه اباظة والصاغ اركان حرب ابراهيم الطحاوى بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير

، وذهبت واديت عملي كما ينبغي ان يكون من الدقة والموضوعية ، وأمليت الاذاعة وقائع المؤتمر كما شهدتها دون زيادة او نقصان ، وذهبت الى منزلى قرير العين سعيدا بما فعلت ، ولكننى ووجهت فى اليوم التالى بما لم يكن فى الحسبان وبما لا يمكن ان يصل اليه الخيال ، فما ان اقدمت على زملائي احييهم تحية الصباح ، وجدت وجوههم عابسة تنم عن شئ مكروه حدث لا أفهمه ولا أعرفه ، ولم تمض لحظات حتى جاء من ينادينى لمقابلة يحى ابو بكر رئيس الأخبار بالاذاعة وكانت تربطنى به علاقة تمتد لأعوام سبقت ، فقد كان من الشبان الذين يترددون على دار مجلة الفصول فى شارع شريف فى اعوام ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ للمشاركة فى تحريرها ، وكنت انا اتردد عليها وانا طالب فى كلية الآداب بحكم أن رئيس تحريرها وصاحبها كان شقيقى وهو الكاتب الراحل محمد زكى عبد القادر ، ولكننى وجدت ابو بكر هذه المرة على غير ما عهدت فيه من دماثة الخلق ورقة اللفظ وحلاوة الاستقبال ، وجدته مكفهر الوجه متحفزا .. وابتدرنى قائلا «لقد استهللت عملك الاخبارى استهلالا غير طيب لا ينبئ بمستقبل مشرق كما كنت اتعشم فيك» فاستفسرت منه «ماذا ارتكبت من خطأ استوجب هذا الكلام الخطير الماس بشخصى وكرامتى» وياالهول ما سمعت منه باننى لم أحضر المؤتمر الصحفى الذى كلفت بتغطيته واننى حصلت على ماحصلت عليه من مندوبى الصحف والمجلات الذين حضروا هذا المؤتمر وأخذت منهم وأمليت الاذاعة ، وهذا تصرف خطير ، وصمت برهة لا أعرف كيف أرد هذا الاتهام فلابد لى من دليل يدحضه ، وكان معى الدليل لحسن حظى ، فقد كانت جريدة الجمهورية التى نشرت صورة لهذا المؤتمر وكنت من بين الحاضرين فيها ، وتركت مكتبه لأحضرها ، وأطلعته على الصورة ، فأخذ يضرب كفا بكف ، واعتذر لى عن كل كلمة مؤلمة وجهها لى ، وقال سأعرف كيف اقتص ممن وشوا بك ، وكنت أنوى اطالة فترة تدريبك على العمل الصحفى قبل ان أحدد لك المصدر الذى ستعمل به بصفة الدوام ، ولكى أزيل هذا اللبس فأنا أعرض عليك مصدرين لتختار واحدا منهما ، أمامك مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة أو جامعة الدول العربية الأكثر قربا من مبنى الاذاعة فى الشريفين ، فلم يكن مقر الجامعة العربية قد نقل الى المقر الجيد على الكورنيش ، واخترت على الفور مجلس قيادة الثورة كى التقى بهؤلاء النجوم العشرة الذين غيروا وجه مصر وأعلنوا الجمهورية وأسقطوا الملكية التى استمرت تحكم مصر ما يقرب من قرن ونصف قرن .

مازلت أحتفظ بهذه الصورة التى برأتنى من اتهام كاذب ، والتى لولاها لتعثرت فى طريقى ولما وصلت الى ما وصلت اليه من مركز مرموق أفخر به ، وربما

تغير طريقى نهائيا وأقصيت عن عمل أهواه وحلمت به منذ وطأت قدماى كلية الآداب فى جامعة القاهرة .

ومع هذه الواقعة ازداد إيمانى بأنه مهما كنت مظلوما ومهما تألب عليك الأعداء فالله سبحانه وتعالى سيظهر براءتك بدليل لم تصنعه او تسعى اليه ، «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» وذهبت الى مقر مجلس قيادة الثورة وكلي ثقة اننى سأكون عند مستوى المسئولية التى القيت على عاتقى ، ذهبت اليه وأنا فى ضميرى ألا أسمع أو أرى أو أتكلم خوفا من ان أقع كما وقع غيرى من قبل تحت طائلة المسئولية والعقاب لو اننى أبحت بما أراه أو أسمعه وهناك التقيت بعدد من مندوبى الصحف ، من بينهم ممدوح طه مندوب الأهرام الذى أصبح فيما بعد رئيسا لقسم الأخبار بالأهرام وممدوح رضا مندوب روز اليوسف رئيس مجلس ادارة دار التعاون الآن وجلال طنطاوى واسماعيل الشافعى ومحمد البطوطى وغيرهم ، من كبار الصحفيين وقتذاك كان يتردد على مجلس الثورة محمد حسنين هيكل واحسان عبد القدوس وغيرهما .

لم يصرح لى بدخول مبنى الثورة الا بعد ان أجريت على تحريات دقيقة ، سئلت فيها عن كل أفراد عائلتى ، وجرت متابعة لى فترة من جهات الأمن فى ذهابى ومغادرتى مبنى الاذاعة فى الشريفين ، وأخيرا حصلت على بطاقة الدخول ، وبعد كل هذا الجهد عندما قاربت المبنى استوقفتنى الحراسة ولازمنى أحدهم الى المدخل ، وقدم بطاقتى الى الضابط المسئول الذى أجرى بعض الاتصالات التى لم أتبينها ، اذا كانت خاصة بى أو بغيرى ، ولكنه بعد أن أنهى هذه الاتصالات سمح لى بالدخول وصحبنى حارس آخر الى غرفة الصحافة فى الدور الأرضى ، وتسمرت فيها لم أتحرك إما خوفا وأما عن عدم معرفة بما يجرى فى هذا المبنى من تعليمات وأوامر ، لكننى علمت أن محكمة الثورة تعقد جلساتها فى إحدى القاعات الجانبية ، وتحركت مع زملائى لمشاهدتها ورصد ما يقال فيها وبدأ دولاب العمل يتحرك ، فألفت المبنى والأشخاص بسرعة مذهلة ، بينما نحن جالسون فى غرفتنا سمعت من ينادينا فهرعنا الى الدور الثانى وحصلنا على قرار بمصادرة أموال وممتلكات أسرة محمد على ورد أموال أحمد عرابى لورثته وقرار بحظر التعامل وتداول المواد الغذائية مع الانجليز وبينما نحن الصحفيين منهمكون فى إبلاغ هذه الأنباء الهامة ، إذا بمن يعلن «حرس» وبعد برهة نزل جمال عبد الناصر ، والتففنا حوله ، وحيانا جميعا ولكنه خصنى بحوار وأسئلة واستجوابات وأنا المفروض أن أسأله واستفسر منه .

حـوار بينى وبـين عبـد النـاصر بعده وافق على وجودى فى مجلس الثورة !

كان عبد الناصر يرفض تغيير الوجوه التى تحيط به وتعمل معه ، سواء من المدنيين أو العسكريين ، ولذلك انحصر الذين يعملون معه فى القوات المسلحة فى عدد من الضباط اطلق عليهم «الضباط الأحرار» وانحصر الذين يعملون معه من المدنيين على عدد لا يتعدى أصابع اليد الواحدة برز منهم فى هذا الوقت الدكتور «محمود فوزى» الذى استعانت به الثورة ليتولى وزارة الخارجية وكان دبلوماسياً مخضرماً مشهوداً له بالكفاءة وله مدرسة تتميز بالدبلوماسية الهادئة والعلم والثقافة والمهندس «سيد مرعى» الذى تولى شئون وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى ، وكان يمثل فى نظر الثورة طائفة المخلصين للثورة من الباشوات والاقطاعيين ، و «فتحى رضوان» الذى تولى وزارة الارشاد القومى لمدة ٧٣ شهرا روى ذكرياته عنها فى كتابه اصدره أخيراً ، والدكتور «فؤاد جلال» الذى كان حلقة الوصل بين الثورة وبين المدنيين الذين اختارتهم الثورة عندما أرادت تشكيل لجنة تشريعية لوضع الدستور وبحث الشئون الاقتصادية وهى اللجان التى لم تستكمل مهمتها وصرف النظر عنها وعادت الثورة الى الحكم الشمولى ونظام الحزب الواحد الذى بدأ بهيئة التحرير وانتهى بالاتحاد الاشتراكى مرورا بالاتحاد القومى ، وقد شهدنا الكثيرين من المدنيين الذين لمعوا وانطفأوا فى فترة زمنية وجيزة ، إما لأن ايمانهم بمبادئ الثورة لم يكن نابعاً من ضميرهم ووجدانهم فاقصتهم الثورة وإما لأن افكارهم لم تتوافق مع أفكار رجال مجلس الثورة وعزلوهم على الفور ، ولكن اثنين عمرا مع الثورة وهما المهندس سيد مرعى والدكتور محمود فوزى الى أن أضيف اليهم جيل اساتذة الجامعة الذين استعان بهم عبد الناصر فيما بعد وضمهم أعضاء فى وزارته وبرز منهم الدكتور عبد العزيز حجازى والدكتور مصطفى خليل والدكتور عزيز صدقى .

أردت بهذا العرض أن أبين كيف كانت الدائرة التى تحيط بعبد الناصر ضيقة وكيف انها كانت معروفة لديه معرفة تامة حتى قيل عنه انه كان يعرف كل من يعمل فى مجلس الثورة بالجزيرة بدءا من الحرس المتسمر على بابه والحرس المحيط به ونهاية بالسعادة والفراشين والعاملين فى الأرشيف والمحفوظات ، وهو المبنى الذى كان يتردد عليه يومياً وهو وزير للداخلية ، ونفس الأمر فى منزله الذى كان يقيم به فى منشية البكرى فكان يعرف كل المقيمين فيه من الحرس والضباط والعاملين

معرفة كاملة ولذلك لما انضممت الى اسطول المترددين على مجلس الثورة بعد تحريات شملت اقاربى ومعارفى وأهلى وعشيرتى لم يكتف عبد الناصر بالمعلومات الموافرة لديه عنى وانما لم يكد أن يرانى لأول مرة بين مندوبى الصحف والمجلات والوكالات الملتفين حوله حتى أدار معى حوارا وكأنه يريد أن يستكمل المعلومات عنى ، فابتدرنى بسؤاله : كيف جئت الى هنا ؟ .. ولما أجبته : بالصدفة .. ارتسمت علامات الدهشة والاستغراب على وجهه وطلب منى التوضيح كاملا ، نوع دراستى مؤهلاتى من الذين اختارونى لأنال شرف الالتقاء به يومياً ، ولما اطمأن لى ، فاجأنى بأنه يعرف وقائع أول مقابلة لى معه فى هذا المبنى العتيد .. وفى مكتبه ويتذكرها وكأنها تحدث اليوم وكان قد مر عليها ما يقرب من عامين ، فقد كان يتميز بذاكرة حديدية لا تخطئ ولا تنسى رغم هموم الحكم فى تلك الظروف الصعبة التي تمر بها ثورته ، وكان له عينان جريئتان قويتان تحملك على الاعتراف له بكل شئ حتى أدق الدقائق فى حياتك ، وهذا ما فعلته فى حواري معه ، واذا به وكأنه يحقق معى قائلاً : لقد جئت لى بحوار كنت قد أجريته مع الدكتور محمد صلاح الدين عن السودان ويومها سألتك لماذا اخترت صلاح الدين بالذات وكان تبريرك لأنه اختير رئيساً لبعثة المحامين التى كانت قد زارت السودان ، واليوم أسألك وأريدك أن تصدقنى القول هل تربطك به علاقة أخرى كأن تكون وفدياً مثله ؟ ولما أجبته بالنفى وأقسمت له أننى لم أنتم لأى حزب من الأحزاب لا الوفد ولا الدستوريين ولا السعديين أو غيرهم ، قال : ولا الاخوان المسلمين وأجبته بالنفى القاطع ، فى هذه اللحظة شعرت أن عبد الناصر اعتمد استمرار وجودى مندوباً للاذاعة بجواره فى مجلس الثورة ، وأشار للزملاء من الصحفيين لأن يبدأوا اسئلتهم .

لم تكن أجهزة الاعلام فى هذا الوقت قد تطورت التطور التى وصلت اليه اليوم ، فلم يكن هناك مصدر للخبر سوى نحن مندوبى الصحف والاذاعة ، وكان رؤساء التحرير ومدير الاذاعة ينتظرون مندوبهم على أحر من الجمر ليقفوا على آخر الأخبار المجاز منها للنشر وغير المجاز وما جد من أحداث تلقى الضوء على المستقبل لمعرفة موقف الثورة وقدرتها على ادارة دفة الأمور ، بعد أن انتهت من تطهير الاداة الحكومية وخلصتها من مؤيدى رجال الأحزاب السياسية بوصفهم متعاطفين معهم مؤمنين بهم بعد أن ساقت الثورة زعماءهم الى السجن - فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج ، وابراهيم عبد الهادى وغيرهم - وأصبحت الجبهة الداخلية تبدو هادئة ولم يكن الأمر كذلك ، وانما الهدوء الظاهر كان سببه مهادنة الثورة للاخوان المسلمين عندما

كانت تصفى رجال الأحزاب معنويا واجتماعيا ، وكان رجال الثورة يؤكدون مساندة الجبهة الداخلية لهم من واقع الاستقبالات الرائعة التى قوبل بها عبد الناصر فى جولاته فى أنحاء الجمهورية يوزع الأرض على المنتفعين بقانون الاصلاح الزراعى فى الفاروقية والبحيرة والمحلة الكبرى والشرقية وغيرها واستقبال المواطنين لقرارات الثورة باقامة مشروعات عملاقة منها مشروع مصنع الحديد والصلب والوحدات المجمعة للرعاية الاجتماعية وانشاء كورنيش النيل وتجميل مداخل القاهرة وتجديد خط سكة حديد حلوان وصدور عدة قرارات تهدف الى حماية المنتجات الوطنية وفرض رسوم على المنتجات الصناعية المستوردة التى لها مثيل من الصناعات الوطنية وهو ما أعيد العمل به بعد مرور ٣٢ عاما عليه ..

لما اطمأنت الثورة الى سلامة الجبهة الداخلية وصلابتها رفعت درجة حرارة تعاملها مع الانجليز الرابضين في القناة فأصدرت قرارا بحظر التعامل وتداول المواد الغذائية مع الانجليز واعلن عبد الناصر ان الاستعمار لن يخرج بالكلام ولكن بالقوة ، واشتدت المقاومة فى القناة واتخذت وضعاً لا يمكن الرجوع عنه إلا باجلاء الانجليز واعلان استقلال مصر وتشجعت القيادة السياسية واعلنت قطع المفاوضات مع الانجليز حتى تسلم بريطانيا بالمطالب الوطنية ، وكانت الاذاعة تنقل كل هذه الأحداث بالخبر والتعليق والتسجيل بكفاءة تامة حتى ان عبد الناصر كلفنى بأن انقل الى محمد أمين حماد مدير الاذاعة تقديره له وللعاملين معه من الاذاعيين ..

مراسلون للصحف .. لا يعرفون القراءة والكتابة!

أفضيت الى محمد أمين حماد مدير الاذاعة بما كلفنى به جمال عبد الناصر ، فانفرجت أسارير الرجل وأخذ يردد : أنا أعمل هنا من أجل عبد الناصر ، وقال لى انظر هذه هى صورة عبد الناصر أضعها فى صدر غرفتى ولا أضع صورة محمد نجيب رئيس مجلس الثورة ، وأنا أعدك لو انك جئت لى باستقالة محمد نجيب أو اقالته سأرقيك على الفور الى الدرجة الخامسة ، وكان السلم الوظيفى لم يعدل الى ما هو عليه الآن ، فقد كان خريج الجامعة يعين فى الدرجة السادسة ويرقى كل أربع سنوات ثم كل ثلاث سنوات الى أن يصل إلى الدرجة الثانية ثم يرقى الى المدير العام ، وأنا لم يمض على بعد أكثر من سنتين .

خرجت من مكتب أمين حماد وأنا أفكر فيما قاله لى ، ليس فيما يختص بترقيتى ولكن فيما يخص محمد نجيب ، فهل كان الرجل يعلم ان تخطيط عبد الناصر موضوع على أساس التخلص من نجيب وان أيامه فى الحكم معدودة ؟ أم هو عام مع الموجة القوية وانحاز لها ، حتى يضمن لنفسه مستقبلاً مشرقاً كمدنى اصطفته الثورة دون المئات ليعمل معها ، وأنا أعلم أنه وثيق الصلة بسامى شرف كاتم سر عبد الناصر ، وأعلم أيضا أن الذى رشحه لهذا المنصب هو صلاح سالم وكان من ألمع نجوم مجلس الثورة العشرة ، ومعنى ذلك انه ينبغى ألا يمر كلام محمد أمين حماد دون التدقيق فيه وتطبيقه على ما يجرى أمامى من أحداث أشهدها داخل مجلس الثورة الذى أصبحت أتردد عليه منذ الصباح الباكر يومياً ولا أغادره إلا بعد أن يغادره عبد الناصر حتى ولو كان ذلك فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ، كما كان يحدث دائماً عندما ينعقد مجلس الثورة منذ الخامسة من بعد الظهر وحتى فجر اليوم التالى ، ولا يفضى أحد لنا بشئ يذكر عما دار فى هذا الزمن الطويل من نقاش حول أحداث الساعة أو القضايا التى تمس الجماهير وكان ذلك موضع تساؤل دائم منا نحن مندوبى الصحف والاذاعة والوكالات ومن سائر جماهير الشعب التى أيدت الثورة على أمل أن تصنع لهم الثورة مستقبلاً أطيب مما كانوا يعيشون فيه فى ظل الملكية التى أسقطتها .

على أية حال كان وجودى الدائم والمستمر فى مجلس الثورة - مصنع الأحداث - يتيح لى فرصة الالتقاء بالذين يديرون دفة الأحداث فى مصر فى فترة من أصعب

الفترات التى مرت بها ، أتأمل وجوههم وحركاتهم واشاراتهم وأحاديثهم وفكرهم وأطبقه على أفعالهم وأعمالهم وقراراتهم لعلى أجد اجابة على السؤال المحير ، هل سيكتب للثورة النجاح اما أنها ستمنى بالفشل وان مجلس الثورة سيأكل بعضه كما حدث فى الثورات التى قامت قبلها وسيطرت عليها القوات المسلحة ومصداقاً لما كانت تردده أجهزة الاعلام الغربية والاذاعات التى وجهتها لمصر خصيصا لاحباط ثورتها ؟! وكنا نحن فى الاذاعة نعلم ونقرأ كل ما تذيعه هذه الاذاعات وغيرها عن طريق القسم الذى يستمع لها ويدون كل ما يسمعه فى نشرة ترسل الى المسئولين فى التو والحال وكنت حريصاً على اقتناء هذه النشرة وقراءتها بإمعان وتأن ، بالاضافة الى ان وزارة الخارجية كانت تعد تقريرا يصدر يوم الأحد من كل اسبوع تضمنه تطورات الأحداث بالنسبة لمصر وللثورة ، وكنت أحرص أيضاً على الحصول على هذا التقرير .

لم أفعل كل هذا من فراغ وانما دفعنى اليه حادثة شهدتها بنفسى ، فقد كان عدد من مندوبى الصحف فى هذا الوقت غير مؤهلين ، بل كان من بينهم من لا يعرف القراءة والكتابة والغريب انه كان يراسل الصحف الأجنبية التي تصدر فى مصر ، وكان كل ما يفعله أن يروى للمحرر بالتليفون تفاصيل ما يدور فى مجلس الثورة دون أن يكتب حرفاً واحدا ، ويصيغ المحرر ما سمعه باللغة الأجنبية سواء أكانت انجليزية أم فرنسية ، وبسبب هذه الظروف كانت الحادثة التى هزتنى هزا عنيفاً ، فقد كنا نتحاور مع عبد الناصر فى أحد لقاءاتنا معه نحن مندوبى الصحف والاذاعة - وجاء فى الحوار اسم أندونيسيا ونطقها زميل امام عبد الناصر بأندونيسيا بتسكين النون واذا بعبد الناصر يصحح له نطقها ويترك الحوار ويتحدث عن الثقافة والمعرفة وأهميتهما للصحفى الناجح ونزل كلامه على وعلى غيرى من الزملاء المثقفين من بين المجموعة نزول الصاعقة .

ولنعد الى ما كان يجرى فى مجلس الثورة ، فلم يكن الخلاف الوحيد القائم هو الذى بين مجلس الثورة ومحمد نجيب أو بين عبد الناصر ونجيب فقد كان هناك خلاف فى الفكر والنشأة بين أعضاء مجلس الثورة ، وقد ظهر هذا الخلاف منذ الاجتماعات الأولى لمجلس الثورة عند مناقشة سائر المشاكل الا أن الجميع كان يجمعهم هدف واحد ، وعلى العموم فالتيارات الفكرية التى سرت بينهم لم تخرج عن التيارات الفكرية السارية فى مجتمعنا ، فقد كان بينهم من يرفض التطور ويحاول ابقاء الوضع على ما هو عليه مع محاولة تحسينه وتقويته فى نطاق الدائرة القائمة ، وهذا

هو اليمين الجاهد ، وأغلب هؤلاء كانوا ممن ينتسبون الى رجال السياسة والأحزاب أما عن طريق القرابة أو ممن تأثروا بهم فكريا وثقافيا واجتماعيا ، وقد استمر هؤلاء فرامل لكل تطور فى مسيرة الثورة الى ان استبعدوا أما بالاستقالة أو الاقالة ، وهناك منهم من آمن بالتطور المحدود فى نطاق النظام الرأسمالى وعدم الخروج على الغرب كحلفاء اقوياء معاونين للبلاد فى أوقات الشدة والأزمات وكانت لهم فلسفة خاصة للدفاع عن هذا الرأى ، ومن بينهم أيضا من آمن بسياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى كحل للصراع القائم بين الكتلتين العظميين ، ويقينى أن هذا الجناح كان مؤيدا للاشتراكية كحل حتمي لمشاكل البلاد ولكن ليست الاشتراكية أو الشيوعية التي نادى بها ماركس أو لينين ، كما كان هناك جناح آخر يؤمن أشد الايمان ، ويرى ضرورة تطبيق الأحكام الواردة في القرآن أو على الأقل اختيار الاشتراكية التى تتناسب مع ما جاء فى الدين من أحكام وتعليمات وتقاليد ، وهذه الطبقة بطبيعة تكوينها كانت شديدة العطف على جماعة الاخوان المسلمين حتى فى الأوقات التى اعلنت فيها الثورة الحرب على الاخوان وزجت بهم فى المعتقلات بالجملة ، ولم يتحولوا عن رأيهم وتبين للثورة أن للاخوان المسلمين أكثر من تنظيم بحيث اذا اعتقل التنظيم الأول حل محله التنظيم الذى يليه بترتيب حركى محكم دقيق ، وهناك اليسار المتطرف الذى لا يريد بديلاً عن الاشتراكية اللينينية المركسية ، وهؤلاء تعرضوا للاعتقال والتشريد تارة وللافراج والمهادنة تارة أخرى ، إلا أنهم استمروا على ايمانهم وعقيدتهم يدافعون عنها ويتحملون الأذى فى سبيل تطبيقها والمناداة بها .

عشت الخلافات بين قادة ثورة يوليو
«صلاح سالم» يغضب لأنى اذعت اسمه ضمن من استقبلهم «عبد الناصر» !
و «عبد الناصر» يأمر بقطع الاذاعة على الهواء اثناء خطاب «صلاح سالم»

كان مفروضاً على عبد الناصر ان يوفق بين التيارات المتضاربة والمتصارعة القائمة بين أعضاء مجلس الثورة لكى تستمر الثورة وتشق طريقها وسط الأهوال والعقبات التى سدت طريقها وكان مفروضا عليه أيضا أن يوفق بين التيارات القائمة وبين جماهير الشعب لتتكون من خلفه جبهة داخلية قوية تشكل خط الدفاع الأول ضد المتآمرين على الثورة فى الداخل والخارج ، وكانت تلك مهمة صعبة ، ولكن عبد الناصر ادارها بمهارة فائقة سواء من خلال علاقاته بأعضاء مجلس الثورة أو علاقة الأعضاء بعضهم مع البعض الآخر ، فقد استمر مجلس الثورة يمتص خلافاته ويجترها ويخفيها عن الشعب لمدة سنوات ، وان بدت ظواهر هذه الخلافات بعد شهور قليلة من قيام الثورة متمثلة فى استبعاد يوسف صديق عن المجلس لميوله المتطرفة أو لتهوره رغم انه كان من العمد الأساسية للثورة فهو الذى قام باحتلال مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بالقبة مع انه كان يشكو من نزيف حاد ، ولكن استقالته واثرها ضاعت وسط ضجة قيام الثورة والقرارات الثورية الأولى التى صادفت هوى كبيرا لدى جماهير الشعب ، فضلا عن انه لم يكن معروفاً جماهيريا أكثر من ان اسمه ذكر بين اعضاء الثورة ، ومن بعده كانت معركة ابعاد محمد نجيب التى احدثت ضجة كبيرة كادت ان يتغير بسببها مجرى الثورة لتتحول الى ثورة مدنية بعد عودة الجيش الى ثكناته ، ولكن حنكة عبد الناصر ودهاءه ابقت على الحكم العسكرى دون عودته الى المدنيين ، باحناء رأسه للعاصفة الى أن يتمكن فقبل - امتصاصا لغضب الجماهير - ان يبقى محمد نجيب رئيساً للجمهورية فقط ويتولى عبد الناصر رئاسة الوزارة ، وأصبح عبد الناصر يتردد على مجلس الثورة فى الجزيرة أياما من كل اسبوع ويتردد على مقر مجلس الوزراء فى لاظوغلى الأيام الأخرى .. إلى أن سنحت له الفرصة للتخلص من محمد نجيب نهائيا ليصبح هو رئيسا لمجلس الثورة ولمجلس الوزراء ورئيساً للجمهورية ويضع بذلك كل السلطات فى يديه ، وقد حدث فى أول اجتماع عقده عبد الناصر للوزراء بعد التعديل الجديد ، ان فوجئنا بمحمد

نجيب يصل الى مجلس الوزراء ويدخل على المجتمعين لمدة خمس دقائق ثم يغادر الاجتماع ، ويومها سمعنا أن محمد نجيب ربت على كتف عبد الناصر وقال له : «مبسوط .. أصبحت رئيساً لمجلس الوزراء وانصرف فى الحال والواقع أن محمد نجيب كان يفعل ذلك وهو رئيس لمجلس الثورة من قبل ، فلم يحدث مرة أن حضراجتماعاً لمجلس الثورة كاملا ولكن غالباً ما كان يحضر جانباً منه وينصرف ، وكنا - نحن مندوبى الصحف والاذاعة والوكالات - عندما نسأله عن الأسباب التى جعلته يترك الاجتماع بمثل هذه السرعة كانت اجابته دائما عبارة لم تتغير «ربنا يكفينا شر انفسنا» وكنا نأخذ من هذه العبارة أن الخلافات متفاقمة بين أعضاء مجلس الثورة ونجيب من جانب وبين أعضاء مجلس الثورة من جانب آخر ، لذلك لم نستغرب ما آل اليه الوضع بالنسبة لنجيب ومن بعده صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وزكريا محيى الدين وغيرهم حتى ان عبد الناصر وافته المنية فى سبتمبر عام ١٩٧٠ ولم يبق فى الحكم من العسكريين اعضاء مجلس الثورة أنور السادات وحسين الشافعى وقد تمت استقالة هؤلاء جميعاً أو اقالتهم ولم تصدر الثورة بيانا رسميا واحدا توضح فيه أسباب هذه الاستقالات ، الأمر الذى أعطى الفرصة للشائعات لتحوم حول اسم كل من استقال أو اقيل ، فرغم ان الثورة الغت الأحزاب بقانون الا أن التنظيم الشيوعى وتنظيم الاخوان المسلمين استمرا فى شبه حزب غير رسمى واستمرت اجتماعاتهم لتقييم ما اقدمت الثورة عليه من قرارات وانضم اليهم اليمينيون من الساسة الذين كانوا أعضاء فى حزب الوفد والأحرار الدستوريين والسعديين واستمر الجميع بوتقة للشائعات المضادة لكل الاجراءات التى قامت بها الثورة ، واستمر المد اليمينى يطفو على السطح كلما اصيبت الثورة بنكسة من النكسات واستمر هذا اليمين يختفى كلما احرزت الثورة نصرا من الانتصارات ، ووسط الطرفين المتناقضين - الاخوان المسلمون والشيوعيون .

باختصار شديد فان عبد الناصر وهو يحاول خلق جبهة داخلية قوية تنصهر فيها كل هذه التيارات اقدم على محاكمة السياسيين امام محكمة الثورة برئاسة بغدادى التى تم فيها تعريتهم تماما ، واعتقل منهم من اعتقل وصدرت الاحكام ضد الغالبية العظمى منهم ، وكان هؤلاء يتمتعون بتأييد شعبى كبير خاصة اعضاء حزب الوفد ، وبالطبع أثر كل هذا على شعبية عبد الناصر هذا بجانب محكمة الغدر التى كانت تحاكم هؤلاء السياسيين بتهمة انهم ارتكبوا مخالفات مالية واختلاسات من أموال

الدولة التى هى أموال الشعب ، حتى انه لم يعد هناك بيت فى مصر الا وهو مجروح من عبد الناصر ، فإما كان لديه معتقل بتهمة انتمائه للاخوان المسلمين ، واما انه يمت بصلة القرابة لسياسى حوكم ونكل به ، واما كان لديه من خرج فى التطهير وأصبح يعانى الأهوال للحصول على لقمة العيش .

وبينما عبد الناصر يعانى كل هذا فوجئت فى يوم وأنا ارقب الأحداث فى مجلس الشورة بصلاح سالم يستدعينى معترضا على صياغه اخبار مجلس الثورة فى نشرة الأخبار بالاذاعة وفى الصحف وكانت دهشتى انه كان مستاء من ذكر اسمه بين من استقبلهم عبد الناصر ويصدر تعليماته بأنه إذا وجد عضو مجلس الثورة فى اجتماع مع عبد الناصر لا يكتب الخبر «أستقبل عبد الناصر فلانا وفلانا ومن بينهم عضو مجلس الثورة» وانما يكتب بأن عبد الناصر وعضو مجلس الثورة وليكن صلاح سالم قد استقبلا فلانا وفلانا ، ذلك لأن كل أعضاء مجلس الثورة على قدم المساواة مع عبد الناصر ، هنا شعرت ان الخلاف بدأ يدب بين عبد الناصر وعدد من أعضاء مجلس الثورة وان الغيرة بينهم قد بدأت تسيطر على جميع تصرفاتهم ، وهنا أيضاً تذكرت واقعة أخرى فهمت منها أن أيام صلاح سالم معدودة ، فقد حدث انه أوفد لحضور مؤتمر فى سرسنك بالعراق وكلفنى محمد أمين حماد أن أسأل عبد الناصر عمن سيقوم بعمل صلاح سلام وزير الارشاد القومى فى حالة غيابه حتى يعرض عليه حماد أوراقه بوصف الاذاعة جزءا من وزارة الارشاد القومى ، وتقدمت لعبد الناصر وكان معه فى العربة أنور السادات واستفسرت منه عما طلبه مدير الاذاعة فإذا عبد الناصر يجيبنى بقوله سأتولى وزارة الارشاد سواء كان صلاح موجودا أو غير موجود «والتفت الى أنور السادات قائلا : والا ايه يا أنور ؟ ورد عليه السادات «تمام .. تمام ياافندم» وتذكرت واقعة أخرى حدثت فى أحد المؤتمرات الشعبية التي كان يحضرها عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة وكان المؤتمر فى الفيوم والاذاعة تنقل أحداثه على الهواء مباشرة ، ووقف صلاح سالم ليلقى خطابه أمام الجماهير المحتشدة ، وتناول فيه سياسة الثورة ازاء عدد من المسائل الهامة ومنها سياستها تجاه السودان ، ولم يلق خطاب صلاح سالم صدى فى نفس عبد الناصر ، وطلب على الفور قطع الاذاعة من على الهواء والعودة الى الاستوديو بعد أن تداول فى الأمر مع جمال سالم الذى كان موجودا فى الاحتفال جالساً بجوار عبد الناصر !

استمر الصراع المكتوم بين أعضاء مجلس قيادة الثورة يرسب فى القاع فترة طويلة ولم يظهر على السطح الا عندما رسخت أقدام الثورة على الطريق .. وخفت

حدة مقاومتها من الداخل والخارج معا الى حد ما ، وعندما حاول عبد الناصر أن يحول مجلس الثورة الى مجلس رئاسة ويعطى لأعضاء مجلس الثورة وزارات يشرفون عليها ويحاسبهم كوزراء لا كأعضاء مجلس الثورة ، وشتان بين الأمرين ، عندئذ فقط ظهر الصراع على السطح ، وأحس به العامة والخاصة ، وتناقلته وكالات الأنباء والاذاعات ، وكانت معظم تلك الصراعات على مسائل شخصية ذاتية ، أى صراعات على المناصب والسلطة لا صراعات على مبدأ أو فكر ، وتحليل هذا الأمر لا يدخل فى نطاق مذكراتنا ، فلنتركه جانباً ونبتعد عنه تاركين اياه لوقت آخر وفى مكان آخر .

.. ونجوت من مقالب الصحفيين !

المهم .. فى هذا الجو السياسى المشحون ، ومفاوضات الجلاء مقطوعة أو متوقفة وهجمات الفدائيين فى معسكرات الانجليز تشتد بحيث يستحيل على معسكرات الانجليز الدفاع عن نفسها ، كانت هناك حرب من نوع آخر بين المندوبين الاذاعيين ومندوبى الصحف فى كافة مصادر الأنباء ، على أساس أن مندوبى الاذاعة يحرقون الأخبار (بلغة الصحافة) على الصحف ، وهو أمر ينقص من قدر مندوبى الصحف ، وكنت أنا ممثل المندوبين الاذاعيين فى مجلس الثورة أهم مصدر من مصادر الأنباء ، وكانت أقدام المندوبين الاذاعيين قد رسخت فى السوق الاخبارية ، وأصبحت الاذاعة توافى المستمعين بالأخبار أولا بأول وكانت الثورة قد أحست بأهمية الاذاعة كوسيلة من وسائل الاعلام ، فرصدت لها الاعتمادات لتقوية موجاتها ومحطاتها بحيث أصبحت تسمع واضحة فى معظم أنحاء جمهوريات مصر ، لهذه الأسباب جميعاً شن مندوبو الصحف على حربا لا هوادة فيها وصلت الى حد تفكيرهم فى اعطائى منوم حتى لا أحصل على الأنباء وتوجهوا الى المسئولين عن الاذاعة وكانوا فى هذا الوقت صلاح سالم وفتحى رضوان وأمين حماد مدير الاذاعة ويحيى أبو بكر مدير الأخبار يطلبون منهم سحبى من مجلس الثورة ، ولكن هؤلاء المسئولين لم يستجيبوا لطلبهم وانما أفهموهم ان الاذاعة لا يمكن أن تكون حرباً على الصحف فكل منها وسيلة من وسائل الاعلام لا تنافس بينها لأن لكل منها ميزاتها وخصائصها التى تميزها عن الأخرى .

بعد هذه الجولة قاطعنى مندوبو الصحف وحرضوا مندوبى الوكالات على مقاطعتى أيضا ، وتبادلوا معى المقالب العديدة ، ولكى أحمى نفسى من أثر هذه المقالب كنت أتوجه الى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة فى الصباح الباكر ولا أغادر المكان إلا فى ساعة متأخرة من الليل بعد أن يغادره كل المسئولين ، ولم أكن أعرف أن وجودى على هذا النحو سيفتح لى باب اشتراكى فى العمل الصحفى ، فقد كان يتردد على مجلس الثورة فى هذا الوقت وفى مواعيد غريبة احسان عبد القدوس رئيس تحرير روز اليوسف فى كل مرة التقى به كان يسألنى عن الأخبار فأشبعه بها ، ثم يصعد حيث مكاتب جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة ويمضى ساعة أو ساعتين ثم يلقانى ويبلغنى أن كل ما أفضيت به اليه من أخبار صحيح سواء ما حدث منها وما سوف يحدث فى المستقبل ، وفى لقاء معه فى مجلس الثورة دار

بينى وبينه حديث عن عملى ، فقال لى : أعتقد أن كل ما لديك من أخبار لا يمكن أن تبلغه للاذاعة ، لأن الاذاعة لا تذيع سوى الأخبار التى حدثت بالفعل أو الأخبار الرسمية ، ولما أمنت على قوله ، طلب منى أن أكتب مالدى من أخبار وأرسلها الى دار(روز اليوسف) - وكانت فى هذا الوقت خلف مجلس الوزراء فى لاظوغلى - مكتوبة باسمه صباح كل يوم جمعة ، وقال لى ، سنعطيك على الخبر الصغير عشرين قرشاً والخبر الكبير خمسين قرشاً والصفحة ثلاثة جنيهات ، وفى آخر الاسبوع تتوجه الى خزينة الدار ، ستجد مبلغك محسوباً طبقاً لما نشر لك من أخبار ، ونفذت ما أشار على به ، وكنت أتقاضى كل أسبوع ما بين أربعة جنيهات وستة جنيهات وأحياناً ثمانية وفى أحيان قليلة عشرة جنيهات ، وهذا المبلغ يزيد كثيراً عما كنت اتقاضاه من الاذاعة ، فكنت فى كل مرة عندما اتسلم المبلغ أقول فى نفسى «حقاً رب ضارة نافعة» ، ولما أنشئت صباح الخير وتولى رئاسة تحريرها أحمد بهاء الدين طلب منى أن أكتب صفحتين عن الاذاعة تحت عنوان «اسمع» ، وهكذا كان موقف الصحفيين منى فاتحة خير لى ، فلم أتوقف عن الاسهام فى الكتابة فى الصحف منذ هذا التاريخ البعيد الى يومنا هذا .

ولنعد الى ما بينى وبين مندوبى الصحف فى مجلس الثورة ، فقد حدث أن تأخرت يوما فى وصولى الى مجلس الثورة ، وفوجئت بتسابقهم لاعطائى نبأ مفادة أن مزادا لبيع محتويات القصور سيتم فى القصر الجمهورى فى القبة يوم ١٢ مارس، وطلبوا منى موافاة الاذاعة بالنبأ على الفور ، ولكنى تشككت فى هذا الرضا المفاجئ على وخفت أن يكون الخبر مدسوسا على ، فلم أمليه للاذاعة ، ولكنى اتصلت بسعاد القاضى فى الاذاعة وكانت زميلة لى فى كلية الآداب ، وأنا أعرف أنها مهتمة بتسجيل مثل هذه الأحداث ، ولشد ما كانت دهشتى حينما أبلغتنى أن الميعاد ليس ١٢مارس وانما ٨ مارس ، وانها لديها خطاب رسمى بذلك ، وهنا فطنت أن المقلب كان محبوكاً . إذ اننى لو أذعت النبأ بالموعد الذى حدوده ، لحضر المشترون من الخارج بعد انتهاء المزاد ، ولما أبلغت الاذاعة بالنبأ مصححا واذيع وسمعوه ، تجمعوا ودب الخلاف بينهم حول من منهم الذى نقض الاتفاق وتطوع لمساعدتى وأطلعنى على النبأ الحقيقى ، ولم يدر بخلدهم أبدا أن أحدا منهم لم ينقض الاتفاق ولم تحدث عملية خيانة منهم فيهم ، ومنذ هذه اللحظة اليت على نفسى الا أسمع منهم مرة أخرى والا أذيع إلا ما أشاهده بنفسى حتى ولو فاتنى ما لم أره وأشاهده .

أعطانى عبد الناصر الأمان ونجحت فى الامتحان !

فى يوم من أيام شهر ابريل عام ١٩٥٤ وكان يوم سبت ، شهد مجلس قيادة الثورة بالجزيرة نشاطا مكثفاً على غير العادة ، ففى هذا اليوم توافد على المجلس معظم أعضاء مجلس الثورة صلاح سالم .. عبد اللطيف البغدادى .. عبد الحكيم عامر وغيرهم حتى ظننا ان اجتماعا طارئا لمجلس الثورة سيعقد ، ولكننا لاحظنا أن أعضاء مجلس الثورة يتوافدون تباعا ليمضى كل منهم دقائق مع عبد الناصر ثم ينصرف على الفور ، وفجأة وصل الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية وأمضى مع عبد الناصر حوالى الساعة ، وهنا فهمنا نحن مندوبو الصحف والاذاعة والوكالات أن جديدا حدث على الساحة السياسية ولكننا لم نتوصل اليه ، وكل ما عرفناه ان عبد الناصر سيواصل العمل فى مجلس الثورة ، وجاء مندوبو الصحف والاذاعة ليبلغونى أن عبد الناصر لن يغادر المجلس أثناء الغداء وانه سيواصل العمل بلا توقف ، وانهم ذاهبون لتناول الغداء والعودة ثانية فى المساء ، لم أصدقهم رغم انهم فى هذه المرة كانوا صادقين ، وخرجوا من مجلس الثورة وبقيت وحدى ، الا انه حدث مالم يكن فى الحسبان ، فقد تغير النظام وقرر جمال عبد الناصر العودة الى منزله لتناول الغداء على أن يستأنف عمله فى المساء .

وفجأة سمعت الكلمة المعهودة «حرس» ومعنى ذلك الاستعداد لنزول عبد الناصر .. ونزل وكنت وحدى فحيانى وسألنى عن اخوانى والهمت بالرد عليه ، فقلت لقد ذهبوا لتناو ل الغداء وأنابونى عنهم ، فقال اسأل وسأجيبك ، فوجدتنى تلقائياً أقول له «لا أستطيع السؤال خوفاً من كل هؤلاء الضباط أن يطبقوا على» فضحك عبد الناصر ضحكة عالية ربما من سذاجتى وربما من حرصى وقال «لقد أعطيتك الأمان لتسأل ، ونزل من سيارته ، وأمر باطفاء السيارات» .

داخلنى خوف شديد وخفت أن يكون هذا اليوم آخر أيامى فى مجلس الثورة ، ولكنى تماسكت واعتمدت على الله ولتكن النتيجة ما تكون ، فقلت «لقد سمعت فى الاذاعات الخارجية انك تنوى اقامة امبراطورية عربية وانك ستتخلص من النظم العربية التي لا تنصاع لأمرك «فقال» فى أى اذاعات سمعت هذا الكلام ، قلت فى صوت امريكا والاذاعة البريطانية وغيرهما .. فقال أين تسمعها وكيف ؟ فقلت الحقيقة أننى لم استمع اليها وانما قرأت ما تذيعه فى نشرات الاستماع السياسى فى

الاذاعة ولشد ما كانت دهشتى عندما صاح عبد الناصر قائلاً : «يا جيار بلغ الاذاعة لتـ لمنى تشر إ ـ الاستماع السياسى بانتظام» ..

وهنا بدأ الاطمئنان يتسلل الى ، وتابع عبد الناصر قائلاً : انشر على لسانى أن زمن الامبراطوريات قد ولى الى غير رجعة ، وانني لست فى حاجة الى هذه الامبراطورية ، وانما انا أسعى الى وحدة عربية كاملة تحول البلاد العربية من التفرقة الى الاتحاد ومن الضعف الى القوة ، وانه قد فات هذه الاذاعات أن مصر وحدها تمثل نصف البلاد العربية بأجمعها من ناحية عدد السكان وبحكم موقعها الاستراتيجى وحضارتها وثقافتها تأتى فى مقدمة هذه الدول جميعاً ، قلت «لقد قرأت فى تقرير يصدر عن وزارة الخارجية كل يوم أحد وهنا قاطعنى عبد الناصر وطلب من الجيار أيضا وضع ترتيب ليصل اليه هذا التقرير اسبوعيا - ان الانجليز سلموا بشروط مصر كاملة بشأن مفاوضات الجلاء بين البلدين من حيث الزى الذى يرتديه الفنيون البريطان فى القناة ومن حيث العدد ، وأن بريطانيا تنازلت عن أهم شرط اشترطه وهو دخول مصر فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ، ورد على عبد الناصر قائلا : فعلا لقد وافقت انجلترا على شروطنا والمفاوضات ستستأنف بعد غد الاثنين ، ووافانى بالمكان وبأسماء اعضاء الوفدين المصرى والبريطانى فقلت «ألا يتطلب كل هذا انعقاد مجلس الثورة ؟ فأعلن ان المجلس سينعقد فى الساعة الخامسة من مساء اليوم نفسه أى السبت» .

كانت تصريحات خطيرة ، وقد لاحظ عبد الناصر على اننى لم أدون كلمة واحدة مما قيل ، فاستفسر قائلاً «أراك لم تكتب كلمة واحدة مما قلته فكيف ستوافى الاذاعة به وهى الاداة الرسمية للدولة وأى خطأ فيها مهما صغر حجمه يعتبر مخالفة كبيرة ، فقلت «لم يرد فيه بيانات أو احصائيات يخشى الخطأ فيها ، وقد استظهرت كل ما قيل وسأوافى به الاذاعة تماما ، وركب سيارته وقال سأسمع الاذاعة وسأرى كيف تصرفت وكيف كتبت ؟

وانطلقت مسرعا الى الاذاعة والفرح يتملكنى والزهو يشملنى فقد وقفت وحدى مع عبد الناصر وحصلت منه على نصر صحفى يتوق اليه كبار رؤساء التحرير وأنا لم أمض فى هذه المهنة أكثر من عام ، ووافيت محمد أمين حماد مدير الاذاعة بما لدى من أنباء فنصحنى بمراعاة الدقة التامه وتمنى لى التوفيق ، وقال : «سأستمر قلقاً عليك الى أن تذاع هذه المادة ولا يحدث اى اعتراض عليها واذيعت فى نشرة الساعة الخامسة .

كنت أول من توجه الى مجلس الثورة من مندوبى الصحف فأنا الوحيد الذى أعلم موعد انعقاد المجلس ، وفى الساعة الخامسة والثلث وصل عبد الناصر فإذا به يلتفت الى قائلا : نجحت فى الامتحان لم أكن أعرف اننى فى امتحان حقيقى الا بعد سماعى كلام عبد الناصر وكان هذا بداية علاقتى وصلتى بعبد الناصر ، وتوطدت علاقتى به الى حد أنه كان يستأنس برأيى فى كثير من الأمور ، وبعد وصول عبد الناصر بربع ساعة وصل مندوبو الصحف ليجدونى فى المجلس ، ففهموا على الفور اننى مصدر لكل ما أذيع ، وطلبوا منى النصوص بعد أن باءت محاولاتهم بالفشل فى الحصول عليها من قسم الأخبار بالاذاعة ، وكان ذلك نهاية لحرب مهنية لم يكن لها من داع ، ولكننى تحملت فيها الكثير وتعلمت منها الكثير ، تعلمت الاعتماد على النفس ، وتعلمت مواجهة المواقف الصعبة والدقة فيما أكتب والحرص الشديد فيما أحصل عليه من أنباء ، وقد أفادنى هذا الدرس فى حياتى فائدة كبيرة ، فكنت دائما رابط الجاش أمام الأحداث الجسام التى مرت على بلدى ، وكنت دائماً فى وش المدفع كما يقولون لأن الاذاعة كانت أول من يستمع اليها المسئولون ، وأى تحريف فيما يذاع كنت أنا المسئول عنه ، وكثيرا ما كان هؤلاء المسئولون يرجعون عن تصريحات أدلوا بها بسبب ردود فعلها ويحدث تغيير لها ، وكان هذا يفيد الصحف فائدة كبيرة ، لتخرج فى صباح اليوم التالى طبقاً لما يرغب هؤلاء المسئولون ، وقد تكرر هذا الموقف فيما بعد بظهور التليفزيون ، وساد الشعور بأنه سيقلل من قيمة الاذاعة أو يقضى عليها ، وأن مستقبل السينما فى الميزان ، ولكن لم يحدث شئ من هذا ، فما زالت الاذاعة تقوم برسالتها لخصائصها ومميزاتها ، وكذلك التليفزيون والسينما ، ودعم الجميع تطور وسائل الاتصال الحديثة التى ساعدت على وصول انباء أى حدث فى أى بقعة من العالم الى بقية أجزاء العالم فى فترة وجيزة جدا لا تزيد على بضع دقائق فى كل الأحوال ، وتبوأ الاعلام مكانة مرموقة وأصبح تأثيره على الرأى العام واضحاً ، وتحول العاملون فى حقله الى نجوم يخطب ودهم ، وكان البحث فى ميثاق يعطى الكلمة قدسيتها وشرفها سواء أكانت منغمة أو منحوتة أو مسموعة أو مرئية أو مكتوبة .

عندما استقبلنا عبد الناصر فى بيته «بالروب» وقال لمندوب جريدة المصرى «سأستولى على جريدتكم»

صدعت بريطانيا العظمى للشروط المصرية وعقدت جلسات مباحثات الجلاء بمبنى مجلس الوزراء بلاظوغلى بعد فترة انقطاع طويلة ، وتوالت الجلسات وتقطعت المباحثات مرة ومرة بسبب اشتراط بريطانيا دخول مصر فى حلف بغداد مقابل الجلاء عن الأراضى المصرية ، ومن بين هذه الجلسات عقدت واحدة بمنزل السفير البريطانى فى القاهرة ، ولشد ما كانت دهشتى أن رأيت كما من المراسلين الأجانب يحضر هذه الجلسة لم أشاهده فى جلسات المباحثات الأخرى التى عقدت في مقر مجلس الوزراء .

ولم يكن لهؤلاء المراسلين من استفسار سوى عما اذا كانت مصر قد قبلت شرط بريطانيا دخول حلف بغداد ، وعما اذا كانت مصر ستسمح للسفن الاسرائيلية بعبور قناة السويس .

وخرج الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية وقتذاك ، وكان مشهورا فى تصريحاته بالاختصار المفيد ، ورد على هذه الاستفسارات بالنفى القاطع وقال ان مصر لا يمكن أن تدخل مع الدول الغربية فى أى مشروع للدفاع عن الشرق الأوسط لأنها ترى فى مثل هذه الأحلاف الاستعمار المقنع وأضاف اما موضوع مرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس فهو مرفوض شكلا وموضوعا ولم يتناوله البحث على الاطلاق ، والتفت الدكتور محمود فوزى الى الزميل محمد وجدى المحرر بالأهرام وقال له : كثيرا ما تصيب استنتاجاتك كبد الحقيقة ، وما ان غادر الدكتور فوزى المكان حتى أخذ زميلنا محمد وجدى يروى - فى نشوة - أمجاده واستنتاجاته التى أطرى عليها وزير الخارجية .

وفى ٢٧ يوليو عام ١٩٥٤ كللت مباحثات الجلاء بالنجاح وأعلن التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية الجلاء ، وصدر بيان مشترك جاء فيه أن الرئيس جمال عبد الناصر ووزير خارجية بريطانيا وقعا بالأحرف الأولى من أسمائهما الخطوط الرئيسية للاتفاق الذى يتضمن المبادئ المقترح اعداد الاتفاق على أساسها .

وفى ١٩ اكتوبر من العام نفسه تم توقيع اتفاقية الجلاء وانهاء الاحتلال البريطانى لمصر الذى استمر أكثر من ٧٢ عاما كاملة ، وكان انجازا لا يعد له انجاز ، استقبلته جماهير مصر بحفارة بالغة تمثلت فى مؤتمر وطنى ضخم عقده المواطنون فى ميدان الجمهورية (ميدان عابدين سابقاً) للتعبير عن فرحتهم بالجلاء ، شرح فيه عبد الناصر المراحل القاسية التى مرت بها مباحثات الجلاء ، وبين كيف انه تمسك بحقوق مصر كاملة بعد الجلاء من غير نقصان ، وكانت فقرات خطابه تقابل بتصفيق حاد لم يتعوده عبد الناصر يوم ان كان نائبا لمحمد نجيب رئيس الجمهورية ، فقد كان نجيب يتمتع بتأييد شعبى جارف وكان عبد الناصر لا يتمتع بمثل هذا التأييد .

استعدت شريط الذكريات وأنا أشهد الجماهير تحيى عبد الناصر هذه التحية ، وقارنت بين ما أراه الآن وما رأيته فى أوائل عام ١٩٥٤ يوم تفجر الخلاف بين عبد الناصر ونجيب واشتعلت المظاهرات فى جميع أنحاء القاهرة تهتف بحياة نجيب وسقوط عبد الناصر ، وكأن أيام عبد الناصر باتت معدودة وأن نجيب سيستولى على الحكم ويتخلص من عبد الناصر وأعوانه ، تذكرت يوم أن توجهنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة - فى هذا اليوم العاصف الى منزل عبد الناصر فى منشية البكرى واستقبلنا فى الصالون وكان يرتدى الروب فى هدوء عجيب وكأن شيئا لم يحدث ، وجلس بيننا وطرحنا عليه قضية الشعب الذى يملأ الشوارع يجوبها ذهابا وجيئة يطالب بنجيب ، وكان رده «خلى نجيب ينفعهم» مع ضحكة عالية وأعصاب فولاذية ، وكأنه يريد من رده هذا أن يفهمنا انه معد لكل احتمال عدته وانه يقبض على البلاد بيد من حديد ، وأن نجيب لا شك مخلوع وان الكرة ستصبح فى يد عبد الناصر وحده ، وكانت أزمة مارس وكان اجتماع مجلس الثورة الصاخب الذى استمر حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى ، عندما نزل صلاح سالم واملانا بيان اقالة محمد نجيب ، تذكرت ايضا ارتفاع اصوات اعضاء مجلس الثورة بالتهديد والوعيد قبل الاتفاق على اقالة نجيب وكان ذلك فى الساعة الثانية عشرة فى منتصف هذه الليلة ، يوم أن صدرت الأوامر لنا بضرورة مغادرة مبنى قيادة الثورة حتى لا نسمع اصوات التهديد والوعيد ، وانهم سيرسلون لنا فى الوقت المناسب ، وتجولنا ليلتها حول كوبرى قصر النيل نبحث الأمر ، واجمعنا على أن نجيب سيقال الليلة ، بل اتصل بعضنا بصحيفته وطلب من رئيس التحرير اعداد ما نشيت اقالة محمد نجيب وتولى عبد الناصر الأمر كله رئيساً للجمهورية ولمجلس الوزراء ولمجلس قيادة الثورة.

لم تكن هذه القضية وحدها التى ذهبنا الى عبد الناصر من أجلها ولكن كانت

هناك قضايا كثيرة تشغل الرأى العام استمعنا لرأيه فيها وبينما نحن نهم بالخروج وتوديع عبد الناصر ، سأل مندوب جريدة المصرى عبد الناصر وكان الأستاذ ابراهيم وهبى الذى كان يعمل أيضا محررا فى الشئون السياسية بالاذاعة ، سأله أو على الأصح طلب منه زيارة جريدة المصرى وكان رده لما نستولى عليها مع ضحكته العالية العادية التى لا يمكن ان نتبين منها عما اذا كان جادا فى قوله أو مازحا ، وخرجنا نتساءل هل ستستولى الثورة حقيقة على جريدة المصرى أم لا ؟ ولكن الأحداث أكدت أن عبد الناصر كان يعنى ما يقول فلم يمض شهور حتى استولت الثورة على جريدة المصرى ، والغريب أن ألمس صدى غلق جريدة المصرى فى الخارج ، فقد كنت مرافقاً لجمال سالم فى زيارته لكل من الهند واندونيسيا وباكستان عام ١٩٥٥ وتوقفنا فى الطريق فى رانجون عاصمة بورما وكان وزير داخليتها فى استقبالنا فى المطار واستفسر من جمال سالم عن أسباب غلق جريدة المصرى واحالة نائب الرئيس علىَّ لأشرح له الأمر ، ولكن رددت الكرة الى جمال سالم قائلا ان غلق جريدة المصرى عمل سياسى لا صحفى ونائب الرئيس اقدر منى على توضيحه ، وشرح جمال سالم الأمر قائلا ان جريدة المصرى تمثل لونا سياسيا رأت الثورة التخلص منه لأنه كان يذكرنا بالأحزاب وقد الغيت الأحزاب ، ومن الطبيعى أن تتخلص الثورة من اللسان المعبر عن هذه الأحزاب .

تداعت كل هذه الذكريات على مخيلتى وأنا أشهد الاستقبال الرائع الذى قوبل به عبد الناصر بعد توقيعه اتفاقية الجلاء ، وآمنت أن عبد الناصر استطاع أن يستولى على لب الجماهير التى استحوذ عليها محمد نجيب واستمر فى هذا الطريق إلى أن أصبح زعيما لا لمصر وحدها وانما لكل الشعوب الأسيوية والأفريقية واللاتينية حتى أن أحد المراسلين الأجانب قال تعبيرا عن ذيوع صيت عبد الناصر يكفى أن صوت عبد الناصر عندما ينطلق على الأثير يحمل اجراء اقدم عليه فى بلاده يتردد صداه على بعد آلاف الأميال وتحذو حذوه معظم الدول الأسيوية والأفريقية ومعظم الدول النامية قاطبة .. والواقع أن قمة التأييد الشعبى لعبد الناصر بلغت اقصى المدى وكان سعيدا أيما سعادة وأصبح لا يأبه بأى نقد يوجه اليه ولسان حاله يقول هل هناك استفتاء ابلغ من هذا الاستفتاء الشعبى ؟

«حادث المنشية»

حول كراهية الشعب لعبد الناصر الى حب وتأييد!

أعلنت حالة الطوارئ فى الاذاعة فى أعقاب توقيع اتفاقية الجلاء ، وتحولت البرامج جميعها الى برامج حماسية وطنية ، وانتشرت الكتائب الاذاعية فى أنحاء مصر تستفتى الجماهير على هذا الانجاز الفريد ، وأخذ الجميع يشيد بعبد الناصر واختفى اسم محمد نجيب نهائيا مع أنه ما زال مشاركا فى الحكم كرئيس للجمهورية ، وما حدث للاذاعة حدث فى الصحف ، وصدرت التعليمات لجميع وسائل الاعلام بعدم نشر أية أنباء أو صور لمحمد نجيب بما يوحى بأن عبد الناصر تفرغ لمعركة الجلاء وفرغ من معركة محمدنجيب ، فقد جاب أنحاء مصر فى مواكب شعبية رائعة على انه بطل الجلاء الذى يهتف له كل مصرى ، وتوارت صورة محمد نجيب نهائيا .

فى اطار تلك المواكب الشعبية كنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة نجوما وشخصيات مرموقة تستدعى على الفور لمرافقة عبد الناصر فى زياراته الجماهيرية ، وقد استدعينا للسفر الى الاسكندرية مساء يوم اثنين من شهر اكتوبر عام ١٩٥٤ ، وأبلغنا مجلس الوزراء بأن سيارة أعدت لنا وأخرى لزملائنا المصورين ضمن ركب عبد الناصر ، وأن التحرك سيكون الساعة الثالثة من مجلس الوزراء ، وتجمعنا وركبنا السيارات المعدة لنا ، وتحرك الركب فى موعده تماما ومع غروب الشمس دخل عبد الناصر المدينة ولكن لم يشعر به أحد فلم يكن هناك مستقبلون ، وكنا نمر فى شوارع الثغر كالغرباء إلى أن وصلنا قصر الصفا حيث كان عبد الناصر ينزل عند زيارته للاسكندرية ، حيث أن المعمورة لم تكن قد أعدت بعد ، وكان برفقة عبد الناصر كل أعضاء مجلس الثورة الذين كانوا يرافقونه فى جولاته بمناسبة توقيع اتفاق الجلاء ، وسهرنا ليلتنا ولا حديث لنا سوى الاستقبال الفاتر الذى شهدناه عند وصولنا الاسكندرية ، هذا الاستقبال المخالف لكل الاستقبالات التى قوبلنا بها فى بقية مدن الجمهورية .

فى مساء اليوم التالى توجهنا الى ميدان المنشية حيث يقام الاحتفال ، ودهشنا أن وجدناه على سعته مكتظا بالجماهير ، وعلق أحد الخبثاء قائلاً : إن هذه الجماهير أحضرها التنظيم السياسى قسرا وإجبارا ، ولم نلتفت إليه ، وصعدنا السلم حيث الشرفة مزودة بميكروفونات الاذاعة ومكبرات الصوت وغاصة بكبار رجال الاسكندرية التنفيذيين والشعبيين وهم على استعداد تام لاستقبال عبد الناصر ، ويدأ عبد

الناصر الخطاب من القاهرة الي الاسكندرية ولا نحن قادمون من قصر الصفا الى الميدان الكبير .. ميدان المنشية .

وبينما الجمع فى الميدان وفى الشرفة منصتا تماما لخطاب عبد الناصر وبينما كان عبد الناصر مسترسلا فى إلقاء خطابه ، إذا بنا نسمع طلقات لم نفطن إلى انها طلقات نارية فى بادئ الأمر ، وإنما ظنناها مثل الطلقات التى أطلقت فى ميدان عابدين قبل ذلك بيومين والتى رسمت بعد فترة صورا كبيرة لعبد الناصر .. لم نفطن الى أنها طلقات نارية الا عندما شاهدنا هرجاً ومرجاً فى الميدان ، وأن هذه الطلقات اصطدمت بزجاج الشرفة والمبنى وحطمته ، وأصابت عبد الناصر نفسه رغم أن أعضاء مجلس الثورة والوزراء ورجال الأمن كانوا قد صنعوا من حوله دائرة لحمايته ، يدفعون بها الخطر عنه ، وتوقف عبد الناصر عن القاء الخطاب .. وبعد برهة قصيرة رأينا عبد الناصر يتوجه مرة أخرى إلى الشرفة ، وكانت ميكروفونات الاذاعة قد سقطت من أمامه على الأرض ، ولكن وصلاتها كانت سليمة ، وإذا به يصرخ ويصيح قائلا : أيها الرجال فليبق كل منكم فى مكانه .. دمى فداء لكم دمى فداء لمصر .. لقد قبض على الجانى واعيدت الميكروفونات مرة أخرى أمام عبد الناصر وأتم خطابه الذى توعد فيه أعداء الثورة بعظائم الأمور ، وانتهى الحفل وغادر عبد الناصر المكان ، فى حين توجه صلاح سالم إلى نادى الضباط حيث القى فيهم خطابا حذر فيه من المؤامرات على الثورة ودعاهم الى اليقظة التامة حتى لا تثمر هذه المؤمرات ويكشف أمرها قبل وقوعها .

وفى صباح يوم ٢٧ أكتوبر وقف عبد الناصر فى قصر الصفا يستقبل وفود المهنئين له بالسلامة ، وتغيرت طريقة عودة عبد الناصر من الاسكندرية الى القاهرة ، حيث عاد بقطار خاص واستقبل استقبالا شعبيا منقطع النظير عند توقف القطار فى بعض محطات المدن الرئيسية ، وعندما وصلنا الى محطة باب الحديد وكانت الساعة الخامسة مساء كانت جموع المواطنين فى انتظاره تهتف له بما لم تهتف به من قبل ، وسار ركب عبد الناصر من باب الحديد الى منزله بمنشية البكرى فى موكب شعبى رائع ، تدافعت الجماهير بتلقائية شديدة لتحييه وترحب به ، فكان استقباله كاستقبال الغزاة والفاتحين أو كاستقبال الزعماء الذين يتمتعون بحب شعبهم ، ومنذ ذلك التاريخ تحول كره الشعب لعبد الناصر الى تأييد كامل وحب جارف ، كان يعتز به عبد الناصر كل الاعتزاز ويعتبره المقياس الحقيقى لنجاح الثورة وفشلها .

ولم يمض على حادث المنشية سوى ٢٤ ساعة حتى امتلأ الشارع المصرى بشائعات مكثفة تقول إنه حادث مصطنع كمقدمة لتبرير الاعتقالات التى تنوى الثورة الاقدام عليها فى صفوف جماعة الاخوان المسلمين ، وعلى أية حال فقد وسع الحادث دائرة الاعتقالات بين صفوف الاخوان حتى بلغ عددهم ما يزيد على ١٨ ألف معتقل ، وشكلت محكمة لمحاكمتهم برياسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى عقدت بمقر قيادة الثورة فى الجزيرة وأصدرت أحكامها بإعدام محمود عبد اللطيف مرتكب حادث العدوان فى المنشية وعدد من قيادات الاخوان ونفذ حكم الاعدام فى الجميع ماعدا حسن الهضيبى الذى خفف عليه الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة ، وقد ورد فى سياق هذه المحاكمة فى أقوال بعضَ المهتمين ما يشير إلى أن إتصالا جرى بين اللواء محمد نجيب وبين الاخوان المسلمين ، ورغم أن هذه الأقوال لم يكن هناك دليل يؤكد صدقها ، إلا أنه عقب انتشار هذه الأقوال ، ذهب عبد الحكيم عامر حيث اصطحب الضابط العظيم الذى عمل معه قبل الثورة وعمل معه بعدها ، اصطحب محمد نجيب الى قصر زينب الوكيل بالمرج بحجة أنه سيظل فى هذا القصر الى أن تثبت المحكمة براءته ، ولكنه لم يكد يصل الى القصر - الذى لم يعد قصرا بعد تجريده من محتوياته - حتى أعفى من جميع مناصبه ولم يشعر به أحد ولم يثر اعفاؤه أى رد فعل وهو ما خطط له عبد الناصر منذ لحظة انضمام نجيب الى ركب الحركة ثم الى الثورة .

شهدت هزيمة عبد الناصر فى سلاح الفرسان بعد ١٩ شهرا من قيام الثورة !

خطط عبد الناصر لخلع محمد نجيب كما خطط لضمه للثورة ليكون واجهة لها لا قائدا ، واختبر قدراته على التحرك والمواجهة قبل أن يصدر قرار اشراكه مع ضباط الثورة الأحرار ، وتحمل فى ذلك العديد من المتاعب وتلف الأعصاب ، فلم تكن عملية خلع نجيب من السهولة كما كانت عملية خلع يوسف صديق وخالد محيى الدين من قبله ، فلم يكن أمام عبد الناصر مبرر واحد لاقصائه ، ففكرهما تقريبا فكر واحد ، ولم يبدر من نجيب ما يستوجب استبعاده أمام الجماهير ، وشعبيته جارفة فقد كان فى نظر جماهير الشعب البطل الذى طرد الملك وهو فى عنفوان سطوته وجبروته ، وقاد الثورة فى خضم مؤامرات شرسة عليها ، تارة من زعماء الأحزاب والسياسيين القدامى وتارة من الاخوان المسلمين وثالثة من الشيوعيين ، وهو الذى ألغى الألقاب وأصدر قانون الاصلاح الزراعى وحل الأحزاب وغير ذلك من أمجاد الثورة التى توالت غداة قيامها ، وفوق هذا كله فقد كان له رصيد شعبى فى السودان جنوب الوادى خاصة بعد توقيعه اتفاقية السودان ، وكلها أمور صعبت من مهمة أبعاد نجيب أمام عبد الناصر ، لذلك كان لا يستطيع عبد الناصر ابعاده الا بعد أن يأخذ منه البريق واللمعان اللذين تمتع بهما ويقضى على شعبيته وحب الجماهير له حتى يتقبل الشعب قرار ابعاده وكان ذلك شيمة من شيم عبدالناصر ، لا يقدم على ابعاد أى من ضباط مجلس الثورة إلا بعد أن يجرده من جميع أسلحته ، فعل ذلك مع نجيب ومن أقصاهم قبله ومن اقصاهم بعده ومنهم صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وجمال سالم وغيرهم .

لذلك تحمل عبد الناصر الأمرين فى محاولاته اقصاء نجيب ولم يستطع التخلص منه الا على مرحلتين ، فقد حاول ابعاده فى ٢٥ فبراير ١٩٥٤ ولكن قرار مجلس الثورة لم يكد أن يصدر حتى هاج الشارع المصرى وهاجت القوات المسلحة وكان أول هذا الهياج فى سلاح الفرسان أكثر أسلحة الجيش تأييدا لمحمد نجيب ، وطلب حضور جمال عبد الناصر وحضر بالفعل وكنا معه وشهدنا فشل عبد الناصر فى اقناعهم وانهاء اضرابهم ، وشهدنا كيف انهم افحموا عبد الناصر فى الرد عليه حول مصير الديمقراطية والحرية والدستور والاستفتاء الشعبى حولها وحول منصب رئيس الجمهورية الذى يطالب به نجيب ، وشهدنا فشل عبد الناصر فى الدفاع عن المخازى

والمهازل التى ارتكبها الضباط الذين اختارهم لتولى مناصب مدنية وأعفاهم من مناصبهم العسكرية ، واضطر عبد الناصر إلى أن يغادر مقر سلاح الفرسان مخذولا مهزوما ، فالاضراب ما زال مستمرا أو الاعتصام مازال باقيا لحين تلبية مطالبهم .

لابد أن أعترف وكنت شاهد عيان لمعركة عبد الناصر مع سلاح الفرسان والتأييد الجارف لمطالب نجيب فى دائرة الجيش والشعب اعترف ان عبد الناصر وهو فى هذا الموقف الدقيق الحرج الذى كاد أن يقلب الأمور رأساً على عقب ويهزمه نجيب ويسحب ثورته منه ، قد خرج من سلاح الفرسان رابط الجاش لم يبد عليه مسحة ولو ضئيلة - من الضيق أو الاستياء ، فقد كان من هذا الصنف من الرجال القادر على كظم غيظه لحين أن تتاح له فرصة الانقضاض ، وكان من هذا الصنف الذى لا يمكن أن تهزه الأحداث مهما كانت خطيرة ومريرة ومؤثرة عليه هو شخصيا ، ولكنه كان يضمر فى نفسه أمرا ، وكان هذا الأمر هو التراجع عن إقالة نجيب هذه المرة لتهدئة ثورة الشعب والجيش معا ، وأذاع صلاح سالم عقب اجتماع لمجلس الثورة بيانا يوم ٢٧ فبراير قصيرا جدا استهله بعبارة حفاظا على وحدة الأمة تقرر عودة محمد نجيب والابقاء على مجلس الثورة واستبعاد فكرة تشكيل خالد محيى الدين للوزارة ، وجرت سرا حركة تطهير واسعة فى صفوف القوات المسلحة من أنصار نجيب ، فدانت له القوات المسلحة ولجأ الى حركة التفاف حول نجيب هدأ بها من ثورة الشعب فأصدر أوامره الى جهاز الأمن بالافراج عن المعتقلين من الأخوان المسلمين بما فيهم قياداتهم حسن الهضيبى وعبد القادر عودة وقطب وغيرهم بل وسمح لهم باعادة نشاطهم السابق دون حدود وأعاد لها أموالها وممتلكاتها ومقارها فى كل أنحاء الجمهورية التى كانت قد صودرت بعد قرار حل الأحزاب وكان قد حبس من قبل الشيوعيين وأفرج عن السياسيين فجأة ومنهم فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج وغيرهم ، فقد كنا فى مجلس الثورة فى مقره بالجزيرة ومجلس الثورة منعقد وكانت الساعة الثامنة مساء ولمحنا أحد الضباط ينزل من قاعة الاجتماعات مسرعا ، ومن حقى أن أذيع اسمه فقد مر على هذا الحادث أكثر من ثلاثين عاما ، كان هذا الضابط حسن التهامى الذى أصبح فيما بعد أحد الضباط الذين اسهموا فى عملية السلام مع اسرائيل فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات ، فالتففنا حوله وعرفنا منه نبأ الافراج عن السياسيين بطريقة غير رسمية ، وعلى الفور سارعت وأبلغت النبأ الى الاذاعة ومجلس الثورة ما زال منعقدا وأذيع النبأ فى نشرة الساعة الثامنة والنصف .

وبعد ثوان من اذاعة النبأ فوجئت بمن ينادى مندوب الاذاعة يتفضل فوق ،

وصعدت السلم والخوف والاضطراب يحتوينى عندما دخلت على المجتمعين فى القاعة وكان يتصدرها جمال عبد الناصر بزيه العسكرى وكذلك بقية الأعضاء ولشد ما كانت دهشتى واستغرابى أن فوجئت بصلاح سالم يصيح فى وجهى قائلا : أنت مرفوت ؛ لم انبث ببنت شفة واستدرت الى الخلف لأغادر القاعة ولكن صلاح سالم استوقفنى وسألنى عن مصدر حصولى على نبأ الافراج ، ولما أجبته أننى لا أستطيع الافصاح عن مصدرى فالكشف عنه يمنعه شرف المهنة ولكن اذا كان الخبر خطأ أحاكم وأحاسب ، وهددنى صلاح سالم بالرفت مرة أخرى ، وفى وسط هذا الجو العاصف الغاضب الجو العسكرى الذى لا يقبل النقض والابرام ، يتسلل صوت هادئ ليقول : هو مالوش ذنب شغلته الحصول على الأنباء وابلاغها للاذاعة والخبر صحيح انما مهمتنا نحن معرفة من كان معنا واتصرف فى الصنف ساعة الماضية فهو الذى أباح بالخبر رغم طلبنا وإصرارنا على سريته ، وهذا أمر جد خطير إذا لم نكن قادرين على حفظ أسرارنا ، وختم كلامه قائلاً : لا يا صلاح سيبه ينزل يشوف شغله «وكان هذا الصوت صوت عبد الناصر» .

المهم أننى تركت المجتمعين وصدى كلام صلاح سالم يرن فى أذنى فيزعجنى ويرعبنى ، فعملى أصبح معلقا بخيط رفيع جدا مهددا بالقطع فى لمحة فأهيم على وجهى دون سابق انذار ، وبينما أنا موزع الوجدان شارد الفكر فاقد التركيز مشتت مهدد اذا بى ألمح حسن التهامى يصل الى مقر مجلس الثورة على عجل ، ففهمت اننى سببت له حرجاً وخفت أن يناله مالا يحمد عقباه ، فأسرعت اليه وأفضيت اليه بما حدث ، وانتظرت على أحر من الجمر ، فقد كان حسن التهامى من الضباط النشيطين اللماحين الذين هم أقرب فى تصرفاتهم الى الطابع المدنى منه الى الطابع العسكرى ، وحمدت الله أن رأيته بعد اجتماعه بضباط الثورة منفرج الأسارير سعيد بما ينبئ أن الأزمة مرت دون مضاعفات ، المهم أن صلاح سالم استدعانا وأملانا النبأ بتفصيلات أكبر ، فهمنا منها أن هذه هى الجولة الأولى مع هؤلاء السياسيين وسيعقبها جولات وجولات ونبه علينا ألا ننشر أو نذيع إلا الأنباء التى يصرح لنا بها .

المهم انه باقصاء نجيب زال كابوس خطير عن ظهر عبد الناصر وخلا له الجو تماماً ودخلت الثورة مرحلة هامة وخطيرة ضد الاستعمار وحلفائه ، ولكن المعركة كانت قاسية كادت أن تعصف بالثورة برمتها ، فإذا كان يوم ٢٣ يوليو أطول يوم في التاريخ بالنسبة لعبد الناصر وزملائه فإن أيام ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ من فبراير عام

١٩٥٤ مثلت فى تاريخ الثورة دهرا بأكمله بالنسبة له ، ففى هذه الأيام لاحت تباشير أنتصار محمد نجيب عليه ولكنه بفكره ودهائه وهدوئه وسعة حيلته احتفظ بالثورة التى قام بها وكان يمكن أن يفقد حياته وتفشل الثورة .

عبد الناصر يتراجع فورا عن تحديد موعد لانتهاء الثورة !

نحن الآن فى نهاية عام ١٩٥٤ ، مجلس قيادة الثورة فى اجتماعات مستمرة ، والشائعات تملأ القاهرة تؤكد أن مجلس قيادة الثورة يعد لاعتقالات جديدة ، وأن هذه الاعتقالات ستكون فى هذه المرة من نصيب جماعة الاخوان المسلمين الذى كان نشاطها قد غطى مساحة واسعة فى بقاع البلاد وبدا أن حربا لابد قائمة بينها وبين الثورة ، وكنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة تنتابنا هذه المشاعر جميعها ، ولم يكن هناك بد من سؤال عبد الناصر عن فحوى هذه الاجتماعات وعن المبادئ والأسس والقواعد التى توصلت اليها ، ولدى خروج عبد الناصر من رياسة مجلس الوزراء بعد يوم حافل بالمقابلات والاجتماعات ، رأينا أن الوقت مناسب لنطرح عليه ما يدور فى أذهاننا وتوليت أنا طرح السؤال محمساً لعبد الناصر بقولى : الناس بتسأل مجلس الثورة بيعمل ايه فى اجتماعاته الطويلة دى .. فأجاب عبد الناصر بأول تصريح حدد فيه فترة الانتقال وقال إنها ستنتهى فى عام ١٩٥٦ وإن مجلس الثورة يبحث صورة الحكم بعد هذه الفترة واستطرد قائلاً : شكل الحياة النيابية فى البلاد شكل الدستور إلخ . وأضاف بأن مهمة مجلس الثورة دراسة كل الدساتير فى العالم بهدف وضع دستور يناسب بلادنا ودراسة شكل الحياة النيابية فى جميع دول العالم ليختار الحياة السياسية التى يراها مناسبة للبلاد . وأن مجلس الثورة سيعقد اجتماعا فى الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم بمقره فى الجزيرة .

كانت تصريحات خطيرة تذاع لأول مرة ووافيت الاذاعة بها على عجل ولكن لم يذع منها شئ فى نشرة الساعة الخامسة سوى اجتماع مجلس الثورة فقط ، فقلت فى نفسى لعل الرقابة شطبت بقية النبأ ، ولتعودى على مثل هذه المواقف توجهت فى المساء الى إحدى دور السينما وعدت فى منتصف الليل وكان الجو قارس البرد ممطراً، فأويت الى فراشى دون أن ألمح أن أخى ترك لى ورقة تقول ان سيارة الاذاعة حضرت الى منزلى فى الساعة التاسعة مساء تطلب حضورى الى الاذاعة .

فى صباح اليوم التالى توجهت كعادتى الى دار الاذاعة فى الشريفين مبكراً جدا عن الموعد الذى تعودت الذهاب فيه الى عملى ، وطوال الطريق من الحلمية الجديدة حيث مسكنى الى الشريفين فى قلب القاهرة وعقلى مشغول فى محاولة معرفة ما حدث ، وما أن وصلت حتى وجدت من ينتظرنى على الباب ليبلغنى بالتوجه فوراً

الى مكتب مدير الاذاعة الذى وصل هو الآخر الى مكتبه مبكراً جداً فى الساعة السابعة صباحا ، وهنا علمت أن الأمر خطير وأن اتهاما سيوجه لى .

وفى مكتب محمد أمين حماد مدير الاذاعة علمت القصة كاملة ، لقد حذفت الرقابة النبأ ولم تكتف بحذفه ، بل أضافت أن الرئيس عبد الناصر لم يفض بهذه التصريحات على الاطلاق ، وتحولت التهمة إلى أكبر وأخطر من ذلك ، ففى الاذاعة رجال من العهد البائد يعملون ضد الثورة ولابد من التحقيق معهم .

حدث هذا كله بعد اذاعة النبأ كاملاً دون حذف فى نشرة الساعة الثامنة والنصف وكان صلاح سالم وزير الارشاد القومى قد أجاز النبأ بعد أن عبر عن استغرابه أن يدلى عبد الناصر بمثل هذه التصريحات ، إلا أنه كان فى مكتبه بعض الصحفيين الذين كانوا شهودا حاضرين واستمعوا الى تصريحات عبد الناصر لى ، بل وأعلموا صلاح سالم بأننى سألت عبد الناصر عما اذا كان موافقاً على اذاعة التصريح أم لا ، فأمسك بالقلم وكتب على الخبر «يذاع على مسئولية المندوب» ..

لم أجد محمد أمين حماد مدير الاذاعة مهموماً مبتئسا مرعوبا كما وجدته ، وأبلغنى بأن تحقيقا سيجرى معى فى الساعة الثالثة من بعد ظهر هذا اليوم ، وكان ردى والله إذا كان عبدالناصر أنكر حقيقة نسبة التصريح إليه فلا داعى للتحقيق وأنا أرى أن الجزاء لابد أن يسقط على بلا تحقيق ، ورد حماد على هذه هى مطالب الرقابة وفجأة هبط على هدوء غريب لا أعرف مصدره ، ربما عن إيمان عميق بأن مالك سوف يأتيك وأن الله معى ولابد أن ينصرنى فلا ذنب لى فى كل ماحدث فقد التزمت بكل ما أفضى به عبدالناصر وزدت وسألته - تحسبا لمثل هذا الموقف - وسألته ووافق على الاذاعة فما هو الذى يحدث الان إذن ؟ .

على أية حال قررت أن اتوجه إلى مجلس الوزراء لعلى التقى بعبدالناصر ، وتوجهت إلى مكتب صلاح الشاهد وكان كبيرا للأمناء ، وسألته عما اذا كان عبد الناصر سيحضر أم لا .. ولم أفض بما أنا فيه لا لصلاح الشاهد ولا لأحد من زملائى الصحفيين خوفا من تضخم الموضوع وتوسيعه لأن توسيع الموضوع ضد مصلحتى ، وبعد دقائق أبلغنى صلاح الشاهد ان عبد الناصر فى الطريق ، واستقبلته كالعادة مع بقية مستقبليه قبل أن يتوجه الى مكتبه ، وحيانى كعادته ، فتولتنى الدهشة واستولت على الحيرة ، فاذا كنت مذنبا حقا لمنعت من دخول مجلس الوزراء ، وها أنذا لم أمنع وحيانى عبد الناصر كعادته ، وكان مدير الاذاعة قد سلمنى وأنا فى

مكتبه النبأ الذى وافقت عليه الرقابة والنبأ الذى أذيع ، وطلب منى لكى يعفينى من التحقيق أن يوقع عبد الناصر بالموافقة على النبأ الذى أذيع .. وحملت النبأين فى جيبى وأنا مستبعد تماما أن يوقع عبد الناصر على أى منهما أو حتى يسمح لى بالحديث معه فى الموضوع .

انتظرت الى أن حان موعد مغادرة عبد الناصر دار الرياسة فاذا به يوجه الحديث لى «إيه الأخبار يا عبد القادر كما تعود أن يناديني» تلكأت فى الرد ، وكان رحمه الله لماحا إلى أبعد الحدود ، فسألنى مالك فقلت ابدا سيادتك سمعت الاذاعة امبارح ، فأجاب بالإيجاب ، فأعدت عليه السؤال : سيادتك سمعت نشرة الساعة ٨٫٣٠ بالذات .. فأجاب بالإيجاب .. فقلت هل لسيادتكم اعتراض ؟ ، فإذا بى أفاجأ بقوله كنت أود ألا تربطنى مع الجماهير بأن عام ١٩٥٦ هو نهاية فترة الانتقال ، لأنه لو فرض – وهذا جائز – قامت ثورة فى البلد لابد أن أمد فترة الانتقال .. فقلت له وما ذنبى أنا وقد وافقت سيادتك على اذاعة النبأ .. فقال وماذا حدث ؟ فقلت لقد اتصلت الرقابة بمدير الاذاعة وقالت أن سيادتك اتصلت بهم ونفيت أنك مصدر النبأ والتحقيق ينتظرنى فى الاذاعة فإذا بالرجل .. فى حزم واصرار يطلب من محمد أحمد الاتصال فورا بالرقابة والتحقيق معها لمعرفة من الذى افترى عليه ؟ والاتصال بمدير الاذاعة لانهاء الموضوع بالنسبة لى ، وهنا عرف الجميع ما كنت فيه ، فأشفقوا على ، وكان تعليقهم *ايه اللى انت واخده من الشغلة المهببة دى* .. لكنى كنت أهواها وأحبها تسرى فى عروقى كالدم ، أسعد بالانتصار فيها ولا أخاف الهزيمة .

اتصلت بمدير الاذاعة وافضيت اليه بما حدث لى ، إلا أنه لم يعفنى من المثول أمام المحقق ، وبينما هو يحاورنى اذا بالتليفون يرن فى مكتبه ، وكان المتحدث محمد أحمد ، وصدع مدير الاذاعة بأمره وتنازل عن التحقيق وعن توقيع عبد الناصر ، وتقمص شخصية أخرى وقال لى فى وداعة لم أعهدها فيه من قبل «يا ابنى انت فى وش المدفع وهذا قدرك ولكى تحمى نفسك من دقة الموقف والمسئولية التى تتحملها وأنت فى هذه السن المبكرة أنصحك انك كلما تحصل على خبر هام كالذى حصلت عليه اتصل بالرقابة وتفاهم معها قبل أن تمليه للاذاعة ولا يستهويك السبق فى هذه الفترة العصيبة وأنا أقول لك هذا الكلام وأنا أعرف الناس بمدى حرصك على عملك وكفاءتك وسأضع كل ذلك أمامى وسأعوضك عنه كلما سمحت لى الظروف» وهكذا حمانى عبد الناصر مـن فتك الرقابة بى وتلفيق تهمة انا برئ منها تماما وهى تهمة اننى من رجال العهد البائد.

لماذا فكر عبدالناصر فى تأميم الصحافة وتعيين هيكل رئيسا للأهرام

تراجع عبدالناصر فى نهاية عام ١٩٥٤ عن تحديد فترة انتقال ثورة يوليو الى الشرعية الدستورية ولكنه بعد اقل من عام وبالتحديد فى ١٩ مايو سنة ١٩٥٥ اعلن انتهاء فترة الانتقال فى يناير عام ١٩٥٦ وهو نفس التاريخ الذى رفض ان يلتزم به امام الجماهير قبل خمسة شهور فقط ، بل واعلن عزم الثورة على اقامة حكم برلمانى بعد فترة الانتقال على اساس غير حزبى يعمل لمصلحة المواطنين جميعا ولا يعمل للسيطرة الرأسمالية او الاقطاع او اية قوة خارجية شرقية كانت ام غربية واعلن اهداف الثورة باقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى من اجل تثبيت العدالة الاجتماعية ، وصدق فيما التزم به ففى ١٦ يناير عام ١٩٥٦ اعلن باسم الشعب دستور الشعب - كما اطلق عليه - فى مؤتمر شعبى كبير حضره ما يزيد عن ٣٠٠ الف مواطن اعلن امامهم نصوص الدستور المنبثقة من ارادة الشعب كما جاء فى كلمته امام هذه الجماهير الغفيرة وكأنه يستفتيهم على هذا الدستور .

أما لماذا اعلن عبدالناصير التزامه بنهاية فترة الانتقال فى مايو سنة ١٩٥٥ ونفذ التزامه فى يناير عام ١٩٥٦ ؟ فالواقع ان عبدالناصر حينما حدد فترة الانتقال بثلاث سنوات كان يملؤه الاعتقاد انه لن يصدق امام الجماهير ولن ينجح فى الالتزام امامها بهذا الوعد .

ولكن تغير الوضع لما تخلص من اليمين المعارض للثورة ومن المناوئين له فى مجلس الثورة وخاصة «محمد نجيب» الذى كان يتمتع بتأييد شعبى كبير ولما انتهت مسألة السودان بانضمامها الى جامعة الدول العربية ولما جلا أخر جندى بريطانى عن ارض مصر وكسر احتكار السلاح من الدول الغربية بعقده صفقة السلاح التشيكية التى اعتبرها تأكيدا لشخصية مصر المستقلة فى المجال الدولى وفضح اسطورة توازن القوى فى الشرق الاوسط ولما نجح فى اسقاط الاحلاف العسكرية التى كان يسعى اليها الغرب لعقد حلف عسكرى بين العراق وتركيا وأخر مع باكستان وايران وثالث مع بريطانيا والولايات المتحدة على اساس انها تمحو فكرة الجامعة العربية والضمان الجماعى العربى ، وأعلن الغرب انه بغير هذه الاحلاف فأن فراغا سياسيا حدث فى منطقة الشرق الاوسط وردد «عزيز ميرزا» وكان رئيسا لتحرير جريدة الاهرام هذه الافكار فى مقالاته .. سارع عبدالناصر وابلغ «ميرزا» ان هذا الفراغ ليس موجودا

الى فى فكره هو وفكر الغرب ، وربما كانت هذه الحادثة بداية تفكير عبدالناصر فى تعيين محمد حسنين هيكل رئيسا لتحرير الاهرام وفيما بعد تفكيره فى تأميم الصحافة ، واخيرا لما حظيت الثورة بتأييد جارف من جانب اكبر زعماء الدول النامية وتوافد على مصر هؤلاء الزعماء وتوج كل ذلك بتأييد سياسة مصر فى مؤتمر باندونج وميلاد حركة عدم الانحياز بمبادرة من مصر ويوغوسلافيا والهند والاتفاق على التعاون بين بلدان الكتلة الاسيوية الافريقية لتحقيق رفاهية شعوب القارتين واستنكار استعمار الشعوب ونبذ سياسة القوة كوسيلة لحل المشاكل الدولية ونزع السلاح كضرورة حتمية لصيانة السلام .

ولما عاد جمال عبدالناصر من مؤتمر باندونج الذى ضم نهرو وشواين لاى وسوكارنو وتيتو وعبدالناصر كعمالقة فى الدول النامية تشجع عبدالناصر وأعلن ان مصر لن تخضع لسيطرة الاستعمار وأن مصر قد تحررت واستقلت وأنها اذا تكلمت فانما تتكلم وهى تشعر بأنها مستقلة تمام الاستقلال واطمأن عبدالناصر الى أنه سيوفى بالتزامه بانهاء فترة الانتقال فى عام ١٩٥٤ وكاد ان يغير مجرى حياتى ويفصلنى من عملى لمجرد أننى نقلت ما صرح به عبدالناصر بأمانة ولو لم التق بعبدالناصر لكنت ضحية هؤلاء المسئولين الذين يتجاوزون حدود سلطاتهم فى غفلة من القانون وكانوا كثيرين وكانت ضحاياهم بالعشرات بل بالمئات .. القليل منها جدا كان بموافقة عبدالناصر وبسبب عرض هؤلاء المسئولين الامر عليه بطريقة غير امينة .

والذى أدهشنى فى هذه الفترة أن عبدالناصر كان على علم بكل صغيرة أو كبيرة لا فى المؤسسات الكبيرة كالوزارات وغيرها وانما ايضا فى الاذاعة ، فقد حدث والترتيب يتم لتشكيل الوفد الصحفى والاذاعى المرافق له فى سفره الى باندونج لحضور المؤتمر ان سألنى عما إذا كنت سأسافر ضمن وفد الاذاعة فلما اجبته بالنفى بادرنى بقوله : ليه هو حماد مش راض عنك والا إيه ؟ على أية حال سأسفرك الى باندونج .. وظننت أن عبدالناصر غير جاد فيما يقول وانما اراد بذلك استرضائى ولشد ماكانت دهشتى عندما صدر قرار منه بوضع إسمى ضمن الوفد المسافر مع جمال سالم الى الهند واندونسيا وباكستان فى اغسطس عام ١٩٥٥ أى بعد مؤتمر باندونج بشهور لا تتعدى الأربعة أو الخمسة ، لشد ما كانت دهشتى أن يتضمن القرار اسمى ممثلا للصحافة والاذاعة ومعى مصور من جريدة الاهرام ، وبعد هذا القرار أردت أن استفسر من عبدالناصر عن ظروف وملابسات هذا القرار ، فقلت له لماذا اسافر مع جمال سالم وكان فى هذا الوقت نائبا لعبدالناصر - وأنا اعمل معك ؟ فإذا به يقول :

أنا اللى سفرتك هو جمال سالم يعرفك شخصيا وأضاف عندما رشحتك سألني جمال عنك وحاولت أن الفت نظره اليك وتدخل عبداللطيف بغدادى الذى يعرفك تماما وتربطك به علاقة وراهننى بأنك لن تكمل الرحلة وأن جمال سلم سيختلف معك بالضرورة ولكنى خالفته فى الرأى وقلت لو أن جمال سالم اختلف مع كل اعضاء الوفد فلن يختلف معك وأنك الوحيد الذى ستكمل الرحلة مع جمال سالم ، وقد صدقت نبوءة عبدالناصر فلم يحدث بينى وبين جمال سالم أى خلاف بالرغم من أن خلافه مع سائر اعضاء الوفد قد حدث وبلغ الخلاف اشده بينه وبين وحيد رمضان وكان مسئولا عن تنظيمات الشباب وكان أحد أعضاء الوقد ونحن فى اندونيسيا وانتهى الخلاف بأن أمر جمال سالم سفيرنا فى جاكرتا باعادته الى القاهرة فورا وتقديه الى مكتب عسكرى .

وقصة الخلاف بدأت عندما تقرر نزول الوفد المرافق لجمال سالم فى قصر ميردكا ومعناه «قصر الحرية» ولكن المسئولين عن القصر قرروا ان ينزل فى القصر من الوفد اربعة فقط والباقى كانوا ستة افراد تقرر أن ينزلوا فى فندق دى زند اكبر الفنادق فى العاصمة الاندونسية وعرض محمد على بشير سكرتير جمال سالم الامر عليه واختار بنفسه الاربعة الذين سينزلون فى القصر ولم يكن فيهم وحيد رمضان ولم أبلغهم محمد على بشير بالأمر دارت مشادة بينهما بلغ امرها الى جمال سالم فأمر بنزوله الى القاهرة على الفور وألمنى من وحيد رمضان أن قال فى هذه الاثناء ! ، كيف انزل فى الفندق مع الجورنا لجيه ولا أنزل فى القصر مع نائب الرئيس وأنا أقدم أعضاء الوفد فى الرتبة والمنصب ، ومنذ أن سمعت من وحيد رمضان هذا الكلام اليت على نفسى ألا أخاطبه أو اتصل به ، فالجورنا لجيه الذى يعنيهم ربما كانوا اكثر منه ثقافة وأسهموا فى العمل الوطنى اكثر مه ، كان كلاما قاسيا على نفسى وعلى نفس كل اعضاء الوفد ولكن كان ما طمأنني العقاب الذى اقترحه جمال سالم لوحيد رمضان .

مطاردة فى اندونيسيا بين السفير المصرى وعضو مجلس قيادة الثورة

لم يكتف جمال سالم باصدار أوامره بترحيل وحيد رمضان الى القاهرة فورا وانما استدعى سفيرنا فى اندونيسيا على الفور وطلب منه تنفيذ اوامره ولما احس وحيد رمضان بالأمر لم يبت ليلته فى جاكرتا وانما قرر السفر الى باندونج ولكن السفير استطاع اللحاق به وأبلغه الأوامر وحجز له على أول طائرة مسافرة الى القاهرة ولكنه لم يحضر فى الموعد المحدد وحجز له السفير مرة أخرى وهدده فى هذه المرة بأنه اذا لم يستقل الطائرة الى القاهرة تنفيذا لأوامر نائب الرئيس فإنه سيستعين بالبوليس الاندونيسى لتنفيذ الأوامر ، وفعلا عاد وحيد رمضان الى القاهرة ، إنما الغريب أنه اصدر بيانا نشرته الصحف وقتذاك ذكر فيه ما انجزه فى رحلته فى مجال تنظيمات الشباب ، على أن الذى لا يعمله وحيد رمضان حتى الآن أن الجورنالجيه الذى رفض أن يقيم معهم فى أكبر الفنادق فى جاكرتا ، اصدر نائب الرئيس أمره بأن يقيموا بالقصر معه ، فقد كتب بيده قائمة من يقيم معه فى القصر وكانت تتضمن اسمى مع الاميرالاى الدكتور محمد رفاعى كامل طبيبه الخاص والصاغ محمد قرنى البدوى مساعد مدير مكتبه وسكرتيره الخاص واثنين من حرسه ، ودخلنا قصر الحرية فى جاكرتا مقر الرئيس الاندونيسى «أحمد سوكارنو» وكان أسمه على مسمى حقا ، فقد كان سوكارنو يتجول بين ارجائه وحيدا دون أن يصحبه أحد ، وكم من مرة التقى بواحد منا أعضاء البعثة المصرية وحياه وأمضى معه بعض الوقت واقفا بين ارجاء هذا القصر ، والواقع ان «سوكارنو» كان يتمتع بتأييد جارف فى الشارع الاندونيسى وحب منقطع النظير من موظفيه العاملين فى مقر اقامته فى القصر جزاء ما قدم من عرق وتضحية بحياته الى أن استقلت اندونسيا من الاستعمار الأجنبى ، وها هو ذا اليوم تشاركه مصر فى الاحتفال بالعيد القومى وعيد الاستقلال العاشر لأول مرة ، ويقدم له جمال سالم نائب رئيس مصر عشرة كئوس هدية من شعبها الى شعبه ترمز كل كأس منها لعام من أعوام الاستقلال .

وبينما خلد الجميع الى الراحة من عناء رحلة طويلة شاقة من مصر الى جاكرتا - تخللها ما يرعب أشجع الشجعان ، فبعد ست ساعات من مغادرتنا القاهرة وصلنا الى كراتشى ومنها واصلت رحلتنا الى رانجون ، وكان المقرر ان نمضى بها ساعة لتزود الطائرة بالوقود .

ولكن جاء من يبلغنا بأن الطائرة بها عطب يستوجب إصلاحه عدة ساعات ما بين خمس أو ست ، وحاسة الصحفى دفعتنى الى الاستفسار اكثر ، فعرفت ان العطب فى محرك الطائرة يحدث هذا بعد رحلة استغرقت ثمانى ساعات من كراتشى الى رانجون ، انخلعت خلالها قلوبنا وأصابنا الفزع والهلع عندما هبطت الطائرة فجأة الاف الامتار وكأنها تسقط على الارض حتى أن المضيفة صرخت من هول ما حدث ، وكنت جالسا بجوار جمال سالم الطيار ولم يتأثر بما حدث ولكنه ذهب الى الطيار على الفور وعاد متجهم الوجه ، وابلغنى فى دهشة وحيرة أن الطيار قام بالرحلة ولا يعلم شيئا عن الارصاد الجوية ، المهم وصلنا الى رانجوان وكان ما كان من عطب فى الطائرة ارغمنا على ان نمضى فى رانجوان ثمانى ساعات ، تجولنا خلالها فى المدينة وهالنا ما رأيناه : شعب وديع هادىء وأرض خضراء يافعة وبيوت من سقف منحدر بسبب الامطار الغزيرة التى تسقط معظم شهور العام ، وطرق معبدة زينت بالاشجار والزهور وحول المنازل بحيث بدت المدينة من على بعد وكأنها بستان كبير او مزرعة كبيرة ولكن يشوه هذا المنظر الجميل جو خانق بسبب نسبة الرطوبة العالية ، فقد وطأت اقدامنا هذه المدينة الرائعة فى شهور الصيف الحارة ، وركبنا الطائرة التى نعرف أن محركها كان معطوبا ، فلا تسل عما كان يعتمل فى نفوسنا من قلق وخوف ، أخرجتنا منه حيلة قامت بها مضيفة الطائرة ، فقد وضعت فى طبق أعواد من الكبريت وأعلنت أن من يعرف أقرب رقم لعدد عيدان الكبريت سيحصل على سلسلة من الذهب الخالص ، وفاز بالجائزة واحد منا ممن اقاموا فى الفندق وليس فى القصر الذى رفض وحيد رمضان الاقامة فيه ، بعد هذا العناء كان لابد ان يخلد الجميع للراحة فور وصولنا جاكرتا فيما عدا العبدلله فواجبى الصحفى والاذاعى يفرض على موافاة أجهزة الاعلام بالأنباء فور وصولها ، وكان قد خصص لنا عربة من عربات القصر ، وكانت الساعة حوالى السادسة مساء بتوقيت اندونسيا ، وتوجهت الى البريد لارسل برقية بكل ما حدث من أنباء .

بعد دقائق وصلت الى مبنى البريد وهالنى ان الجميع يعرف دقائق الموقف فى مصر ، وبعد أن انتهيت من ارسال برقيتى وكانت الساعة قاربت التاسعة ، وهممت بالانصراف انهالت على الاسئلة المحرجة من موظفى البريد الأندونيسى : لماذا اقصى محمد نجيب ولم يبدر منه ما يستوجب هذا الاقصاء ؟ لماذا اعتقلت الحكومة أعضاء جماعة الاخوان المسلمين ؟ ما هى أهداف الثورة هلى هى ثورة شيوعية أم ثورة رأسمالية لأنها بالقطع ليست ثورة إسلامية ؟ وأمضيت معهم أكثر من ثلاث ساعات

متصلة محاولا بقدر الامكان توضيح الموقف برمته .

وكان السؤال الأخير أو الاستفسار الأخير : لماذا مصر مصرة على دعم علاقاتها بالهند وهى التى تسيطر على كشمير وهى قطعة من باكستان المسلمة وقضيتها تشبه تماما قضية فلسطين ، فسكانها مسلمون وحكامها هنود ، واضطررت أن أبقى معهم محاولا فك هذا اللغز ولكنى لم استطع اقناعهم بحججى فى هذا الموضوع مع أننى استطعت اقناعهم فى العديد من الموضوعات الأخرى التى أثاروها ، وابديت لهم مخاوفى من تأخيرى واحتمال ان تكون السيارة التابعة للقصر قد تركتنى وعادت اليه ، ولكنهم اعلنوا فى كلمة واحدة ليست هذه مشكلة ، فنحن نستطيع أن نخصص لك سيارة تعيدك الى القصر ، وفعلا حدث ما توقعته ، ولكن حدث ما لم أكن اتوقعه ، فلدى وصولى الى القصر انصرفت السيارة وحاولت دخول القصر ولكننى منعت ولم يفد أن أطلعت حرس القصر على كل ما يثبت شخصيتى وان اقامتى مقررة فى القصر ، واسقط فى يدى ووقفت فى حيرة ، أين سأمضى ليلتى وأنا لا أملك من الروبيات «عملة اندونيسيا» شيئا ولا استطيع تحويل أية عملة أخرى الى روبيات ، لم يكن أمامى إلا أن امضى ليلتى فى الشارع على خوف أن يعترضنى البوليس الاندونيسى وأنا اتجول فى شوارع العاصمة الاندونيسية .

ولكن الله سلم فبعد ساعتين أو أقل ظهر نور أحد المساجد ، فما كان منى إلا ان دخلته وتوضأت استعدادا لصلاة الفجر ، وكانت فرصة أن أشهد الشعب الاندونيسى وهو يصلى ، وكانت متعة فالكل يحاول أن يقرأ الفاتحة باللغة العربية وليس بالانجليزية أو الاندونيسية ، وعرفت فيما بعد أن جميع الاندونيسيين يحفظون شعائر الصلاة باللغة العربية ولكن هذا لم يساعدهم على التحدث بالعربية ، وفى الساعة السابعة صباحا عدت الى القصر وفى هذه المرة نجحت فى دخوله ، فقد كان كبير الامناء موجودا وهو يعرف اننى من ضمن المقيمين فى القصر ، وانتهت المشكلة التى علمتنى الكثير فالصحفى قد يرتفع الى حد الاقامة فى القصور وقد ينخفض الى حد الاقامة فى الشارع .

ولم تكن هذه الحادثة هى الوحيدة التى مرت بى وان كانت حادثة مأساوية ، ولكنه هناك حادثة طريفة ، فقد دار نقاش طريف بين رجال البروتوكول الاندونيسى حول الكيفية التى تستقبل بها الحكومة الاندونيسية جمال سالم ، فهل تستقبله كتائب لرئيس الوزراء أم كنائب لرئيس الجمهورية ، فقراره كان نائبا لرئيس الوزراء

وكان رئيس الوزراء وقتذاك جمال عبدالناصر ويقوم بأعمال واختصاصات رئيس الجمهورية ، أى أن جمال سالم نائب رئيس الوزراء هو نفسه نائب رئيس الجمهورية ، ورأى رجال البرتوكول الاندونيسى عرض الأمر على الرئيس الاندونيسى أحمد سوكارنو الذى أشار بضرورة استقباله كنائب لرئيس الجمهورية إذ أن جمال عبدالناصر هو رئيس جمهورية مصر وجمال سالم نائبه ، وأن العلاقات بين البلدين تستوجب ذلك ، فمصر مؤسسة مبدأ عدم الانحياز مع الهند ويوغوسلافيا ، وسوكارنو نفسه من أشد المؤمنين بهذا المبدأ .

جمال سالم .. كان الوحيد الذى اعترض على التمويل السوفيتى للسد العالى !

كانت زيارة جمال سالم لكل من اندونيسيا والهند وباكستان مرورا برانجون عاصمة بورما وجزيرة سنغافورة فى الطريق بالنسبة لى كمندوب للاذاعة فى مجلس الثورة ورياسة الجمهورية ثروة اخبارية هائلة ليس من واقع ما جري فيها من احداث او مباحثات ولكن لأنها اعطتنى فرصة نادرة لمعرفة ما يجري خلف الكواليس على المسرح السياسى فى هذه الفترة عام ١٩٥٥ ، فكان قد مضى على ثورة يوليو ثلاث سنوات كاملة حفلت بأحداث جسام ظلت اسرارها طى الكتمان ، منها معركة الاخوان المسلمين مع الثورة وعلاقة الثورة بالقوتين العظميين ومعركة اقصاء محمد نجيب ومعركة الثورة مع الشيوعيين والاحزاب وسياسى مصر القدامى ، وحادث المنشية وغيرها .. ولم اكن اعرف ان زيارة جمال سالم ستكون اخر عهد له مع الثورة ، فبعد عودته الى القاهرة بشهور صدر قرار اقالته او استقالته ، وحسب ما توافر لى من أنباء عن هذه الاستقالة ، ان سببها خلافه بالذات حول تمويل مشروع السد العالى ، فقد حدث بعد اجتماع لمجلس الوزراء فى مقره بلاظوغلى ان خرج جمال سالم من الاجتماع ليس متجهما ولا غاضبا وانما يكظم همه فى نفسه ، وابتدرنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة بسؤال مخالف لذلك بروتوكول علاقة الصحفى بمصدر انبائه فالطبيعى ان يوجه الصحفى الاسئلة لمصدر الانباء ، ولكن فى هذه المرة وجه هو الينا سؤالا وطلب منا الاجابة ، وكان السؤال اذا كان امامكم الاختيار بين عرضين ، العرض الأول يبدو طريقه متعثرا ثم يمهد فيما بعد ، والعرض الثانى يبدأ طريقه ممهدا وفى النهاية متعثرا مليئا بالصعوبات والعقبات فأى العرضين نختار ؟ وأجبنا فى صوت واحد العرض الأول ، وكان الكلام كالالغاز غير مفهوم ، وانما انهى جمال سالم حديثه بقوله : «إبقوا دوروا لكم على وزراء» .. وانصرف بعد ذلك ، ووقعنا نحن فى حيرة شديدة لا نستطيع فهم ما يعنيه جمال سالم بسؤاله هذا ، وانما زالت حيرتنا عندماعلمنا ان مجلس الوزراء كان يبحث العرض السوفيتى والعرض الغربى لتمويل مشروع السد العالى وان المجلس اقر بالاجماع العرض السوفيتى وأن المعترض الوحيد كان جمال سالم ..

هذه الحادثة وقعت بعد عودتنا من اندونيسيا فى اول اكتوبر سنة ١٩٥٥ ؛ ومعنى هذا أن الخلاف وقع بعدها ، والشواهد كلها كانت توحى بأن العلاقات بين

عبدالناصر وجمال سالم كانت على مايرام . فقد كان فى وداع جمال سالم عندما غادر القاهرة فى ١٣ اغسطس من العام نفسه كان جمال عبدالناصر فى مقدمة قادة الثورة والوزراء ورجال السلك الدبلوماسى ، ولكن عندما عاد جمال سالم لم يستقبله عبدالناصر ولا احد من المسئولين وكأن شيئا ما قد حدث فى الأفق ربما بسبب ما حدث لصلاح سالم وهو شقيق جمال سالم كما سيأتى بعد .

ولكن حدث ما كان يجب ان يفتح عينى ويوحى لى بالموقف تماما ، ففى وداع جمال سالم توجهت لاصافح عبدالناصر مودعا ففوجئت به يقولى لى «سأقرأ كل كلمة ستكتبها عن الرحلة - الى هنا الامر يبدو طبيعيا - إلا انه اضاف وقد علمت أنك اتفقت مع جريدة الاهرام لتراسلها » الى هنا انتهى كلام عبدالناصر ، وبعده وقعت فى حيرة شديدة اذ أن هذا الاتفاق لم يعلم به أحد ، فكيف وصل اليه نبأه .. على أية حال توجهت الى سلم الطائرة وانا فى حالة يرثى لها .. انه اختبار قاس لى فلابد ان افكر وأوزن كل كلمة اكتبها لأن عبدالناصر سيقرؤها من بعدى وسألت نفسى : هل عبدالناصر يقرأ كل ما يكتب عن اعضاء مجلس الثورة ام ان هذا الامر خاص بجمال سالم وحده واذا كان الامر كذلك فهل لدى عبدالناصر الوقت الكافى للقيام بهذه المهمة ام ان عبدالناصر اراد بهذا تحذيرى ألا أفرش اخباريا للرحلة وهذا تعبير متداول بيننا نحن الصحفيين ومعناه الاهتمام بها اعلاميا ، وربطت بين كلام عبدالناصر وبين وقائع لمستها خلال الرحلة ، واول هذه الوقائع انه لما صدر قرار سفرى مع جمال سالم استدعانى محمد امين حماد رئيس الاذاعة وابلغنى وانا اطلب منه اتخاذ الاجراءات الاذاعية فى مثل هذه الحالات بداية بفتح دائرة اذاعية ارسل عليها الانباء والتسجيلات وصرف بدل السفر المقرر لى ، ابلغنى انه لن يفتح دوائر اذاعية وانه سيكتفى بارسال انباء الرحلة عن طريق البرق فقط وان الاذاعة لن تدفع تكاليف هذه البرقيات ولن تصرف لى بدل سفر ، وبينما نحن فى هذا الحوار الكئيب اذا بالتليفون يدق فى مكتب مدير الاذاعة وكان المتحدث محمد على بشير سكرتير جمال سالم وهى المكالمة التى فكت الاشتباك بينى وبين امين حماد ، فقد ابلغه ان مجلس الوزراء سيتحمل كل نفقات سفرى ولن تتكلف الاذاعة شيئا وهنا سأله مدير الاذاعة كم سأتقاضى بدل سفر وكان الرد عشرة جنيهات فى اليوم وهو نفس بدل السفر الذى يتقاضاه جمال سالم وهنا وضع حماد سماعة التليفون ووجه الحديث لى رحلة تستغرق . ٥ يوما تتقاضى فيها عشرة جنيهات فى اليوم ستصبح بعدها مليونيرا ، واجبت اننى سأجوب العالم وقد لا أصل سالما ويبدو ان كلماتى هذه مست شغاف قلبه ، فاذا بى افاجأ به يهم من على مكتبه ويفرد سجادة الصلاة ويقول لى اذهب ياأبنى غنمك

الله السلامة فى حلك وترحالك وسأدعو لك فى صلاتى ويدأ الصلاة بـ الله وأكبر ، استرجعت هذه الواقعة وواقعة اخرى كانت اغرب ، فقد كنت احمل مفكرة صغيرة ادون فيها ملاحظاتى ومشاهداتى وفوجئت ونحن فى الهند ان فقدت هذه المفكرة من غرفتى فى بداية الزيارة وفى نهايتها بعد خمسة عشر يوما امضيناها فى الهند فوجئت بها فى غرفتى من أخذها ومن اعادها لا أعرف ، ولما فقدت مفكرتى راقبت تحركات اعضاء البعثة غيرى ، واكتشفت ان اثنين من اعضائها يترددان على سفارتنا فى كل بلد زورناها وعرفت ان سياجا محكما قد فرض على جمال سالم وان انباءه تصل الى القاهرة اولا بأولا ، فلم اكن وحدى الذى يقرأ عبدالناصر ما يكتبه ولكن كان عبدالناصر يعرف كل صغيرة وكبيرة عن هذه الرحلة .

على اية حال بدأت رحلتى مع جمال سالم وكان يرافقه فضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر على رأس وفد دينى كبير ، كان له برنامج غير برنامج جمال سالم فقد كان من المقرر ان يزور اندونيسيا وباكستان بوصفهما دولتان اسلاميتان لدعم الروابط الدينية بينهما وبين مصر ، وكان شيخ الأزهر يجيد الفرنسية وايضا معظم اعضاء الوفد ، وكان هذا غريبا فالدول المقرر ان يزورها الوفد لا تتحدث الفرنسية وانما تتحدث الانجليزية ، وهذه أفة من أفاتنا ، فلم نتعود ان يختار الرجل المناسب فى المكان المناسب ، وكان الحرج كبيرا عندما هبطنا فى جاكرتا عاصمة اندونيسيا ، فلم يستطع احد من الوفد الدينى القاء الدروس الدينية أو الرد على استفسارات المسلمين هناك ، ومن حسن الحظ كان هناك الاستاذ أحمد شلبى .

والدكتور أحمد شلبى الآن وهو واعظ متمكن ومتحدث طلق باللغة الانجليزية ، فخلصنا من هذا الحرج ولم يظهر تقصير الوفد الدينى الكبير ، ورافق الوفد فى معظم زيارته الدينية ، واستقبل الوفد استقبالا حارا فى كل مكن ، وكان الحاضرون يرددون نشيدا يشيدون فيه بفضل مصر على العالم الاسلامى كله وفضل الأزهر الشريف عليه خاصة ، فقد لبى النداء واوفد المدرسين والمبعوثين وامد المؤسسات الدينية بالمصاحف والكتب الدينية والمراجع الثقافية والفتاوى وامور الدين واستقدمت مئات بل عشرات المئات من المسلمين الاندونيسيين لتلقى العلم فى الأزهر وحفظ القرأن الكريم ، ووعد شيخ الأزهر ببذل اقصى الجهود فى امداد المؤسسات الدينية بالمعونات وبالمدرسين وبالكتب والمراجع العلمية .

« عبدالناصر » يقبل استقالة « صلاح سالم »

لم تكد تطأ أقدام بعثة مصر الدينية برئاسة الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر وبعثة مصر السياسية برئاسة جمال سالم نائب رئيس الوزراء أرض إندونسيا للاشتراك في احتفالها بمرور عشر سنوات على استقلالها فى ١٣ أغسطس عام ١٩٥٥ حتى انقطعت الصلة بينها وبين مصر ، فلم تكن وسائل الاتصال متطورة كما هى الآن ولم تكن سفاراتنا فى الخارج بهذا العدد الهائل ولا بتلك الكفاءة من حيث السفراء وبعثاتنا الدبلوماسية ، ولم يكن من مصدر لابناء مصر سوى النزر اليسير الذى تنشره الصحف المحلية فى اندونسيا او تتناقله وكالات الأنباء ، ولذلك كنا شبه منفيين معزولين عن مصر خاصة وانه كان من المقرر ان نمضى فى كل من اندونسيا والهند وباكستان خمسة عشر يوما ، فلم أشهد طوال الخمسين يوما التى أمضيناها فى الخاج سفير مصر يتردد على نائب الرئيس يوميا ليطلعه على اخر تطورات الموقف فى مصر او يرافقه فى تحركاته وزيارته داخل البلد الذى يمثل مصر فيه كما يحدث اليوم فى زيارات الرؤساء المصريين ونوابهم والمسئولين على وجه الاطلاق ، فلم ألمح سفير مصر الاستاذ العمروسى سوى مرة وهو يستقبل نائب رئيس الوزراء لدى وصوله جاكرتا ومرة أخرى وهو يودعه عند مغادرته لها ، ومرة ثالثة حضر الى نائب رئيس الوزراء جمال سالم فى منتصف ليلة ٣١ أغسطس قبل سفره بساعات ، فقد كان من المقرر ان يغادر اندونيسيا الى سنغافورة الساعة السادسة صباحا ، وكان متجهم الوجه مضطربا يحمل فى يده مظروفا ، ودفعتنى حاستى الصحفية الى ان استفسر منه عن سبب هذه الزيارة المفاجئة وفى هذا الوقت المتأخر من الليل ، ولكنه رفض ان يشفى غليلى ويزيل فضولى حتى بعد أن التقى بجمال سالم وامضي معه دقائق ، ونمت ليلتى وانا قلق فقد كان لدى احساس بأن شيئا خطيرا قد حدث وان السفير كلف بإبلاغه لنائب رئيس الوزراء فى التو والحال ، فلم يداعب جفونى النوم هذه الليلة ، وفاتحت بقية اعضاء البعثة وعبرت لهم عن ظنونى وشكوكى ، لعلى اعرف الخبر وأنام ولكن لم يكن لدى اى واحد منهم علم بما حمله السفير .

أمضيت ليلتى قلقا حتى الصباح ، وكان على ان اكون جاهزا للتحرك الى المطار فى الساعة الخامسة والنصف من الصباح الباكر ، وكان على ان اعد لنائب الرئيس تقريرا صحفيا يتضمن ما ينشر عن مصر فى الصحف واهم الانباء العالمية ، ووصلتنى الصحف قبل مغادرتنا بنصف ساعة ، ولشد ما كانت دهشتى ان مانشتاتها جميعا تقول : «الصاغ الراقص يختفى» وقرأت الخبر بالتفصيل فعلمت ان

صلاح سالم قدم استقالته واختفى وان جمال عبدالناصر قبل هذه الاستقالة ، ووقعت فى حيرة شديدة كيف أبلغ هذا النبأ لجمال سالم وهداني تفكيرى ان اضع الصحف فى غرفته من تحت الباب ونفذت ما هدانى تفكيرى إليه ، وتوجهت الى المطار ، ولم نكد نركب الطائرة حتي فوجئت بجمال سالم يستدعيني لأجلس بجواره فى الكرسي الخالى المحجوز باسمه لكى يستدعى من يشاء من أعضاء البعثة ليرافقه اثناء رحلة الطائرة، وصدعت للأمر على الفور ، وتحركت الطائرة فإذا بجمال سالم يخبرنى بأن هذه الطائرة لن تطير ، فاندهشت وقلت له من اين علمتوانت لست امام عجلة قيادة الطائرة ، وكانت الطائرة قد وصلت الى نهاية الممر واستعد قائدها للطيران ولكن الطائرة لم تستجيب له ، واعلن أننا سنعود ثانية الى المطار بسبب خلل فى كهربة الطائرة ، ونظر لى جمال سالم ولسان حاله يقول : ألم أقل لك أن هذه الطائرة لن تطير ؟ فأطريت عليه وعلى خبرته فى الطيران ، واندهشت فى الوقت نفسه لهدوء اعصابه ورباطة جأشه ، فبالقطع قد علم باستقالة صلاح سالم ، فإذا لم يكن قد علم بها من سفيرنا اثناء لقائه قد علم بها من الصحف التى أرسلتها اليه فى غرفته .

أمضينا فى المطار حوالى اربعين دقيقة واستأنفنا رحلتنا الى سنغافورة ، وفى هدوء عجيب عاتبنى جمال سالم عتابا شديدا لأننى لم اعد له التقرير الصحفى فى هذا اليوم ، ولما اعتذرت له بضيق الوقت لم يقبل عذرى وانما افهمنى انني لم اعد التقرير بسبب استقالة صلاح سالم ، واضاف يلومنى على عدم معرفتى بالنبأ فى لحظة وصول السفير إليه ، وقال هذا لو كنت صحفيا ممتازا ، ورويت له كيف انني حاولت ولكن السفير رفض ان يبلغنى ، وتوقف برهة عن الحديث وفاجأنى بسؤال غريب قائلا : لكن انت رأيك ايه فأنت تعرف دخائل أمورنا ، وارتبكت وهدأ جمال سالم من ارتباكى قائلا لقد ارسل لى جمال عبدالناصر برقية طويلة روى فيها ظروف الاستقالة كاملة وقد سلمنى السفير هذه البرقية بعد منتصف ليلة امس ، وهنا قلت : ان يقدم صلاح سالم استقالته فهذا ليس غريبا فكم من مرة قدم استقالته ولكن الغريب ان تقبل هذه المرة ، وهمهم جمال سالم ولم ينبت ببنت شفه وانما غير مجرى الحديث الى روعة الاستقبال الذى قوبل به فى اندونسيا وروى لى قصة كفاح سوكارنو ضد الاستعمار الى ان اصبح رئيسا لجمهورية اندونسيا ، وحمدت الله ان نجانى من هذا المطب على خير ولم يفقد جمال سالم اعصابه ويأمر بعودتى الى القاهرة .

كان يوم ٣١ أغسطس عام ١٩٥٥ يوما عاصفا بالنسبة لى وبالنسبة لجمال سالم وأعضاء البعثة ففيه علمنا باستقالة صلاح سالم وكنا نتخيل ان آثارها السيئة على

جمال سالم ستندرج علينا ولكن الله سلم ، وقد حدث فى هذا اليوم اشكال اخر ، فقد اتفق ان كان موعد وصول جمال سالم الى سنغافورة هو الموعد الذى كان مقررا لوصول وزير المستعمرات البريطانية ، وكانت جموع المواطنين قد احتشدت فى المطار تحمل اعلاما ولافتات كتب عليها عبارات الاحتجاج على الاستعمار البريطانى والمطالبة بالاستقلال ، وحاول هؤلاء المواطنون دخول ارض المطار لاعلان احتجابهم لوزير المستعمرات البريطانية لدى وصوله ولكن السلطات البريطانية حالت بينهم وبين دخول المطار ، وكان جمال سالم قد وصل الى المطار قبل وصول وزير المستعمرات البريطانية وتوجه الى صالة كبار الزوار ، وشهد الثورة على الاستعمار فى سنغافورة وعلق عليها قائلا «لو لم تقم ثورة يوليو ومحاربتها للاستعمار لما كانت هذه الثورة التى نشهدها على بعد آلاف الاميال من القاهرة موطن ثورة يوليو ، وطال الانتظار بسبب تأخر الطائرة المقلة لنا من سنغافورة الى رانجون ووصل فى هذه الاثناء وزير المستعمرات البريطانية ، وحاولت سلطات المطار عبثا اقناع جمال سالم بالانتظار فى مكان أخر ، وامام اصرار نائب الرئيس اضطرت سلطات المطار الي اجراء ترتيب اخر للوزير البريطانى فأدخلت السيارات الى ساحة المطار وركبها الوزير وغادر المطار فور وصوله .

ولم نكد نحن اعضاء البعثة ان ننجو من هذا المطب حتى عاودنا الحديث عن استقالة صلاح سالم وتبارى الجميع فى طرح اسباب هذه الاستقالة ، فمن قائل انها بسبب فشله فى السودان ومن قائل انها بسبب اصرار صلاح سالم ان يكون فى نفس مستوى عبدالناصر ، وروى احد اعضاء البعثة ان زيارة صلاح سالم للسودان تكلفت حوالى ٨ ملايين جنيه ولم يستطع صلاح سالم ان يقدم كشف حساب بها ، وان رئيس ديوان المحاسبه احمد ابراهيم فى هذا الوقت طلب منه مستندا بهذه الملايين حتى يسدد الخانة او يقفل الحسابات كما يقولون ، الا ان صلاح سالم رفض اعطاءه اية ورقة بامضائه بتسلم المبلغ ، وتحت الحاح رئيس الديوان اضطر صلاح سالم الي ارسال المستند وذكر فيه ان هذا المبلغ صرف لشراء خرز واقمشة ملونة لتوزيعها على القبائل السودانية لكسب تأييدهم لمصر ، ومضى الراوى يقول «الا انه لم يمضى على هذا الاجراء شهور حتي طلب من رئيس ديوان المحاسبة تقديم استقالته » وكانت هذه الحادثة من الاسباب الرئيسية لاستقالة صلاح سالم .

والواقع ان اسباب استقالة صلاح سالم عديدة ، وتراكمت كل هذه الاسباب فلم يكن امام عبدالناصر بد سوى قبول استقالته بعد ان رفضها عدة مرات ، فقد كان

صلاح سالم سريع الغضب سريع الانفعال وقد تحمل عبدالناصر منه الكثير بسبب فقدان اعصابه ، فكم من مرة فى حضور اعضاء مجلس الثورة فقد اعصابه وتهجم على عبدالناصر بالقول والكلام الجارح وكان اعضاء مجلس الثورة يصلحون ذات البين بينه وبين عبدالناصر ، ولكن لما طفح الكيل لم يستطع عبدالناصر رفض استقالته هذه المرة، ولكن جمال سالم كان له رأى غريب فى استقالة صلاح سالم لم يخطر على بال أحد .

عندما صرخ جمال متسائلا :
من عين صلاح سالم حتى يقبل استقالته ؟

كان رأى جمال سالم فى استقالة أخيه صلاح سالم غريبا لا يخطر على بال أحد ولكنه ينم عن أشياء كثيرة ، ينم عن فحوى العلاقة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة ويظهر ان الخلاف بينهم عميق وشديد وان كان الظاهر يعطى انطباعا غير ذلك ، وكان رأى جمال سالم في استقالة أخيه صلاح سالم الذى سمعناه ونحن على مأدبة غذاء اقامها رئيس بورما «أونو» بعد إعلان الاستقالة بيوم واحد يؤكد أن الهدوء ورباطة الجأش التى تظاهر بها جمال سالم لدى سماعه النبأ كان هدوءا مصطنعا وانما داخل جمال سالم كان هناك أتون يغلى فيه ويكاد ينفجر ، فما إن وصل جمال سالم رانجون قادما من سنغافورة واستقبله «أونو» رئيس بورما حتى دعاه الى مأدبة غذاء تكريما له وفى المأدبة كان الحديث كله عن استقالة صلاح سالم ، فقد سأل «أونو» جمال سالم ، «هو صلاح سالم مش اخوك» أجاب جمال سالم بالايجاب ، وعاد «أونو» يكمل حديثه «لقد قرأت اليوم أنه قدم استقالته واختفى» وإذا بجمال سالم يفجر قنبلة لم تكن تخطر على بال أحد حيث كان رده على الفور : «من عين صلاح سالم حتى يقبل استقالته» ؟ وساد الحاضرون وجوم لمدة دقيقة ، اراد «أونو» أن يخرجنا منه ويعيد جو المودة والحفاوة بنا ، حيث أخذ يروى لنا النوادر عن عادات وتقاليد شعب بورما ، ولم نكد ننتهى من الغذاء حتى جاءنى أحد أفراد البعثة وأخذ يستفسر عن رد جمال سالم وعما إذا كان ما قد سمعه صحيحا ، وفجأة تركنى على عجل ولم أره طوال اليوم إلا ونحن فى الطائرة التى اقلتنا الى الهند لنمضى بها خمسة عشر يوما أخرى ولما حاولت معرفة سبب اختفائه زاغ منى ، ولكننى عرفت فيما بعد أنه توجه الى البرق وارسل برقية بما سمع الى من يهمه الأمر ، فقد كان أحد ضباط الصف الثالث الذين اختيرو لتولى مناصب السكرتارية أو مديرى مكاتب الوزراء العسكريين ، فهم أهل ثقتهم والاطمئنان اليهم .

من هذه الحادثة عرفت ان عبدالناصر لا يعلم بكل ما يجرى داخل مصر فحسب وانما هو أيضا يعلم ما يجرى خارج مصر ، وهنا عرفت بالضبط ما كان يقصده عبدالناصر من قوله لى وانا أودعه لأرافق جمال سالم فى رحلته من أنه سيقرأ كل كلمة أكتبها عن الرحلة وأنه عرف انني اتفقت مع جريدة الاهرام لأوافيها بالانباء والتحقيقات ، وساءلت نفسى هل كان عبدالناصر يريد منى أن اقوم بما قام به أحد الضباط من اعضاء البعثة ؟ أغلب الظن أن عبدالناصر كان يعلم أننى لا أصلح لهذه

المهمة ، وقد صدقت نبوءتى هذه فيما بعد ، فلما رئى تشكيل تنظيم سياسى لتربية جيل مخلص للثورة ومبادئها ، مهمته معرفة المؤمنين بها والمعارضين لهاوجاء الدور على الاذاعة لاختيار عدد منها في هذا التنظيم طرح اسمى على عبدالناصر وكانت علاقتى به وطيدة ولا يشك لحظة فى ايمانى بمبادىء الثورة فقال لمن عرض عليه الامر ما قلته بالضبط عندما عرض على أن أكون عضوا فى التنظيم وهو أننى من طبعى ألا أتدخل فى شئون أحد ولا أحاول أن أعرف دقائق حياته وأنا بهذا الوضع لن أفيد التنظيم ، فأنا حسب التحريات التى أجريت على لم انضم لحزب من الاحزاب ولم أكن عضوا فى الاخوان المسلمين رغم انني من أبناء الشرقية التى كانت فى هذا الوقت معقلا للاخوان المسلمين ، وأعترف أن هذه الصفة حمتنى فى حياتى ولم تجعلها مضطربة ، فلم أتعرض للاعتقال أو الملاحقة أو محاربتى فى عملى ورزقى ، وربما تأصلت هذه لصفة فى نفسى على أثر أحداث مأساوية واجهتنى فى بداية حياتى وأنا طالب فى مدرسة الزقازيق الثانوية ثم وأنا طالب في كلية الآداب بجامعة القاهرة، سأرويها باختصار شديد .

كنت عضوا بلجنة الطلبة بمدرسة الزقازيق الثانوية واتهمت اللجنة فى عام ١٩٤٦ بأنها لا تحتفل بيوم ١١ فبراير عيد ميلاد الملك فاروق ، ولاحقت المباحث اعضاء اللجنة علي أساس أنهم لا يدينون بالولاء للملك ، وكان من بين اعضائها الطالب نبيل الدكرورى ابن مدير الشرقية فى هذا الوقت ، واستدعينا للتحقيق وكاد يلقى القبض علينا ، ولكننا تمكنا ان نفلت منه بحجة صدرت منا جميعا وهى أن ما حدث كان سهوا ولم يلفت أحد نظرنا لهذه المناسبة ، وفى عام ١٩٤٨ وكنت طالبا فى كلية الآداب فوجئت بدق عنيف على باب شقتى فى الجيزة الساعة الثالثة صباحا ، ولم أكد افتح الباب حتى فوجئت بكشافات مركزة على ، حتى أنني من فرط ضوئها لم أتبين من على الباب ، وإذا بى اسمع من يقول «ممنوع الحركة» وبالطبع تسمرت فى مكانى لا أتحرك وإذا به يأمر بتفتيش الشقة ، وبعد أن انتهى التفتيش طلب مني ومن معى التوجه معهم وأعطونا فرصة لاستبدال ملابسنا ، وقبل أن يصحبونا الى المجهول بدأوا يسألوننا بعض الاسئلة ، وهنا تبينت شخوصهم ، ولشد ما كانت دهشتى أن مرتضى المراغى وزير الدخلية وقتذاك كان على رأس الحملة ، وعرفت أن معه سعيد الحمار ضابط المباحث وكان بلدياتى ويعرف عائلتى تماما وهنا اختلى بوزير الداخلية فترة بعدها سألنى سعيد الحمار سؤالا محددا هل لكم علاقة بالطلبة القاطنين فى الدور الثانى فأجبت بالايجاب ، وكان سؤاله الثانى هلى لكم علاقة بالطلبة القاطنين بالدور الأول فأجبت بالنفى فانفرجت أساريره ، وزدت في القول إن

وضع هؤلاء الطلبة مريب فشقتهم مظلمة دائما ونادرا ما تضىء ضوءا خافتا وفجأة تنازلت الحملة عن اصطحابنا وتنفسنا الصعداء ، وعرفنا فيما بعد أن مالك وهو أحد الشخصيات الذى يبحث عنه البوليس كان مقيما معهم الليلة الماضية ، وقد تم القبض على هؤلاء الطلبة وأقام البوليس فى الشقة لاصطياد روادهم ، وقد حضر أحد هؤلاد الرواد وحاول الهرب ولكن البوليس تمكن من القبض عليه وبعد هذا الحادث بعام أو بعامين وكنا قد غيرنا محل اقامتنا حسب طلب البوليس كان يتردد على السيد عبدالعزيز خميس وكان زميلا لى فى الكلية والذى أصبح فيما بعد رئيسا لمجلس ادارة روزاليوسف ، وكان موضوعا تحت الرقابة لاتهامه فى مقتل امين عثمان وكان يحضر لى ومعه المخبر الملازم له ، الا أن هذا الحادث لم يسبب لى مضايقة لأن زميلى عبدالعزيز خميس كان قد حصل على أذن بزيارتى .

رويت هذه الاحداث لأدلل لماذا أنا لم أنتم لأى حزب من الاحزاب أو هيئة من الهيئات ، ولنعد الى موضوعنا ، تذكرت كلام عبدالناصر وتذكرت أيضا أن أجندتى التى اكتب فيها مشاعرى واحساساتى خلال رحلتى مع جمال سالم قد فقدت فى جاكرتا من غرفتى فى قصر الحرية الذى كنا نقيم فيه والغريب أننى وجدتها فى غرفتى فى نيودلهى ، وهنا عرفت أن من أخذها كان يظن أننى اكتب فيها اسرارا يريد الاطلاع عليها وربما كان من اخذها هو نفسه الشخص الذى أبلغ مصر ما قاله جمال سالم ، كل هذه الاحداث تتابعت على فأرهبتنى وازعجتنى ولما نزلنا فى قصر الضيافة فى الهند ، قادنى رجل البرتوكول الى جناح كبير وقال لى هذا مخصص لك ورأيت حقائبى قد وضعت فيه والمفاجأة اننى لما عدت فى المساء ، ولم أجد حقائبى وعرفت أنها نقلت الى غرفة أقل مستوى من الجناح ، وابلغت جمال سالم ، وأشهد أن الرجل لم ينم إلا بعد أن أعاد لي حقى وأعيدت حقائبى الى الجناح ، هنا أشفقت على جمال سالم ، لأنه لم يعرف أثر ما تفوه به تعليقا علي استقالة أخيه صلاح سالم ، وربما لم يعرف أن ما تفوه به أبلغ على الفور الى جمال عبدالناصر، ولم يعرف أن شائعات سرت تقول إننا لن نعود الى القاهرة وانما اصبحنا فى حكم المنفيين ، واردت أن اعرف حقيقة الامر فأجريت اتصالا بالاذاعة ومنها علمت أن أنباء الزيارة منعت ، المهم أن جمال سالم استمر فى زيارته للهند وأعجب به جواهر لال نهرو لدرجة أنه قام بزيارة للقاهرة وكان جمال سالم قد أعفى من منصبه ولكنه طلب بأن يكون جمال سالم فى استقباله ، وقد حدث ولكن هل استقالة صلاح سالم عجلت باقالة جمال سالم أم أن اقالة جمال سالم كانت مقررة قبل استقالة صلاح سالم ؟

عبد الناصر لم يخطط لأقالة اعضاء مجلس الثورة وانما خطط لأقالة محمد نجيب

نحن نجاوز الحقيقة تماما ونظلم عبدالناصر ظلما بينما لوقلنا أنه خطط لاقالة أو قبول استقالة اعضاء مجلس الثورة ، وانما الاحداث هى التى كانت تفرض عليه ذلك ، وشىء واحد هو الذى خطط له عبدالناصر وسانده فيه اعضاء مجلس الثورة جميعا ما عدا خالد محيى الدين وهو اقالة محمد نجيب حيث كان يوجه الاحداث ويتدخل فى مسارها ويعد لها ليخف من شعبية نجيب حتى اذا ما اتخذ قرارا بتنحيته لا يكون له أثر شعبى ، فقد كان نجيب فى نظر الشعب يمثل الديمقراطية ومجلس الثورة وعبد الناصر يمثلون الدكتاتورية ، وهو وضع تخلص منه عبد الناصر عندما حقق جلاء الانجليز عن مصر بعد احتلال لها دام ما يقرب من ٧٤ عاما كاملة ، فى حين إن نجيب فشل فى القضية التى اوكلت اليه وهى قضية السودان ، بالاضافة الى ان اتفاق اعضاء مجلس الثورة على اختيار محمد نجيب لقيادة الثورة كان هدفه ضمان تأييد الجيش والشعب للثورة وعندما يشتد عودهم يعزلوه ، وهو ما حدث بالضبط ، فقد بدأ التمهيد لعزل نجيب عندما بدأت اجتماعات مجلس الثورة تعقد فى مقره بالجزيرة بدون محمد نجيب ، وكنا نحن – مندوبى الصحف والاذاعة – نحضر الى مقر المجلس فى بدايته ولا ننتظر حتى نهايته كنا يقضى العرف الصحفى لسببين الأول انه كان هناك تعتيم كامل على المسائل والقضايا التى تبحث فى هذه الاجتماعات والثانى أن اجتماعات مجلس الثورة كانت تعقد فى الساعة السادسة من مساء كل يوم احد من كل أسبوع وتستمر حتى أوائل خيوط صباح يوم الاثنين ، وعليه فكنا نكتفى باملاء الصحف والاذاعة خبرا روتينيا يقول أن مجلس الثورة عقد اجتماعا استمر حتى الصباح لبحث القضايا الهامة السياسية والاقتصادية المطروحة ونغادر المجلس ، ولكن كان يحدث كثيرا – ونحن مازلنا فى مقر المجلس – أن يحضر نجيب بعد اجتماع المجلس بحوالى ربع ساعة ويمضى فى الاجتماع ربع ساعة أخرى يغادر بعدها مقر المجلس، وكنا نحاول أن نعرف منه تفاصيل ما يدور ولكنه كان يرد علينا بعبارة لا تتغير ولا تتبدل وهى "ربنا يكفينا شر أنفسنا" وهذه العبارة كانت توحى بأن هناك ازمة من نوع ما بينه وبين اعضاء مجلس الثورة او بينه وبين عبد الناصر كما عبر عنها نجيب نفسه فى مذكراته ، وقد تبينا هذه الازمة من التعتيم الاعلامى المفروض على تحركات نجيب ومما تردد انذاك من ان نجيب كان يرفض اعتماد قرارات مجلس الثورة فى معظم الاحيان ويهدد فى كل مرة بالاستقالة

، وتبينتها أنا شخصيا أكثر عندما كنت المح ان أجهزة الاذاعة تتحرك لعبدالناصر ولا تتحرك لنجيب ، واتضحت الصورة لى اكثر عندما قال لى محمد امين حماد مدير الاذاعة فى احدى زياراتى له فى مكتبه وكان يعلق فى مكتبه صورة عبدالناصر وحدها ولا يعلق صورة محمد نجيب كما كان متبعا فى المكاتب الحكومية فى هذا الوقت ، وقال انظر اننى اعمل من اجل هذا الرجل واذا أتيت بنبأ اقالة نجيب او استقالته سأرقيك على الفور .. من هنا عرفت ان ايام نجيب معدودة فى الحكم .

وقد صدقت النبوءة .. فقد كنا فى مجلس الثورة بالجزيرة يوم الأحد الموافق ٢٤ فبراير عام ١٩٥٤ حيث كان يعقد مجلس الثورة اجتماعه الاسبوعى بدون نجيب ، ولم همنا بمغادرة المبنى كالعادة بعد أن أملينا لصحفنا الخبر الروتينى كالعادة ، جاء الينا من يطلب منا البقاء ، ولكن لما اشتد النقاش بين اعضاء مجلس الثورة وعلا صوتهم واصبح مسموعا لدينا ، جاء الينا من يطلب منا مغادرة المجلس وان نكون فى مكان قريب يمكن استدعائنا منه ، وخرجنا ونحن على يقين من أن اقالة نجيب ستعلن الليلة ، وكان من الطبيعى ان نطلب من الصحف تأخير طبعها الليلة ، وأمضينا ليلتنا حول كوبرى قصر النيل نتدارس الأمر وننتظر استدعاءنا ، وفى حوالى الساعدة الثانية صباحا والهدوء يخيم تماما على القاهرة وعلى المكان الذى نحن فيه ، جاء من يستدعينا ، وعلى الفور توجهنا الى مجلس الثورة ووجدنا صلاح سالم فى انتظارنا وفى يده ورقة مكتوبة بادى فيها انها عدلت اكثر من مرة ، وكان متجهما ولكنه غير مضطرب واملانا بيان اقالة نجيب او قبول استقالته بعد مقدمة طويلة قصد منها تشويه صورته حيث اكدت انه دخيل على الثورة لم يعرف بها الا قبل شهرين من وقوعها وانه طوال الفترة التى عمل بها مع الثورة كان عبئا عليها وعلى المنجزين الحقيقيين لها وانهم حاولوا خلال هذه الفترة ان يتحملوه ويتحملوا مطالبه السلطوية ، ولكن الاناء قد فاض بافعاله هذه وانهم لم يجدوا بديلا سوى قبول استقالته .

لم تخل هذه المقدمة على الشعب ولم يقبل تبرير قبول استقالة نجيب، فقد امضينا الساعات القليلة التى تبقت من ليلتنا لنصحو على زئير الشعب فى مظاهرات صاخبة شملت كل احياء القاهرة تهتف لنجيب وكان الشعب كله معه وضد عبدالناصر وسمعنا ان فى القوات المسلحة اضطرابات بين انصار عبدالناصر ومؤيدى نجيب وتركنا الشارع المصرى بهديره وغضبه وتوجهنا الى منزل عبد الناصر لنجد ان كل شىء هادىء وكأن شيا لم يحدث ، حرسه غير مبال لما يحدث فى الشارع وكأنهم

واثقون ان الموقف سينتهى لصالح رجلهم القابع فى المنزل الذى يحرسوه ، واذن لنا بمقابلة عبدالناصر ، وطرحنا عليه القضية بأمانة ، وذكرنا له الهتافات المدوية ضده والتى تطالب بتنحيته بل وبالقصاص منه لما فعله بنجيب ، ولشد ما كانت دهشتنا حينما لمحنا أن كلامنا هذا لم يغضب عبدالناصر أو يثيره ولكنه فاجأنا بضحكته المعهودة عالية مجلجلة كالعادة باعصاب فولاذية وكان رده عبارة عن ثلاث كلمات «خلى نجيب ينفعهم» وفهمنا من رده ان خلع نجيب لا رجعة فيه وأنه اعد لكل شىء عدته وان خيوط اللعبة كلها فى يده وان مفاتيح البلاد كلها فى يده ، والغريب انه امضى معنا أكثر من نصف ساعة لم يحدث ان دق التليفون يطلبه ليبلغه بشىء ما ويتلقى تعليماته وكأن البلاد ليس بها ثورة ولابد من مواجهتها ، والاغرب من ذلك أننا ونحن نهم بالانصراف طلب مندوب جريدة المصرى الذى كان فى زيارة معنا لعبدالناصر ، طلب منه زيارة المصرى وكانت قنبلة فجرها عبدالناصر عندما أجاب عليه «لما نستولى عليه» ومع رده ضحكة كتلك التى سمعناها منه ونحن نصف له الحادث فى الشارع المصرى وخرجنا والحيرة تتملكنا عما اذا كان عبدالناصر جادا فيما يقول وانه سيستولى على جريدة المصرى فعلا ام الامر هو مجرد نكته ومزاح لا أكثر ولا أقل .

لم يكن عبدالناصر يتخيل أن إقالة محمد نجيب ستقلب الشعب والجيش ضده

خرجنا نحن - مندوبى الصحف والاذاعة - من بيت عبد الناصر لنجوب شوارع القاهرة لنرى ان ثورة الشعب قد زادت تطالب بعودة نجيب وان القوات المسلحة هى الاخرى تطالب بعودة نجيب ، وكان شغلنا الشاغل سؤالا يلح علينا هل سينزل عبدالناصر على رغبة الشعب وقواته المسلحة الذين كان لهم فضل تأييد الثورة وحمايتها من بطش الملك وبطانته ام سيستمر مصرا على اقالة نجيب ؟

ومر يوم فى تصورى انه كان اطول يوم فى تاريخ الثورة المصرية اطول من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الذى قامت فيه الثورة لان الخلاف بين اليومين كان كبيرا جدا ، يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان الشعب على بكرة ابيه مع الثورة يشد ازرها ويصر على الوقوف بجانبها حتى تكلل بالنجاح لتخلصه من فسق الملك وبطانته وفساده ، وكانت القوات المسلحة بفضل ضباطها الاحرار المنتشرين فى مختلف اسلحتها مؤيدة للثورة خاصة بعد أن تم القبض على كل الضباط ذوى الرتب الكبيرة التى كانت تمثل السند الاكبر للملك والملكية والقبض على السياسيين القدامى الذين كانوا يقبضون على زمام السلطة بأمر من الملك وليس بتأييد من الشعب ، وكلن يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٥٤ بعد ثمانية عشر شهرا من قيام الثورة يقف الشعب وقواته المسلحة ضد مجلس الثورة يرفض قراره بإقالة محمد نجيب ، وهو امر لم يدر بخلد عبدالناصر بالمرة وبالتالى لم يعد يخطط لمواجهته فلم يكن يتخيل ابدا ان اقالة نجيب ستقلب الشعب والجيش ضده وهو الذى يملك الركائز القوية المؤيدة له بين فصائل الشعب المختلفة وبين اسلحة الجيش الثلاثة البرية والبحرية والجوية فى حين يفقد نجيب مثل هذه الركائز بسبب ابعاده عن السلطة ولكنه كان رمزا يلتف حوله الشعب والقوات المسلحة دون تنظيم على انه المدافع عن الديمقراطية والحرية ضد رغبات مجلس الثورة فى وادهما او تحديدهما والحد من سلطانهما . ومن هنا ثار الشعب وقواته المسلحة تلقائيا يعلن رفضه تنحية من يظنون انه حامي لهما .

تحرك عبدالناصر بسرعة مذهلة ففى اليوم التالى فكر فى دعوة مجلس الثورة على عجل عندما وجد الصحف تتحدث عن نجيب كبطل ، فالاهرام كان موقفه عائما لا يظهر من علاجه للموقف عما اذا كان مع نجيب او مع عبدالناصر والجمهورية التى اسسها تقف الى جواره وتعتبر نجيب دخيلا على الثورة وايضا اخبار اليوم اما جريدة

المصرى وتنظيمات الاخوان المسلمين والسياسيين القدامي وجدوا الفرصة متاحة لنجاح ثورتهم المضادة ، فكانت اكثر الصحف تأييداً لنجيب ووقوفا ضد عبدالناصر والثورة اما الاذاعة فكانت تذيع ما يملى عليها من بيانات رسمية فقط محاولة التقليل من اهمية ما يدور فى الشارع المصرى ، ومنذ هذه اللحظة ادركنا - نحن مندوبى الصحف والاذاعة - ان عبد الناصر يوم مزح معنا وقال أنه سيغلق جريدة المصرى أنه كان يعنى ما يقول وانه سيغلق جريدة المصرى فعلا ، بل ولن يترك الصحف تشكل الرأى العام فى حرية تامة وانما فكر فى هذا الوقت بالذات فى وضع تنظيم لها يجعلها لا تخرج عن الطريق المرسوم ، المهم ان الاحداث تتابعت بسرعة مذهلة وبدت كالافلام البوليسية التى توحى احداثها بنهاية محتومة الا ان المشاهد يفاجأ بنهاية غير تلك النهاية ، فمجلس الثورة الذى أيد اقامة نجيب تراجع بعد ٤٨ ساعة عن قراره وايد عودته والشعب الذى تحرك مع نجيب مطالبا بالحريات والاستفتاء على رئيس الجمهورية وتشكيل المجالس النيابية بالانتخاب هو نفسه الذى لم يتحرك فيما بعد يوم اعلن العدول عن هذه المطالب والجيش الذى ايد معظمه نجيب كرمز للديمقراطية والحرية فى ٢٥ فبراير عام ١٩٥٤ وقف بعد شهر من هذا التاريخ فى ٢٥ مارس مع عبدالناصر مطالبا بعدم عودة الاحزاب ، وكان صعبا علينا وعلى كل المهتمين بتحليل الاحداث الوصول الى تفسير لهذا الموقف العجيب ، وكنا نتخيل أن الذين سارعوا بكتابة مذكراتهم بعد وفاة عبد الناصر فى استطاعتهم اشفاء غليل الشعب ازاء هذا الموقف الغامض ، فلم يتطرقوا الى ذكر الأسباب الحقيقية لهذا التطور المتناقض ولا الاسباب الخفية ، فليس من المعقول او المقبول ان يتحول الشعب والجيش من موقف الى موقف مضاد خلال شهر واحد دون اسباب معروفة ، وعليه سيظل هذا الموقف لغزا من الغاز الثورة العديدة التى لم تحل حتى الان رغم مرور ما يقرب من ٣٦ عاما على قيامها .

على انه من واقع مشاهداتنا عن قرب يمكننا ان نقول ان تنظيمات الثورة بين الشعب والجيش لم تقم بواجبها للتمهيد لاقالة نجيب او ان الشعب والجيش لم يصدقوا سر تبريراتهم للقدوم على هذا الامر الخطير وان عبدالناصر ومجلس الثورة غابت عنهم هذه الحقيقة عندما قرروا اتخا قرار اقالة نجيب ،فكان هذا الموقف من الشعب والجيش يعتبر مفاجأة مذهلة لمجلس الثورة وعبدالناصر ولكن الثابت الذى كنا نشهده بعيوننا ونحن نرصد احداث هذه الفترة بحكم عملنا كمندوبين للصحف والاذاعة ان عبدالناصر كان له خلال هذه الفترة جنود وضباط غير معروفين فى

صفوف الجيش يأتمرون بأمره وينفذون طلباته ويلتقون به سرا كما حدث فيما بعد يوم كان يجتمع مع عدد من الضباط فى منزله او فى اماكن أخرى ليس من بينهم قادة الجيش المعينين واصبحوا فيما بعد هم قادة الجيش فى حركات التطهير المتتالية التى تعرض لها الجيش ، كما ان ضباطا لم يكونوا فى عداد الضباط الاحرار ولكنهم تولوا مناصب اثبتوا فيها كفاءة وبرزوا على الضباط الاحرار ، وايضا كان لعبدالناصر تنظيمات بين الشعب افرزتها منظمات الشباب ومن بعدها هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى فالاتحاد الاشتراكى ، وهذه التنظيمات ظهرت فى الازمة وكان لها دور مؤثر وفعال حوّل الامة الى جانب عبدالناصر ومنها هيئة النقل العام التى كان معظم عمالها اعضاء فى هيئة التحرير بل أن هيئة التحرير قامت على اكتافهم وهى التى استطاعت ان تحسم المعركة عندما قررت الاضراب عن الطعام والعمل معا الى ان تجاب مطالبهم ولم تكن مطالب نقابية وانما مطالب سياسية وهى عدم السماح بقيام الاحزاب واستمرار مجلس الثورة فى مباشرة سلطاته .

منذ هذه الازمة وعبدالناصر شغل نفسه بقضية نجيب وكيفية اقصائه عن الحكم دون ان يكون لها جيوب ، وكم من مرة سنحت الفرص ليضرب عبدالناصر ضربته ولكنه كان دائما يؤجل الى ان تنضج الطبخة وينحى نجيب فى هدوء كما ضمه الى تنظيم الثورة فى هدوء ايضا ، وكان عبدالناصر حريصا الحرص كله على الا يظهر بأنه وحده الذى يريد اقصاء نجيب وانما مجلس الثورة كله والشعب والجيش ايضا ، فاذا كان نجيب يتمتع بشعبية فلابد هو الاخر ان يأتى باعمال تحقق له هذه الشعبية وحددها بالفعل ، فكان توزيع عقود التمليك على المنتفعين بقانون الاصلاح الزراعى . وانهاء مباحثات جلاء الانجليز بنجاح وهما الحدثان اللذان لم يشارك فيهما نجيب وثابت لدى الشعب أن الحدث الذى شارك فيه وهو مباحثات السودان قد فشل وبعدت السودان عن مصر ، وكان لعبدالناصر ما اراد ونحى نجيب فى المرة الثانية بهدوء تام دون ضجة حتى أن الشعب لم يشعر بتنحيته .

الغاز حائرة فى تاريخ الثورة المصرية لم تجد حلا بعد ..

منذ ازمة محمد نجيب الاولى التى اثارت اقالته الشعب والجيش معا واضطر مجلس الثورة الى التراجع عن قراره واعادة نجيب تحت ضغط الجماهير والشعب ، كثف عبدالناصر ومجلس الثورة نشاطهم السياسى والجماهيرى تحسبا لمعركة أخرى بينهم وبين نجيب الذى كاد ان يسرق الثورة منهم فى صراعه معهم ففى خلال اقل من ١٥ يوما قام عبدالناصر برفقة اعضاد مجلس الثورة بتوزيع حوالى عشرة الاف فدان على الفلاحين والمنتفعين بقانون الاصلاح الزراعى فى الفاروقية والبحيرة والمحلة الكبرى فى الوجه البحرى وتوزيع حوالى الفين فدان للاوقاف على المواطنين فى كل من اسيوط وسوهاج وقنا وفى ٢٧ يوليو عام ١٩٥٤ تم التوقيع بالاحرف الاولى على اتفاقية جلاء الانجليز وكانت هذه الانجازات تتم فى احتفالات جماهيرية رائعة وكانت الصحف والاذاعة تفرد لها وتعلق عليها وكان عبدالناصر يلهب حماس الجماهير فى تلك المؤتمرات بما يعلنه من تصريحات ففى احداها اعلن للمواطنين ان اتفاق الجلاء ليس فيه تحالف عسكرى ولا دفاع مشترك وانما هو مرحلة من مراحل البناء ، وفى الثانى اعلن وقوفه ضد الاحلاف الاجنبية ورفضه لها لانها لا تعدو سوى استعمار مقنع فضلا عن تنويهه بمنجزات الثورة فى مختلف المجالات ومنها البدء بتخفيض المصروفات الجامعية بنسبة ٣٠٪ والتوسع فى منح المجانية للمتازين لنشر العلم وتشجيع الطلبة المتقدمين والبدء فى تنفيذ مشروع مصنع الحديد والصلب وانشاء كورنيش النيل وتجميل مداخل القاهرة وتجديد خط سكة حديد حلوان وانشاء المدارس فى كافة انحاء الجمهورية وانشاء اول اذاعة اقليمية بمدينة الاسكندرية فى ٢٠ يونيو من نفس العام واخيرا توقيع اتفاقية الجلاء وانهاء الاحتلال البريطانى فى ١٩ اكتوبر فى مؤتمر وطنى كبير عقد بميدان الجمهورية وعقد للتعبير عن فرحة الجماهير بهذا الانجاز الكبير .

وان الثورة لن تنتهى الا اذا وفرت لكل عاطل عملا ولكل جاهل علما ولكل جائع غذاء وانها ليست ثورة اشخاص وانما ثورة مبادىء ومن اهدافها اقامة عدالة اجتماعية، وهو المؤتمر الذى اطلقت اثناءه الصواريخ لترسم صورا لعبدالناصر معلقة فى الهواء وكان وجه استغرابنا نحن – مندوبى الصحف والاذاعة – ان هذه الصواريخ لم ترسم صورا لنجيب رغم انه مازال رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس الثورة وبهذه

الطريقة حول عبدالناصر الدفة الى صالحه بين صفوف الشعب وفصائل القوات المسلحة وازال البريق الذى كان يتمتع به نجيب واصبح فردا لا حول له ولاقوة ، تصدر القرارات وهو غير راض عنها ولكنه لا يستطيع ان يحرك ساكنا ومع ذلك يصفق لها الشعب كله ويؤيدها ضباط وجنود الشعب ومنها حل نقابتى الصحفيين والمحامين عقابا لهما على اصدارهما البيانات المؤيدة للحريات والديمقراطية والمنادية بالدستور وتركزت بذلك جميع السلطات فى يد عبدالناصر ومنها صدور قرار حرمان كل من تولى الوزارة من السياسيين القدامى خلال السنوات العشر السابقة على الثورة من مباشرة الحقوق السياسية وتقديم العديد منهم الى المحاكمة بتهمة افساد الحياة السياسية ومنها قرار اغلاق جريدة المصرى فى ٤ مايو عام ١٩٥٤ عقابا له على وقوفه مساندا لنجيب خلال ازمته الاولى وبسبب جريدة المصرى وغيرها من الصحف التى ايدت نجيب بدأ تفكير عبدالناصر جديا فى وضع تنظيم جديد للصحافة يتيح له فرصة السيطرة عليها نهائيا .

فى خضم هذه الاحداث الدراماتيكية والمأساوية فى آن واحد كان نجيب ينتظر مصيره المحتوم الذى يحدده عبدالناصر الذى امسك بزمام الامور واصبح الرجل القوى الوحيد القادر على فعل كل شىء دون معارضة الا ان نجيب - فى ظل هذه المأساه - لم يفقد ثقته فى قوة الشعب وقدرته لا لنجدته من ازمته فالامر قد تقرر ولم يبق سوى موعد نزول الصاعقة وانما على الاقل لتحسين مصيره بحيث الا يكون مؤلما او ينتهى باعدامه وهو الذى كان يطلق على اعضاء مجلس الثورة لقب الضباط الصغار وهو الذى كان يعتبر نفسه العقل المفكر واعضاء مجلس الثورة العضلات التي تقوم بتنفيذ هذا الفكر وقد سنحت الفرصة لعبدالناصر ليضرب ضربته فقد حدث وهو يحتفل بالجلاء فى الاسكندرية فى ميدان المنشية ان اطلق عليه الرصاص وتبين فيما بعد ان الذى اطلق عليه الرصاص محمود عبداللطيف احد اعضاء جماعة الاخوان المسلمين وتم القاء القبض عليه وعلى كل اعضاء هذا التنظيم حتى وصل عدد المعتقلين الى ما يزيد على ٨ آلاف معتقل وشكلت محكمة لمحاكتهم برياسة جمال سالم وعضوية انور السادات وحسين الشافعى وعقدت جلساتها بمقر مجلس الثورة بالجزيرة فى ٩ نوفمبر عام ١٩٥٤ واصدرت احكامها باعدام محمود عبداللطيف مرتكب حادث العدوان فى المنشية وعدد من قيادات الاخوان من بينهم عبدالقادر عودة وحسن الهضيبى ويوسف طلعت وهنداوى دوير وابراهيم الطيب ومحمد فرغلى ونفذ حكم الاعدام فى الجميع فيما عدا الهضيبى الذى خفف الحكم عليه الى الاشغال

الشاقة المؤبدة وفى سياق المحاكمة ورد فى اقوال بعض المتهمين ما يشير الى ان اتصالات جرت بين اللواء نجيب والاخوان المسلمين انتهز عبدالناصر الفرصة واكد اتهام نجيب وعلى اثر ظهور هذه الاقوال فى المحاكمة ذهب عبدالحكيم عامر الذى رشح نجيب لاعضاء مجلس الثورة حيث كان يعمل مديرا لمكتبه ذهب حيث اصطحب الضابط العظيم الذى كان يأتمر بأمره قبل الثورة وبعدها الى قصر زينب الوكيل بالمرج بحجة انه سيظل فى هذا القصر الى أن تثبت المحكمة براءته من التهمة الموجهة اليه . ولكنه لم يكد يصل الى القصر الذى نهبت كل محتوياته قبل وصوله لم يكد يصل اليه ليمضى ما تبقى من عمره بين جدرانه فى حبس انفرادى غير مسموح له بمغادرته حتى صدر قرار باعفائه من جميع مناصبه فى تعتيم اعلامى مقصود ولم يحدث اقصاؤه اى رد فعل اللهم الا بعض البرقيات التى انهالت على مجلس الثورة تستنكر هذا الاجراء وهو ما خطط له عبدالناصر منذ لحظة انضمام نجيب الى ركب حركة الثورة وصمم على تنفيذه بعد ان شهد تأييد الشعب والجيش لنجيب فى ازمته الاولى فى ٢٥ مارس .

وهكذا يظل اقصاء نجيب لغزا حائرا فى تاريخ الثورة لم يجد حلا بعد او تفسيرا مقبولا فقد كانت قضية عجيبة وغريبة فى اطوارها فانضمامه الى الثورة اختلفت الروايات حوله وتناقضت واقصاؤه اختلفت الروايات حوله ايضا وتناقضت وكذلك حادث المنشية يظل هو الاخر لغزا حائرا فى تاريخ الثورة المصرية لم يجد حلا بعد رغم مرور اكثر من اربع وثلاثين عاما عاما على وقوعه ولم يستطع احد ان يشفى غليل المستفسرين عن احداثه وتناقضت الروايات حوله حتى من الذين شهدوا الحادث والذين كانوا فى مواقع صنع القرار ولكن فيما يخص محمد نجيب فلابد من الاقتناع بأن الرجل خالف كل الظنون من حوله فلم يكن أمعة او خيال مآته كما ارادوا او كما حاولوا ان يظهروه على هذا النحو فقد برزت فى كل اطوار انضمامه لتنظيم الضباط الاحرار ومن ممارسته العمل معهم بعد ان تولى امر قيادة الثورة برزت ارادته القوية الفولاذية فرغم الضغوط الواقعة عليه والتهديدات التى تعرض لها لم يتصرف او يتحرك الا بما يمليه عليه ماضيه العريق فى العسكرية والمواقف المشرفة التى وقفها وصنعت هذا الماضى العريق فقد رفض اوامر ملكية قبل الثورة ورفض ايضا التسييس بعد الثورة وهى امور حملته المشاق والصعاب وادخلته فى ازمات صعبة منذ ان انخرط فى السلك العسكرى ومهما قيل عنه وعن تقليل دوره فى الثورة فيكفيه فخرا انه لم يقبل ان يكون لعبة فى يد ضباط الثورة وهم الذين اختاروه عن

قناعة - كما اعلنوا مرارا - انه سيكون اقل الضباط العظام - الذين فكروا فى الاستعانة بهم بدلا منه - عريكة وشكيمة فاذا به بدا أنه اكثرهم قوة وعزيمة وصلابة وأنه كاد أن ينتصر بمفرده على الضباط الاثنى عشر المسيطرين على شئون الدولة جيشا وشعبا ويكفيه انه استطاع ان يكون لنفسه صيتا شعبيا وعسكريا لم تستطع كل اجهزة الاعلام وقت ذاك اقناع الجماهير فى داخل مصر وخارجها بأنه كان مجرد واجهة وصورة للثورة غير مشارك فيها .

وايا كان الامر فسيظل أول رئيس جمهورية مصرى تولى شئون مصر علي الرغم من اغفال هذه الحقيقة فى كل الوثائق والكتب التى صدرت عن الثورة ذلك لان التاريخ الحقيقى ليس هو الذى يكتب والاحداث ساخنة وصانعها مازال فى الحكم ولكن التاريخ الحقيقى يكتب عندما تزول كل المؤثرات ويصبح كاتبه فى مأمن من بطش الذى يريد عدم تسجيل الحقيقة والواقع .

قبل ٣٤ عاما أقر عبدالناصر وجوب حل المشاكل الدوليةبالمفاوضات السلمية واستخدام الذرة فى الاغراض السلمية

باقصاء نجيب عن السلطة وتجريده من جميع مناصبه واعتقال تنظيمات الاخوان المسلمين ومحاكمة زعمائهم وصدور الاحكام على السياسيين القدامى سواء من محكمة الثورة او من محكمة الغدر خلا الجو تماما امام جمال عبدالناصر وخف تأثير الثورةالمضادة او انعدم وتفرغ عبدالناصر لادارة معركته داخليا وخارجيا بحرية تامة وباعتراف سائر المراقبين بما فيهم اعداء عبدالناصر انه وصل اوج مجده فى خلال هذه الفترة ووصلت ثورة يوليو الى اعظم ما تصل اليه ثورة من ترسيخ لمبادئها وتأييد جارف شعبيا وايمان بقدرتها على فعل المعجزات .

وكنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة فرحين مختالين فخورين بثورتنا وقيادتها ومنجزاتها ونسعد كلما شاهدنا الاحتلال البريطانى يرحل عن ارض مصرنا العزيزة ممثلا فى مغادرة جنوده ارض الوطنه على دفعات وتسلم السلطة المصرية المشآت البريطانية فى منطقة القنال فى احتفالات مهيبة جليلة يشهدها عبدالناصر واعضاء مجلس الثورة والعديد من ضيوف امتنا العربية نطرب ونسعد ونحن نرى مصر قبلة لكل الرؤساء العرب والشخصيات الاجنبية المرموقة ففى هذه الفترة فتحت مصر ذراعيها حيث عقد فى مقر الجامعة العربية على كورنيس النل لقاء الرؤساء العرب لبحث سياسة الاحلاف بناء على دعوة من مصر وايد الرؤساء العرب جميعا مصر فى وقفتها ضد الاحلاف الاجنبية وضد نورى السعيد الذى اصر على بقاء هذه الاحلاف الاجنبية ولم يقتنع برأى مصر ومنها الدول العربية التي اعتبرت ان هذه الاحلاف تمحو فكرة الجامعة العربية والضمان الجماعى العربى وتقف حجر عثرة تهز قوة العرب وقوميتهم العربية وتربط العرب بتلك الدول الاجنبية سواء اكانت شرقية او غربية وكان ذلك بداية التفكير فى سياسة عدم الانحياز التى اسستها مصر مع يوغوسلافيا والهند وهنا لابد ان ننسب فضل القضاء على الاحلاف الاجنبية وتشكيل دول عدم الانحياز الى عبدالناصر وننسب اليه انه اقر وجوب حل المشاكل الدولية بالمفاوضات السلمية وان الاحلاف العسكرية لا تكفل السلام فى اية دولة ووجوب تقيد استعمال الاسلحة ذات التدمير الواسع النطاق ووجوب استخدام الذرة فى الاغراض السلمية والاعتراف بحق تقرير المصير وتأييد قضية الحرية والاستقلال بالنسبة للشعوب

النامية واستنكار استعمار الشعوب ونبذ سياسة القوة كوسيلة لحل المشاكل الدولية والمناداة بالسلام والتعاون العالمى فى نطاق الامم المتحدة ووجوب نزع السلاح كضرورة حتمية لصيانة السلام .

أقر هذه المبادىء عبدالناصر قبل ٣٤ عاما من اتفاق القوتين العظميين ودول العالم على هذه المبادىء كنتيجة للقاء القمة بين القوتين العظميين الذى عقد بالعاصمة السوفيتية موسكو فى مايو من العام الحالى عام ١٩٨٨ اقرها فى اجتماعه مع شرى جواهر لال نهر ورئيس وزراء الهند فى القاهرة مع بداية عام ١٩٥٥ واقرها فى اجتماعه مع الرئيس الاندونيسى أحمد سوكارنو ومع جوزيف بروز تيتو رئيس يوغوسلافيا قبل هذا التاريخ او بعده وتم ترشيد هذه المبادىء جميعا فى مؤتمر باندونج باندونيسيا فى مارس من نفس العام واعلن ميلاد سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز التى كان لها فضل تخفيف الصراع بين القوتين العظميين والحرب الباردة بينهما الى أن الاتفاق بينهما على روح تلك المبادىء وتم نزع الصواريخ القريبة والمتوسطة المدى على طريق نزع الاسلحة النووية نهائيا وهو ما طالب به عبدالناصر قبل ٣٤ عاما كما قلنا وعاد من مؤتمر باندونج ليعلن فى مؤتمر شعبى - بلغ التأييد له فيه ذروته ان مصر لن تخضع لسيطرة الاستعمار واعوان الاستعمار واضاف ان مصر قد تحررت واستقلت وانها اذا تكلمت فأنما تتكلم وهى تشعر بأنها مستقلة تمام الاستقلال ..

وأما عن ذكريات الاذاعة خلال هذه الاحداث الجسيمة فكانت عديدة ومثيرة فلما بدات حملة الاعتقالات لاعضاء جماعة الاخوان المسلمين طلب منى محمد امين حماد مدير الاذاعة وقت ذاك سؤال عبدالناصر عن موقف الاذاعة ازاء تلك الاعتقالات وفعلا سألت عبدالناصر وطلب الا تذيع الاذاعة انباء هذه الاعتقالات وانما تستعد لاذاعة المحاكمات الرسمية لهؤلاء المعتقلين وأفضيت الى مدير الاذاعة بالامر واذا بى افاجا بالاذاعة تذيع هذه الاعتقالات ولم تنتظر لحين المحاكمات كما طلب عبدالناصر وخفت من عقابه ، ولكن الدهشة تملكتنى حينما استدعانى مدير الاذاعة وابلغنى ان عبدالناصر غير رأيه واثنى على ثناء عظيما ووصفنى بأننى مثقف دارس فاهم متزن وخرجت منتشيا بهذه الشهادة ولكننى لما عرفت المناسبة التى قيلت فيها هذه الشهادة من الذين حضروا مكالمة عبدالناصر مع مدير الاذاعة تليفونيا تعجبت كثيرا فعند نقل حقيقة ان عبدالناصر غير رأيه اردف مدير الاذاعة يطلب من عبدالناصرتوقيع العقاب على اذا كنت قد اخطأت ولكن عبدالناصر اسكت مدير

الاذاعة بهذه الشهادة والذكرى الثانية التى جعلتنى اؤمن بتقدير عبدالناصر لى فقد حدثت فى مجلس الثورة عندماتقرر سفره الى اندونيسيا لحضور مؤتمر باندونج فلدى خروج عبدالناصرُ من مجلس الثورة فى الجزيرة استدعانى وكانت مفاجأة لى ان يسألنى عما اذا كنت سأسافر معه الى اندونيسيا ام لا فلما اجبته بالنفى بدا على وجهه نوعا من الحيرة ولكننى بددت هذه الحيرة عندما اوضحت له ان السفر الى الخارج فى الاذاعة يتم بالدور والدور على زميل لى هو محمد شرف وكانت المفاجأة الأكبر رد عبدالناصر حيث قال لى بالحرف الواحد طيب انا ها سفرك باندونج وغادر مقر المجلس وتركنى فى حيرة اشد هل صحيح عبدالناصر سيوفى بوعده خاصة وانه اكمل كلامه لى بقوله هو حماد مش حيبطل وفهمت من هذه العبارة ان عبدالناصر يعتقد ان حماد لا يرغب فى سفرى ولكن الحقيقة كانت غير ذلك وعذرت عبدالناصر لانه رتب هذا الاعتقاد على ما حدث فى مكالمته التليفونية مع امين حماد عندما طلب عقابى اذا كنت مخطئا ورد عليه بشهادته التى ذكرتها سابقا وانما كانت دهشتى اكبر ان عبدالناصر اوفى بوعده ولم ينساه فى ظل مشاغله المتعددة ومسئولياته الضخمة حيث فوجئت بقرار وزارى بسفرى الى باندونج ممثلا للصحافة والاذاعة مرافقا لجمال سالم فيما بعد ولما سألت عبدالناصر مستفسرا عن ظروف هذا القرار قال انا اللى سفرتك والمهم ان تصمد مع جمال سالم وتكمل الرحلة فقد كان جمال سالم رحمة الله سريع الغضب بسبب مرض فى معدته واكملت الرحلة معه وعدت لالقى عبدالناصر فاذا به يقول لقد صدقت نبؤتى امام مجلس الثورة ولم اكن اعرف ان سفرى قد أحدث كل هذا القلق .

دخل عبدالناصر دوامة الصراع بين القوتين العظميين واشتدت الحرب النفسية ضده داخليا وخارجيا

اوفى عبدالناصر بما وعدنى به وسافرت الى الهند واندونيسيا وباكستان واستغرقت الرحلة اربعين يوما كانت مسرحا لاحداث جسام شهدتها مصر ، منها ما رفع عبدالناصر الى المجد والشهرة ومنها ما كلفه الكثير ، وقد سبق ان سجلت وقائع رحلتى مع جمال سالم فى هذه المذكرات ، تعرضت فيها لاستقالة صلاح سالم شقيقه واثر هذه الاستقالة عليه شخصيا وردوده على الزعماء الاسيويين الذين التقى بهم واثاروا هذه الاستقالة ، وموقف الاذاعة منها ، والصحف ايضا من الناحية الاعلامية، وكيف فرشت اجهزة الاعلام المصرية لها قبل الاستقالة وكيف اهملتها بعد استقالة صلاح سالم ، وكيف ادت استقالة صلاح سالم مع اسباب أخرى الى استقالة جمال سالم ، ولكن المهم ليس استقالة هذا او ذاك فكلنا حلقة فى حلقة كبيرة هى مصر ، فكيف كان حالها وقتذاك ؟

الذى لا شك فيه ان انتصار عبدالناصر فى معركة الجلاء زاد من تعلق الشعب به وبالثورة وازداد ايمانا بمبادئها ، فضلا عن ان هذا الانتصار دعم موقف عبدالناصر ومنحه ثقة وقوة لا حدود لهما ، ولكنه فى الوقت نفسه اثار حفيظة الغرب عليه وادخله فى دوامة معقدة من الصراع الايديولوجى والاستراتيجى والسياسى والاجتماعى واصبح عليه ان يحدد موقفه من القوتين العظميين على ضوء مصلحته ومصلحة الشعب والمنطقة التى يتولى فيها اكبر واهم شعب فيها واخطر جزء مؤثر منها ، ومن خلال هذا التحديد ولدت سياسة الحياد الايجابى بين القوتين العظميين المسيطرين على مقاليد العالم ، ودخل عبدالناصر معاركه الثلاثة التى اثارت عليه زوابع هوجاء ، وهى معركة الاحلاف ومعركة احتكار السلاح ومعركة تمويل السد العالى ، وكلها معارك كان موقفه منها بطوليا لتخليص مصر من ولاية الغرب وتأكيد شخصيتها المستقلة ، وكانت مواقفه كلها تثير حماس الجماهير خاصة عندما وقف فى وجه المؤامرات وفضح نظرية توازن القوى فى الشرق الاوسط ورفض عرضا امريكيا بريطانيا لمساعدة مصر فى تيسير البدء فى تنفيذ مشروع السد العالى لانه عرض يمس كرامة مصر واستقلالها وارادتها ويفتح الطريق لعودة الانجليز والامريكان للسيطرة على مقاليد الامور فى مصر من الشباك بعد ان اخرجهما من الباب ورفض

ايضا اشتراك مصر فى حلف بغداد بحجة ملء الفراغ السياسى المتخلف عن جلاء الانجليز .

واعلن اسس سياسة مصر الخارجية الثلاثة وهى العمل من اجل السلام وتحريم الاسلحة الذرية ونزع السلاح لصالح البشرية وهى الاسس التى تقوم عليها سياسة مصر بعد اكثر من ٣٤ عاما ، هذه الاسس هى التى ادت الى ميلاد عملاق جديد على مسرح السياسة يسمى القومية العربية بفضل سياسة عبدالناصر ، فمهما قيل عنه من تجاوزات وحكم ديكتاتورى الا انه سيبقى ابدا رمزا للقومية وعنوانا للحاكم الذى اراد تخليص بلده من التبعية ولكنه لم يوفق بسبب اصرار القوتين العظميين على ابقاء هذا البلد فى دائرة هذه التبعية ويكفيه فخرا أنه رفض كل مؤامراتهم ولم يجدوا من سبيل للوى ذراعه سوى العدوان المسلح عليه وعلى بلده او تحريض اسرائيل على هذا العدوان ، فمنذ هذه اللحظة وضع تخطيط العدوان على مصر الذى شهدناه فيما بعد .

ويجب ان نعترف هنا أن القوتين العظميين استخدمتا الجبهة الداخلية فى مناوراتهما ومؤامراتهما لتحقيق اهدافهما ، ويجب ان نعترف ايضا ان عبدالناصر عانى من هذه المناورات والمؤامرات الامرين بسبب الحرب النفسية الشرسة التى شنت عليه داخليا وخارجيا والتي عطلت الدفع الثورى ووضعت العقبات وشوهت واثرت على تجربته الرائدة ، فلا الاستعمار ولا اليمين المتخلف الجامد كان يرجو لتجربته ان يقدر لها النجاح ، لان لا معنى لهذا النجاح سوى القضاء عليهما فى المنطقة نهائيا .

ومن هنا كان هناك حلف مقدس بين الاستعمار واليمن المتخلف الجامد للاجهاز على عبدالناصر ، ولم يكن امامهما من سلاح - بعد ان قلم عبدالناصر اظافرهما - لم يكن امامهما سوى سلاح التشكيك فى كل شىء ، فاذا الثورة تدخلت فى الملكية فهى اهدرت الحريات وحدت من حرية الفرد ، واذا تدخلت للحد من الاستغلال فان الثورة ستستولى على كل شىء وستحول البلاد الى الشيوعية التى تحارب الاديان عامة والدين الاسلامى بصفة خاصة واذا نادت الثورة بسياسة عدمالانحياز فأنها لن تستطيع تنفيذ هذه السياسة وستضطر فى اخر المطاف الى الارتماء فى احضان احد المعسكرين ليحميها من المعسكر الاخر ، وراجت شائعات تقول اذا لم ننضم الى معسكر من المعسكرين فلن نستطيع الوقوف فى وجه اسرائيل ، مستقطين من حسابهم تغير الزمن وتطوره واختلاف الظروف والمناخ وان عقارب الساعة لا يمكن ان تعود الى الوراء .

لم يلق اليمين الجامد المتخلف سلاحه حتى فى فترات انتصار عبدالناصر ، بل استمر يخيف الناس من بطش الانجليز والامريكان ويعلن انهما لن يسكتا على كل الذى يحدث فى مصر ، وانه اذا كان الانجليز قد جلوا عن مصر فانهم سيعودون اليها اكثر قوة واكثر عسفا وانهما لا يمكنهما السكوت على هجوم مصر على الاحلاف واتباعها سياسة الحياد الايجابى والخروج عن دائرة الغرب باعترافها بالصين الشعبية وعقدها صفقة الاسلحة التشيكية .

ولما اعلنت مصر تأميم القناة ردا على مؤامرات الغرب قالوا لقد وقعت الواقعة وحدثت الطامة الكبري فاذا كان الانجليز والامريكان قد سكتوا علينا يوم كسرنا احتكار السلاح وعقدنا صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ويوم جمدنا حلف بغداد وهاجمنا الاحلاف واتبعنا سياسة الحياد الايجابى واعترفنا بالصين الشعبية فلا يمكن ان يسكتا-علينا بعد تأميم القناة ، واتهموا عبدالناصر بأنه شيوعى لحما ودما ، وانه سيستولى على الاموال فى البنوك وسيقوم بحصر الاموال فى الجيوب والبيوت وتحت البلاطة ليصدر قرار الاستيلاء عليها وأنه سيؤمم الارض وسيلغى الملكية وأن الشعب سيصبح كالالة أو كالسائمة ليس له الا ان يأكل ويشرب فقط ويأمر من الدولة ، وان عبدالناصر لم يتخذ هذه الاجراءات لصالح الشعب وانما لانه حاقد على الطبقات الغنية وان مفهوم الاشتراكية لديه هو تحويل الشعب كله الى فقراء يستجدون حتى يمكن حكمهم وقيادتهم .

هذا هو موقف عبدالناصر داخليا وهو موقف لا يحسد عليه واما موقفه خارجيا فكان اسوا من ذلك بكثير فقد كان مستهدفا لاكثر من اذاعة سرية تشن حملة شرسة عليه وكانت الترتيبات تتخذ فى اروقة الغرب على اساس تجويع مصر لتركع على قدميها وتسلم له ، واليمين المصرى بدلا من ان يطور نفسه على هدى مبادىء عبدالناصر ويساعد على التطبيق السليم رأيناه يقبل على تهريب الاموال والمضاربة بالنقد فى وقت كانت الدولة فى مسيس الحاجة الى كل مليم بل كانت فى حاجة الى اكثر مما هو موجود بها لمواجهة الحصار الاقتصادى الرهيب المفروض عليها ، اى ان عبدالناصر وضع بين فكى الرحا فى الداخل والخارج . فى الداخل يمين متخلف جامد يسعى بكل ما اوتى من قوة لشد عجلة التقدم الى الوراء او على الاقل منعها من التقدم ، وفى الخارج تآمر عليه للتخلص منه حيث انه لم يسقط الاستعمار العسكرى فى مصر وحدها وانما ساعد على اسقاط هذا الاستعمار فى كل الشعوب النامية واصبح عقبة كاداء فى سيطرة الغرب على هذه الشعوب .

أنشأ عبدالناصر جهازا إعلاميا عملاقا للتصدى لحملات التشكيك الموجهة لمصر وله شخصيا

لما دخل عبدالناصر دوامة الصراع بين القوتين العظميين بسبب فشلهما فى تطويعه واستئناسه بكافة الحيل والمناورات والضغوط لجعل جلاء القوات البريطانية عن مصر وسيلة لترويضه حتى تصل عروضهم التى استهدفت الابقاء على مصر فى حظيرة الغرب رغم جلاء الانجليز عن اراضيها ومنها دخول مصر فى حلف بغداد والتى أثر رفضها دخول هذا الحلف فى منع اية دولة من الدخول فيه الى ان سقط نهائيا بسقوط الملكية فى بغداد وقيام النظام الجمهورى بها ومنها تأسيس مصر لعدم الانحياز وتأثير ثورتها على معاقل الاستعمار فى اسيا وافريقيا وسقوط رموز هذا الاستعمار الواحد بعد الاخر واشتعال ثورات التحرير والاستقلال فى العديد من الدول الافريقية الاسيوية واللاتينية حتى اخذ الاستعمار ينحسر وبدأت رايات الاستقلال والحرية ترفرف على اجزاء عديد من اراضى القارات الثلاث تتحدى الاستعمار وتؤيد مبادىء الثورة المصرية .

فخاف الاستعمار على دولته من مبادىء عبدالناصر وثورته والحد ضده والى على نفسه ضرورة الخلاص منه ، وفى صراع عبدالناصر ضد الاستعمار كان يحنى - اى الاستعمار - هامته للعاصفة تارة ويقف فى وجهها تارة أخرى ولكنه كان يخسر المعركة فى الحالتين امام تصميم الشعوب على نيل حرياتها كما نالت مصر حريتها وتخلصت من الاستعمار البريطانى ، والمأخوذ على عبدالناصر فى هذه المرحلة انه فتح كل المعارك فى وقت واحد فلم يكد يجلى اخر جندى بريطانى عن مصر حتى دخل معركة الاحلاف ومعركة احتكار السلاح وكسره باتفاقية السلاح التى استوردها من تشيكوسلوفاكيا وكانت لطمة للغرب كله ومعركة تمويل السد العالى وخلافه مع الغرب ولكنه ايضا لم تنحن قامته وهو يحارب الغرب وحده وصمم على رفض الاحلاف ونجح ورفض المساعدات الامريكية العسكرية والسياسية وايضا مساعدات الغرب كله بسبب الشروط القاسية التى ارادوا فرضها عليه ونجح وكسر احتكار الغرب للسلاح ونجح ورفض تمويل الغرب للسد العالى عندما اشترط صلحه مع اسرائيل ونجح وفشلت كل محاولات الغرب لاثارة السودان ضده ، حتى أنه صوب لهم سهما بتارا عندما أعلن تأميم القناة فلم يجد الغرب من وسيلة الا تدبير العدوان

عليه وعلى مصر وهو العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه اسرائيل مع كل من بريطانيا وفرنسا وباركته الولايات المتحدة وفشل العدوان وخرج عبدالناصر منه كما خرجت مصر منه اقوى مما كانت واصلب وزادت تمسكا بعبدالناصر وبمبادىء ثورته .

وفى ظل المعارك الشرسة التى خاضها عبدالناصر ، كان يستمع الى الاذاعات الخارجية ويسهر يقلب فى مفتاح الراديو بنفسه طوال الليل وكلما سمحت له ظروف مسئولياته بالنهار وظل لا يعبأ بها ويردد عبارته المشهورة دع الكلاب تنبح مادامت القافلة تسير «والى أن شهد بنفسه اكبر جريدة تصدر فى مصر وهى الاهرام تنشر سلسلة من المقالات لرئيس تحريرها مؤيدة لفكرة الغرب عن الاحلاف ومروجة لما يدعونه من وجود فراغ سياسى فى الشرق الاوسط فى حالة انهيار هذه الاحلاف بالرغم من تأييد الشعوب فى مصر وفى البلاد العربية لفكرة عبدالناصر ان الدول العربية لابد ان يضمها حلف يستجيب لنبض هذه الشعوب ولا ينبغى ان تنضوى اية دولة عربية فى حلف من الاحلاف التى يروج لها الغرب ، وكانت هذه الشعوب تطيح بأى رئيس عربى لا يتخذ موقفا وطنيا ضد الاحلاف الاجنبية حتى أن العراق الذى استجاب لرغبة الغرب انذاك وانضم الى الاحلاف الاجنبية كان يقف ضد شعبه وينفذ رغبة نورى السعيد رئيس وزرائه وحينما انتهى نورى السعيد انتهى معه حلف بغداد ، ولما حاولت بريطانيا ارغام الاردن على الدخول فى حلف بغداد وقف الشعب الاردنى ضد الرغبة البريطانية ولما ارسلت بريطانيا الجنرال تمبلر «جلاد الملايو» ليجلد الشعب الاردنى ويرغمه على دخول هذا الحلف كما فعل فى الملايو هرب تمبلر من الاردن قبل أن يجلده الشعب الاردنى ، عندئذ فكر عبدالناصر مليا فى ضرورة انشاء جهاز اعلامى عملاق يتصدى لحملات التشكيك التى وجهت لمصر وله شخصيا ويتصدى للحرب النفسية الشرسة التى كان قوامها اذاعات سرية منتشره فى المنطقة تبث سمومها ضد مصر وضد عبدالناصر ، كان هذا الخطر يشغل عبدالناصر ويؤرقه فى الوقت نفسه ، حتى انه ونحن – مندوبى الاذاعة والصحف – نحاوره فى مجلس الوزراء بلاظوغلى عن اخر تطورات حرب الاحلاف ، اذا به يقطع الحديث ويخص مندوب الاهرام بقوله بلغ عزيز ميرزا أن الفراغ الذي يتحدث عنه موجود في دماغه هو مش فى الشرق الاوسط ، وتوقف عزيز ميرزا وكان رئيسا لتحرير الاهرام عن اكمال سلسلة مقالاته ولكن الازمة لم تنته وانما بدأت ، وكان قرار عبدالناصر بتنحيته وتعيين محمد حسين هيكل رئيسا لتحرير الاهرام ، واكمل عبدالناصر حديثه لمندوب الاهرام – فى اول اشارة تصدر منه توصى بوضع تنظيم للصحافة – قائلا احنا

حنعمل تنظيم للصحافة يخليك ـ أى مندوب الاهرام تكتب اللى أنت عايز تكتبه حتى ولو كان ضد شميل صاحب الاهرام ، وكان هذا ردا على اجابة مندوب الاهرام على سؤال طرحه عبدالناصر عليه .. لو انت عايز تكتب حاجة مش موافق عليها شميل تقدر تكتبها ، وكان رد مندوب الاهرام «ياخبر ياافندم اترفد فى الحال» ومنذ ذلك التاريخ مصر عبدالناصر الاهرام واعطى الكلمة العليا للمصريين بعد ان كانت للشوام ، وكان عبدالناصر من قبل قد حول مصلحة الاستعلامات الى هيئة عامة ووضع على رأسها عبدالقادر حاتم مدير مكتبه فى عام ١٩٥٥ ليقوم بالرد على استفسارات الصحفين العرب والاجانب عندما يغمض عليهم الموقف ويواجه حملات التشويش والتشكيك على مصر ورئيسها ، ولم يقف عبدالناصر عند حد تغيير مصلحة الاستعلامات الى هيئة عامة وعزل رئيس تحرير الاهرام وتعيين رؤساء تحرير للصحف اكثر ولاء للثورة وانما اصدر قرارا بتأميم الصحافة وفرض عليها رقابة مشددة حتى انه عين فى كل جريدة رقيبا يتلقى تعليماته من أعلى السلطات يمنع ويضيف الى مادة التحرير ما يؤازر الثورة ويدفع عنه كل حملات الدعاية المضادة لها ، وكما فعل فى الصحافة وهيئة الاستعلامات فعل فى الاذاعة حيث رصد لها الاعتمادات لتقوية محطات ارسالها لتصبح مسموعة فى كل انحاء مصر وانشاء ما سمى فى الاذاعة بالبرامج الموجهة التى تذيع بمختلف اللغات وتوجه ارسالها الى كافة انحاء العالم تعرف بمصر وبثورتها وبانجازاتها وسياستها ومبادئها وتحمل لواء الرد على الحملات المضادة الموجهة لمصر اليها وقد نما المولود الجديد حتى اصبح اضخم اذاعات موجهة فى العالم من حيث الارسال والمناطق التى يصل اليها صوتها من العالم وكان للجهاز الاعلامى الكبير الذى أنشأه عبدالناصر فضلا لا ينكر فى رد الاتهامات عن مصر وعبدالناصر وكان له فضل كسب معارك اعلامية عديدة أدت للثورة وعبدالناصر ومصر خدمات جليلة فى صراعها ضد الغرب والاستعمار .

خطط الغرب للتخلص من عبدالناصر بعد صدور قرار تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦

لم يقتصر اهتمام عبدالناصر بالأعلام عند حد انشاء جهاز اعلامى عملاق يتصدى لحملات التشكيك الموجهة لمصر وله شخصيا وانما فاق اهتمامه بالاعلام كل الحدود حتى يمكن القول بانه قام باعمال وزير الاعلام كاملة غداة قيام الثورة وحتى انشاء أول وزارة للاعلام فى مصر تولاها الدكتور عبدالقادر حاتم ، فقد كان يستمع لكل ما تذيعه الاذاعة ويقرأ كل ما تكتبه الصحف ويدون ملاحظاته بنفسه حتى قيل ان عبدالناصر صنف كتاب مصر قبل الثورة ككتاب ايدوا الثورة وبرنامجها وكتاب ايدوا ولكنهم اعترضوا علي بنود من برنامجها المعلن وكتاب رفضوها على الاطلاق ، ومما يؤيد هذا الرأى وقائع ذكرناها وكنا شهودا عليها منها امره بقطع الاذاعة على خطاب لصلاح سالم كان يلقيه فى الفيوم يتحدث فيه عن سياسة الثورة تجاه السودان .

ومنها انه كشف انه يقوم بأعمال صلاح سالم فى غيابه او حضوره عندما سئل عمن سيقوم باعمال صلاح سالم فى غيابه ومنها اصدار اوامر للاذاعة بعدم اذاعة اعتقالات الاخوان المسلمين والتفرغ لاذاعة المحاكمة الرسمية لهم فقط وقد حدث فيما بعد ان جمال عبدالناصر ادلى بتصريحات عن تمويل وانشاء السد العالى وامر بعدم اذاعتها فى الاذاعة وذلك لانه كان يعلم ان من بين برامج الاذاعة برنامج (المائدة المستديرة) ويتناول موضوع السد العالى وسمح باذاعة هذه التصريحات ونشرها فى الصحف فقط ومن هنا يمكن القول ان كل معركة انتصر فيها عبد الناصر كان للاعلام فضل كبير فى هذا النصر وكل معركة أخفق فيها عبدالناصر اندرج ذلك الاخفاق على الاعلام ايضا ..

على انه لابد ان يذكر للاعلام المصرى فى هذه الفترة الدسمة من تاريخ الثورة المصرية انه استطاع ان يكشف نوايا الدول العظمى تجاه مصر ومستقبلها فى أول معركة صدام بين الثورة وهذه الدول وكانت معركة الاحلاف ثم تلاها بعد ذلك معركة احتكار السلاح ومعركة سياسة الحياد الايجابى وخروج مصر وغيرها من سيطرة الشرق او الغرب والانضواء تحت معسكر عدم الانحياز ثم اتت معركة تمويل السد

العالى التى اكدت وكشفت نوايا كل الدول الكبرى تجاه مصر فأول ما أتجهت مصر لتمويل السد العالى اتجهت الى الغرب وبدأت مباحثاتها مع البنك الدولى للانشاء والتعمير على اساس ان مصر احدى الدول المساهمة فيه الا ان البنك الدولى بعد جلسة او جلستين من المباحثات كشف عن نواياه ونوايا الدول التى تختفى خلفه عندما طرح شروطه للتعهد بتمويل المشروع فقد كانت كلها سياسية لا اقتصادية ومنها اشتراط الصلح مع اسرائيل وانهاء الخلاف مع بريطانيا واقامة نظام برلمانى للاستفتاء على المشروع وكان طبيعيا ان ترفض مصر عبدالناصر هذه الشروط فمصر التى وقفت امام الاستعمار وهو فى عنفوان قوته ومجده فى معركة الاحلاف واحتكار السلاح لا يمكن ان تدفن هذا الجهاد والمجد وتقبل صاغرة شروط النك الدولى وثارت فى مصر روح التحدى التى تعاملت بها فى معاركها السابقة مع هذه الدول العظمى وقامت بالاتصال بالشركات الغربية فى فرنسا والمانيا الاتحادية وانجلترا تستطلع موقفها وتكتشف خيوط المؤامرة المعدة لها وسافر وزير المالية المصرى الى واشنطن واسفرت مباحثاته عن قرار امريكى يمنح مصر معونة قدرها ٤٠ مليون دولار ، بدا فى الافق تباشير توحى بأن الغرب عدل عن سياسة لوى ذراع مصر حيث عاد البنك الدولى وعرض ان يدفع مليون دولار على اقساط ولكن بشروط تنال من سيادة مصر واستقلالها وصلت الى حد فرض وصايته على الحكومة المصرية فليس من حق الحكومة ان تتحمل دينا خارجيا او توقع اتفاقا الا بعد موافقته ولا تستطيع النظر فى نفقاتها الا بالاشتراك معه وهنا لمس عبدالناصر ابعاد المؤامرة واعد نفسه لها وفى هذه الاثناء زار السفير الروسى فى مصر عبدالناصر وعرض استعداد السوفييت للاشتراك فى التمويل ولكن عبدالناصر طلب منه ارجاء العرض حتى يكتشف خيوط مؤامرة الغرب كاملة .

وطبيعى ان يتحرك الامريكان على الفور لمواجهة العرض الروسى فقد كان الشرق الاوسط حتى هذا التاريخ حكرا عليها وعلى الغرب ودخول روسيا فى تمويل السد العالى تقلب هذه الموازين رأسا على عقب وعليه سارعت - اى امريكا - بايفاد مدير البنك الدولى ليتفاوض مع مصر ولكنه فاجأ مصر بطلب غريب أخر اولا ضرورة حل مشكلة الماء بينها وبين السودان قبل توقيع الاتفاق والمح الى ان البنك لن يضمن امريكا وبريطانيا فى دفع ال ٧٠ مليون دولار اللذين وعدا مصر بها وهنا انكشفت المؤامرة خاصة عندما قادت بريطانيا حملة مركزة فى السودان ضد مصر للوقيعة بين البلدين الشقيقين ، وواجه عبدالناصر بريطانيا بقوة ، وفجأة وبدون

مقدمات سحبت الولايات المتحدة وبريطانيا العروض التى تقدمت بها من قبل الى مصر للمساهمة فى تمويل المشروع وكان ذلك فى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٠ وتبعها البنك الدولى وايضا الشركات الالمانية والفرنسية والانجليزية التى كانت مصر قد بدأت التباحث معها للمساهمة فى تشييد السد العالى ولم يكتف الغرب بسحب عروضه وانما اصدر بيانات تشكك فى الاقتصاد المصرى وسلامته وقدرته ، وتصدى الاعلام المصرى واظهر حقد الغرب الدفين على مصر الذى تخلف عن اربع سنوات عجاف دارت خلالها معارك عنيفة بينها وبين مصر وكشف للعالم حقد الغرب على مصر وكان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا قد سقط فى مطب فادح استخدمه الاعلام المصرى احسن استخدام عندما اعلن ان سحب العروض الخاصة بالسد العالى كانت بسبب توسع مصر فى اعمال الدفاع والتصنيع ، كما ان مزايا المشروع اذا امكن تنفيذه يجب ان توزع بعدالة على شعوب نهر النيل كلها وهنا كشف الاعلام المخطط باعتبار ان ذلك دعوة صريحة لقيام الصراع بين مصر وبين هذه الدول وساعد الاعلام المصرى فى معركته ما كان الاتحاد السوفيتى يذيعه على العالم وتأكيده ان امريكا فشلت فى محاولاتها اخضاع مصر بقوة الدولار وفى تغيير سياستها المشتعلة وان مصر ستمضى فى تنفيذ السد العالى برغم سحب العروض الامريكية والبريطانية ..

وكان لابد ان يرد عبدالناصر على المؤامرة ففى الوقت الذى ظن الغرب انه سدد ضربة قاصمة لمصر لن تستطيع الوقوف بعدها وانها ستطلب الصفح والغفران فاذا به يسمع على امواج الاثير خطاب عبدالناصر الذى القاه فى ميدان المنشية احتفالا بذكرى طرد الملك الرابعة وبعد ايام من سحبه لعرض تمويل السد العالى وهو يعلن استقلال سياسة مصر الاقتصادية وانها ستتجه الى التصنيع حتى لا يستطيع مستعمر ان يستبد بها لا بالقوة ولا بالدولار وان مصر ستحقق استقلالها الاقتصادى كما حققت استقلالها السياسى ويستمع الى القرار الخطير الذى اعلنه والذى اهتزت لخطورته امواج الاثير وهو اعلان تأميم قناة السويس ، وقد اقتنع العالم كله بجدارة مصر بعد تأميمها للقناة الا انجلترا وفرنسا وساندتها امريكا فى عزمها الاعتداء على مصر وشاركت اسرائيل معهما فى الاعتداء على مصر منذ ذلك التاريخ قرر الغرب التخلص من عبدالناصر فور خطابه ففى صباح يوم ٢٧ يوليو سارع ايدن بالاتصال تليفونيا بمسيو بينو واتفقا على القيام باجتماع عسكرى عاجل وفعال ضد مصر وقررا انه ليس هناك من طريقة انجح واسلم سوى استعمال القوة او التهديد باستعمالها ومن غير مشاورات او تفكير فى نتيجة استخدام القوة ضد دولة لم ترتكب اى جرم

اتخذ ايدن وبينو قرار الاعتداء ولم يبق امامهاالا الاعداد له وتغليف رغبة العدوان والانتقام بغلاف ينطلى على الرأى العام يظهر ان مصر هى المعتدية وان فرنسا وانجلترا لم يرتكبا اى عمل مخالف للقانون الدولى ولكن الرأى العام كشف المؤامرة الخسيسة ووقف الى جانب مصر يدافع عن حقها فى استرداد قناة السويس ووصم انجلترا وفرنسا بالعدوان . كسبت مصر المعركة وخرجت منها اشد تصميما على التمسك بالاستقلال والحرية التى ارادت انجلترا وفرنسا ومن ورائهما اسرائيل حرمناها منهما الى الابد .

ذهبت رموز العدوان وبقيت مصر
عبد الناصر وزاد المد الثورى ضد الاستعمار

من الايام والذكريات ما يستقر فى الذهن لا يمكن ان يمحوه الزمن مهما تقادم او تباعد فها انذا بعد اكثر من ٣٢ عاما كاملة اكتب هذه الذكريات ومازلت اذكر يوم ٢٩ اكتوبر عام ١٩٥٦ بأحداثه وإشخاصه واماكنه وكأنها ماثلة امامى اليوم حقا كان يوما لا ينسى فقد كنا فى صباحه فى غرفة الاخبار فى الاذاعة فى انتظار انباء اجتماع وزراء خارجية كل من مصر وبريطانيا وفرنسا فى جنيف للتشاور فى حل مسألة قناة السويس على ضوء القرارات الست الى اصدرها مجلس الامن لتكون اساسا لمفاوضات تكفل للعالم المهتم بالملاحة فى قناة السويس كل ما يدعوه الى الاطمئنان على حرية هذه الملاحة وسلامتها وكان العالم كله ينتظر انباء هذا الاجتماع بقلق بالغ وكنا نحن كمهنيين فى مسألة السياسة والاخبار نتسابق كل منا يدلى بدلوه عما يمكن ان يسفر عنه هذا الاجتماع .

وكان بيننا من يشك فى حدوث هذا الاجتماع على الاطلاق وكان يبنى شكه على ما تواتر من انباء قبله بأيام فقد حملت الانباء ان اسرائيل اعلنت تعبئة قواتها العسكرية وامرت امريكا رعاياها فى الشرق الاوسط بمغادرة هذه المنطقة وكانت فرنسا وبريطانيا قد سبقاها واجليا رعاياهما من المنطقة ولكننا لم نكن نعتقد ان العدوان على مصر سيتم فى هذا اليوم وبينما نحن فى الجدل والحوار اذا بجرس يدق بعنف فى تيكرز الوكالات ومعناه ان حدثا هاما جدا قد وقع وجرينا جميعا الى التيكرز التى تبعد خطوات عن مكاتبنا فاذا بنا نقرأ عليه ان الجيش الاسرائيلى هاجم منطقة الكونتيلا جنوبى صحراء سيناء على الحدود المصرية وبعد ساعات قرأنا ان القوات الاسرائيلية دخلت الاراضى المصرية عن طريق القسيمة ورأس النقب والكونتيلا ومن جهة اخرى اعلنت بريطانيا انها لن تستغل القتال الدائر بين مصر واسرائيل للتدخل وقلنا اذا كان الامر عدوان اسرائيل فنحن قادرون على رده فلدينا من السلاح الشرقى والغربى على السواء الكثير وكانت قواتنا قد تدربت على استخدامه تدريبا كافيا وتفوقوا فيه وفى الليل شهد عبدالناصر من فوق سطح منزله الخيوط البيضاء فى السماء وبوصفه رجلا عسكريا اعلن ان هذه الخطوط لا تتخلف الا عن طائرات نفاثة وقطع بأن بريطانيا وفرنسا دخلا الحرب مع اسرائيل وكانت بريطانيا وفرنسا قد وجهتا انذارا فى اليوم التالى اى يوم ٣٠ اكتوبر وكان يوم

خميس كما اذكر انذارا الى مصر تطلبان فيه انسحاب القوات المصرية الى عشرة اميال من قناة السويس وأن تقبل مصر احتلال اراضيها بواسطة القوات الفرنسية والبريطانية وطلب الانذار الرد عليه فى الساعة ٦٫٣٠ صباح ٣١ اكتوبر وهدد الانذار بأن بريطانيا وفرنسا ستتدخلان بالقوة بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان اجابة مطالبهما اذا لم تستجب مصر للانذار .

وفى يوم ٣١ اكتوبر بدأت القوات البريطانية والفرنسية العدوان على مصر على المطارات المصرية وتحققت نبوءة عبدالناصر واصدر أمره بأنسحاب القوات المصرية من سيناء خوفا من تدميرها كلية واعلن قطع علاقات مصر مع انجلترا وفرنسا واعلن ان مصر ستقاتل حتى النصر وستحارب من بلد الى بلد ومن بيت الى بيت الى ان يتحقق لها النصر وتأزم الموقف تأزما شديدا واذكر أننا توجهنا - مندوبو الصحف والاذاعة - الى مجلس الوزراء بلاظوغلى وتم استدعاؤنا لينقل الينا ان الميج انتصر وشاهدنا عبدالناصر وعبدالحكيم عامر يصلان على لفور بملابس الميدان الى مجلس الوزراء وتم استدعاؤنا لينقلا الينا ان الميج انتصر حيث ان أول معركة اشترك فيها السلاح الجوى المصرى قبل تدمير طائراته كانت عندما تصدت تسع طائرات ميج لـ ١٢ طائرة ميستير واسقطت منها ثلاث طائرات واصيبت واحدة منها بعطب وكان السرور باديا عليهما مفعمين بالامل فخورين بالسلاح الجوى المصرى ويحملان خرائط لارض المعركة التى تشير الى الاماكن المحتمل ان تشتعل فيها المعارك اطلعونا عليها ونشرت فى الصحف وقتذاك ولكن الامل تبدد وتحول السرور الى انقباض وحزن بسرعة مذهلة عندما تحول ميزان المعركة لصالح اسرائيل وحليفتيها بريطانيا وفرنسا .

وخطب عبدالناصر فى الجامع الازهر وكان كلامه يقطر اسى ودما فيه بوادر استسلام عجيب لدرجة انه اعلن صراحة ان الموقف ميئوس منه ولكن الموقف سرعان ما تغير مرة اخرى واسقطت المدافع المصرية ٢٨ طائرة بريطانية وفرنسية واغرقت زوارقنا البحرية قطعتين من الاسطول البريطانى وقدم انطونى ناتنج وزير الدولة البريطانى استقالته احتجاجا على العدوان ولما حاولت بريطانيا وفرنسا انزال قواتهما فى السويس فشلت امام قوة الشعب والجيش وخاض اهالى بورسعيد الكفاح ضد القوات المعتدية ووزعت الحكومة السلاح على جميع افراد الشعب وهددت روسيا بضرب بريطانيا وفرنسا بالقذائف الصاروخية وباحتلال اوربا وكان قد وصل انذار ايزنهاور من قبل الذى يطالب بانسحاب القوات المعتدية واصدر مجلس الامن والامم

المتحدة قرارا بوقف اطلاق النار فتغيرت لهجة عبدالناصر فى خطبته الثانية التى القاها بالجامع الازهر واعلن فيها ان الاستعماريين المعتدين فرضوا علينا القتال ولكنهم لم يفرضوا علينا الاستسلام وانتصر عبدالناصر لان اسيا وافريقيا ودول الكتلة الشرقية وشعوب انجلترا وفرنسا وامريكا وقفت معنا جميع الدول التى اشتركت معنا فى باندونج وقفت تدافع عن حقنا فى الحرية وحقنا فى الحياة فكذبت مزاعم الاستعمار التى قالت ان مؤتمر باندونج قد دفن الى الابد ولن تقوم له قائمة ولكن مبادىء باندونج بعثت من جديد لتكتب للدول التى حاولت الاعتداء علينا الهزيمة والخذلان وسيكتب التاريخ لنا امجادا خالدة مسجلا البطولات التى ظهرت فى المعركة معركة الحرية وفى اعقاب النصر العظيم فى معركة عام ١٩٥٦ سقط ايدن وموليه الى غير رجعة فبعد شهر من الانسحاب قدم ايدن استقالته وبعد نحو ستة اشهر قدم موليه استقالته ايضا واختفيا من مسرح السياسة .

ولما اعلنت الولايات المتحدة مبدأ ايزنهاور لسد الفراغ المزعوم فى الشرق الاوسط قبر فى مهده وقضى عليه وعى الشعوب العربية كما قضى على حلف بغداد وعلى المشروعات الاستعمارية جميعها التى حاول الاستعماريون وعملاؤهم ان يجروا بها المنطقة الى مناطق النفوذ الاجنبى واستمرت حركة التضامن بين الشعوب الاسيوية والافريقية تمضى قدما نحو مزيد من التعاون وهبت رياح التطور والتغير على البلاد الافريقية ونالت معظمها الاستقلال واندحرت قوى الاستعمار امام تصميم الشعوب على نيل حريتها وكرامتها وكان الفضل فى ذلك الى عبدالناصر ووقفته الصامدة امام الاستعمار ومؤامراته.وانتصاره على انجلترا وفرنسا واسرائيل الذين ارادوا بعدوانهم اعادة الاستعمار الى سابق عهده من السيطرة والابتزاز والتحكم فى الدول النامية ودول العالم الثالث الذى استمر ينهب ثرواتها أكثر من قرن من الزمان .

حاربت القومية العربية مع عبدالناصر فحقق النصر على الغرب واسرائيل معا

لن ندخل فى تفاصيل العدوان الثلاثى على مصر واسراره العسكرية والسياسية لان ذلك يحتاج الى كتاب وحده . ونحن لا نكتب تاريخا وانما ترصد الاحداث التى اثرت فى نفس شاب عاش قريبا منها او مشاركا فيها فى صورة ذكريات اذاعية سياسية وبناء عليه الذى يهمنا هنا ان مصر عبدالناصر انتصرت فى المعركة الحربية وبقى عبدالناصر وذهب الذين تحالفوا للتخلص منه او تصفية الحساب معه وذلك بفضل القومية العربية التى حاربت المعركة مع مصر تأييدا لعبدالناصر فقد بلغت هذه القومية القمة ..

فقد رفضت ليبيا فى عهد الملك السنوسى زيارة القوات البريطانية الرابضة فى اراضيها ولم يقف الامر عند حد الرفض وانما صاحبه توجيه انذار للولايات المتحدة بأنه اذا هوجمت مصر تعرضت القاعدة الامريكية القائمة على الاراضى الليبية الى اشد الاخطار كما اعلنت الاردن ان مطاراتها لن تكون نقطة وثوب على مصر واعلن اتحاد عمالها ان مصر لن تكون وحدها فى المعركة ورفضت الكويت ان يحمى منشأتها البترولية جنودا بريطانيين وجابت المظاهرات تهتف بحياة عبدالناصر وسقوط الاستعمار وهددت سوريا بقطع البترول عن الغرب اذا اتخذت اجراءات عنيفة ضد مصر بعد التأميم وكان الايمان فى السودان حينما اعلن وزير الحكومات المحلية ان تأميم قناة السويس يعتبر درسا لدول الاستعمار التى تحتقر مشيئة الشعوب الصغيرة كان الايمان عاما وجارفا فى سائر الدول العربية والاسلامية وغالبية دول العالم باحقية مصر فى القناة رافضة العدوان الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى عليها هذا المواقف من جانب الدولة العربية .. ودول العالم كانت تحارب المعركة الى جانب مصر وقد تجلت هذه المواقف عندما اضربت البلدان العربية يوم ١٦ اغسطس يوم افتتاح مؤتمر لندن الذى تقرر فيه الموافقة على تدويل القناة هذه الاصوات المتعددة المصممة على عدم انتقاص السيادة وحقوق الانسان مهما تعرضت للقوة والعدوان هى التى احبطت مؤامرات الاستعمار وردته يجرجر اذيال الفشل والخيبة ولكنها كانت على يقين بان الاستعمار لن يلقى سلاحه بسهولة وانما سيعاود الكرة مرة ومرة ليعاود تثبيت اركانه فى مصر لانه لو سقطت هذه الاركان فى مصر ستسقط بالتالى فى جميع دول المنطقة لقد عشنا مع القومية العربية عشرة ايام مجيدة هى ايام قتال

العدوان الغادر الى ان صدر قرار بوقف القتال اثبت فيها شعب مصر الأبى الاصيل ان الحرية قبر لكل من يعتدى عليه وان الشعب الذى ذاق طعم الحرية لا يمكن ان يعود ويقبل الاستعباد والاذلال الا اذا فنى الشعب باكمله وهل يستطيع الاستعمار افناء جميع الشعوب فى سبيل تحقيق اطماعه واغراضه فها هى مصر عاشت أياما خالدة حاول فيها اقتحام اراضيها والقضاء على جمال عبدالناصر رمز الحرية والقومية العربية فماذا حدث ؟ ذهبوا هم وبقى عبدالناصر وتدعمت القومية العربية واشتدت .

اننى اليوم حينما استمع كلمات معركة الحلاف وكسر احتكار السلاح ومعركة تمويل مشروع السد العالى وخروج مصر من دائرة الغرب وحظيرته واعتناقها لمبدأ عدم الانحياز والحياد الايجابى وتأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى الغادر لا تمر على مسامعى هذه الكلمات الا واتذكر معارك الشرف وملاحم البطولة والقرارات الحاسمة القاطعة التى صدرت والاجتماعات واللقاءات بين من يمكون هذه القرارات التى استمرت اياما متصلة ليل نهار لا تتوقف الى ان لاحت تباشير الانتصار فى هذه المعارك جميعا اتذكر الحرب النفسية الشرسة التى وجهتها اذاعات الاستعمار الى مصر واختلاقها للانباء الكاذبة حتى تحطم نفسية الشعب المصرى ولكن الشعب المصرى كان اقوى من حربهم النفسية اتذكر كيف استخدمت الاذاعات فى المعارك الحربية وكيف كان تأثيرها اتذكر مشهد عبد الناصر وهو يجتاز الطريق الى الازهر الشريف لاداء فريضة الجمعة والموقف السياسى والعسكرى كان فى قمة التسليم واليأس فقد كان ذلك فى اليوم الثالث أو الرابع على الاكثر للاعتداء .

اتذكر الكتل البشرية التى التفت حوله لتعلن فى بساطة الشعب المصرى المعهودة (نحن معك يا ريس ، نحن وراءك يا ريس) ، اتذكر مشهده وهو عائد من الصلاة بعد ان اعلن خطورة الموقف الذى تواجهه مصر حيث لم يتخل عنه شعبه فى هذه المحنة الكبرى اتذكره اليوم وكأنه حدث بالامس اتذكر وهو لم يستطع ان يشق طريقة وسط المواطنين من ابناء شعبه الذين اسلموا له القيادة واحاطوه بكل انواع التأييد المادى والمعنوى والروحى يفدونه بارواحهم دفاعا عن كرامة وطنهم وحريته اتذكر معركة تأميم القناة وسحب الاستعمار للمرشدين الاجانب ليظهر عجز المرشدين المصريين عن ادارة القناة فإذا به يفاجأ بأن المرشدين المصريين اداروا القناة ادارة تفوق ادارة المرشدين الاجانب اتذكر ما كانت تحمله الانباء الخارجية من تجديد الامل لدى الملك فاروق للعودة الى مصر خاصة وان هذه الانباء أو بعضها افصح عن انه أى الملك فاروق كان على علم باسرار التخطيط لمعركة العدوان على مصر من بدايتها بل

واستفادوا منه بوضعه كان على قمة السلطة ويعلم الكثير عن الشعب المصرى اتذكر كل هذا أو غيره اثناء العدوان واتذكر الاحداث بعده وتتابعها الى أن اصبحنا على مشارف عام ١٩٨٩ فاعترف بأنه لو استمر المد الثورى والقومية العربية اللذان استطاعا التغلب على كل مؤامرات الاستعمار عام ١٩٥٦ لتغير حالنا تماما ولفزنا بالاستقلال والحرية الحقيقيتين ولانتصر الشعب الفلسطينى وعاد الى ارضه ووطنه ولارتفعت اعلامه خفاقة على أرضه المحتلة ولكن ما حدث بعصر الفؤاد ويكسر النفس فقد انطفأت شعلة القومية العربية وحلت محلها السلبية العربية فانكسرنا وهزمنا فى نكسة عام ١٩٦٧ ولكن لما عادت القومية العربية والتضامن والوحدة العربية انتصرنا فى حرب ١٩٧٣ ولكن لم نكد ننتصر حتى عدنا الى التشرذم والخلاف واستغل اعداؤنا هذا التشرذم وذلك الخلاف والصراع فكانت مأساة لبنان ومأساة افغانستان ومأساة الحرب الايرانية العراقية تلك المآسى التى لا يمكن ان تقع والقومية العربية مشتعلة والتصاعد العربى قائم والحديث هنا يطول ويخرجنا عن طريقنا طريق الذكريات المستفادة من الاحداث اولا بأول فلنعد إلى طريقنا لنتذكر ماذا حدث بعد وقف اطلاق النار وهل كانت القومية العربية التى انهت الحرب بالنصر فى عنفوانها فى الحرب الدبلوماسية التى اعقبت حرب الميدان ؟ اننا نعلم ان كل حرب يعقبها حربا دبلوماسية فقد حدث ذلك فى حرب العدوان الثلاثى كما حدث فى حرب ١٩٦٧ أو حرب ١٩٧٣ فيما بعد ..

الدكتور محمود فوزى يغير قرار مجلس الثورة ..

استمرت القومية العربية فى عنفوانها الى انتهينا من العدوان واثارة ولما غابت عنا أو غيبناها بسبب تصرفاتنا اللامسئولة توالت علينا الهزائم وطمع فينا اعداؤنا وتدخلوا وسيطروا على قرارنا فانتقصت سيادتنا واحتلت ارضنا واستنفذت مواردنا فيما لا يعود علينا بفائدة ، ولكن فى ظل انتصاراتنا ونكساتنا كان هناك العديد من الشخصيات المصرية التى دعمت موقفنا وزادت من قيمة انتصاراتنا واستدفنا بفكرها وخبرتها فى أوقات النكسات والهزائم من هذه الشخصيات الدكتور محمود فوزى الذى كان وزيرا للخارجية فى فترة العدوان الثلاثى فقد كان من اقدر المدنيين المخلصين الذين شاركوا عبد الناصر المسئولية فقد كان لا يخفى رأيه أبدا خاصة فى المسائل الجوهرية التى تمس مصير الوطن فقد حدث ان عقد مجلس الثورة اجتماعا فى الايام الاولى من نوفمبر عام ١٩٥٦ فى وقت كانت القوات الانجليزية والفرنسية تندفع فى اعداد هائلة تريد احتلال بور سعيد واليأس مسيطر والمستقبل مظلم لیبحث عن مخرج لهذه الأزمة التى تمسك بخناق مصر واستمر مجلس الثورة كالعادة مجتمعا طوال اليوم من صباحة حتى ساعة متأخرة من مسائه وكنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة نرقب الموقف قلقين هلعين خوفا من عودة الاحتلال الذى استطعنا ان نتخلص منه قبل عامين وبينما نحن مستغرقين فى تقليب الموقف على سائر وجوهه اذا برسول يقطع علينا تفكيرنا وكانت الساعة الرابعة والنصف تقريبا يحمل نبأ سلمه الى مندوب الاذاعة ويطلب ضرورة اذاعته فى نشرة الساعة الخامسة بناء على طلب من جمال عبد الناصر ، وصدع المندوب بالامر وأملى النبأ الى الاذاعة وكان يقول (أن مصر قررت الانسحاب من الأمم المتحدة احتجاجا على العدوان الانجليزى الفرنسى الصهيونى . واذيع النبأ فى نشرة الساعة الخامسة واذا بنا بعد دقائق نفاجا بحضور الدكتور محمود فوزى الى مجلس الثورة بعد اذاعة النبأ بأقل من ربع ساعة وهالنا حضورة أو قل فاجانا فهو ليس عضوا فى مجلس الثورة ولابد ان يكون هناك أمر هام وعاجل فرض عليه الحضور . وهرعنا نستفسر منه عن سبب حضورة المفاجئ وعن اخر تطورات الموقف بوصفه وزير الخارجية فاجابنا بقوله (اذا انسحبنا من الامم المتحدة فمن الذى سيعاوننا للخلاص من الاحتلال . هذه الخبرة تنقص العسكريين ولذلك استعانوا بالمدنيين فى وزارات الخارجية والعدل والصناعة والزراعة وغيرها ..

ولنعد إلى الدكتور محمود فوزى الذى صعد الى الدور العلوى وانضم الى المجتمعين من أعضاء مجلس الثورة حيث عبر لهم عن وجهة نظره وقد اخذوا بها اذ فوجئنا فى الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه ان استدعى احد المسئولين فى مجلس الثورة مندوب الاذاعة وطلب منه الغاء النبأ الذى اذيع فى نشرة الساعة الخامسة واستبدالة بنبأ اخر مفاده ان مصر ستفكر فى الانسحاب من الامم المتحدة اذا استمر العدوان الانجليزى الفرنسى الصهيونى عليها وانها تحمل الامم المتحدة النتائج التى ستترتب على هذا العدوان وفعلا لم ينقذ مصر من العدوان الا الامم المتحدة خصوصا بعد الانذارين الامريكى والسوفيتى فقد قدم داج همرشيلد سكرتير الامم المتحدة استقالته احتجاجا على العدوان الفرنسى وطلبت الحكومة المصرية سحب استقالته من منصبه من أجل السلام . وفى ٦ نوفمبر أصدر مجلس الامن والامم المتحدة قرارا بوقف اطلاق النار ووافقت الامم المتحدة على ارسال قوات طوارئ دولية حتى تم انسحاب المعتدين وفى ٢٣ من ديسمبر انسحب اخر جندى من القوات البريطانية والقوات الفرنسية المعتدية من بور سعيد وتسلمتها القوات المصرية من البوليس الدولى وحطم الاهالى تمثال دى لسيبس وأصبح يوم ٢٣ ديسمبر عيدا للنصر . تحتفل به مصر كلها كل عام وفى أول يناير ١٩٥٧ ألغت الحكومة المصرية اتفاقية الجلاء المبرمة مع بريطانية فى ١٩ اكتوبر ١٩٥٤ واعتبرت هذه الاتفاقية منتهية منذ الساعة السادسة مساء يوم ٣٠ أكتوبر عام ١٩٥٦ وهى الساعة التى بدأ فيها العدوان البريطانى ..

ولعل ما حدث من الدكتور محمود فوزى ينفى ما قصده محمد حسنين هيكل من وراء ما رواه مرارا فى كتاباته من واقعة ان عبد الناصر استدعى الدكتور محمود فوزى وهو فى طريق عودته الى الاسكندرية من زيارة قام بها للمارشال تيتو فى جزيرة بريونى فور ابلاغه بانقلاب قام به عبد الكريم قاسم فى العراق يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ بعد أربعة أشهر فقط من اعلان دولة الوحدة بين مصر وسوريا وأن عبد الناصر فكر فى ان يسافر فجأة الى موسكو للحصول على تأييدها بعد أن سمع ان امريكا تنوى انزال بعض قواتها فى لبنان لضرب هذه الثورة وان الخطر محيط بالجمهورية العربية المتحدة الوليدة حيث الجميع على الباخرة المحروسة وان الدكتور محمود فوزى حسب رواية محمد حسنين هيكل - طلب من عبد الناصر ان يمهله لبعض الوقت للتفكير ووافق عبد الناصر وغاب الدكتور فوزى حوالى نصف ساعة وحيدا يفكر فيما طلبه منه عبد الناصر ثم عاد اليه يقول (لقد فكرت بكل طاقتى

ولم استطع ان اقرر رأيا وارى أمانة ان القرار ينبغى ان يكون لك وحدك وان تطبع فيه شعورك الداخلى الذى تستمده من قوة احساسك بثقة الناس فيك ..

على ان هناك نقطة خلاف بين المراقبين والمختصين بشئون الشرق الاوسط وعلى مستوي الشارع المصرى وهي من الذى له فضل وقف اطلاق النار بين مصر وقوات بريطانيا وفرنسا واسرائيل عند عدوانهم على مصر عام ١٩٥٦ هل هو الانذار الامريكى أم الانذار السوفيتي أم تهديد السكرتير العام للامم المتحدة بالاستقالة اذا لم تنسحب القوات الاجنبية من الاراضى المصرية ؟ البعض يقول لولا الانذار الامريكى لما توقف القتال والبعض الاخر يقول لولا الانذار الروسى لما توقف القتال والبعض الثالث يقول لولا الموقف الايجابى من الامم المتحدة لما توقف القتال ولكى تحدد الاجابة الصحيحة التى يمكن ان تضع هذا الخلاف فى حجمه وتظهر الحقيقة لابد وان نجيب على سؤال اخر هل كانت الولايات المتحدة على علم بتفاصيل العدوان الفرنسى الانجليزي الاسرائيلى على مصر ام لا وايضا هل كان الاتحاد السوفيتى على علم ايضا بهذا العدوان ام لا الاقرب الى الذهن ان الولايات المتحدة هى التى ربما تكون على علم بهذا العدوان فاسرائيل ربيبتها وهى المتعهدة بحمايتها ووجودها وانجلترا وفرنسا حليفان مخلصان لها وهناك رايان فى هذا الموضوع رأى يقول ان الولايات المتحدة لابد وان تكون على علم وان الاتفاق بينهما على ان تستمر هى بعيدة عن اللعبة ليكون لها الحق فى التدخل فى النهاية وهو ما يعطى الاحساس بأنها لم تكن على علم بما يحدث والرأى الاخر يقول ان امريكا كانت على علم بالمخطط ورفضت الاشتراك فيه ولما لم ينجح سارعت الولايات المتحدة بتوجيه الانذار حتى تستمر فى الصورة ويزداد نفوذها فى الشرق الاوسط كل هذه استنتاجات ليس هناك دليل يؤكدها وانما الاقرب الى الذهن والحقيقة ان امريكا وروسيا لم يكونا على استعداد ان يتورطا فى حرب فيما بينهما قد يجرهما العدوان الثلاثى اليها بناء عليه وجهها انذارين كى ينهوا هذه المعركة حتى لا يكون لها اثار ونتائج قد تحدث خلافا فيما بينهما وعليه فالانذار الامريكى والانذار الروسى والموقف الايجابى من جانب الامم المتحدة كانت هى مجتمعه سببا فى وقف اطلاق النار .

رفض عبد الناصر تسديد فاتورة الحساب للأمريكان والسوفييت فتآمروا على خلعه

رغم مرور ما يزيد على ٣٣ عاما على العدوان الثلاثى فمازالت هناك الغاز لم تجد حلا أو هناك اسرار لم يكشف النقاب عنها بعد ومن هذه الاسرار هل كان هناك اتفاق بين الامريكان والروس على انهاء العدوان الثلاثى على مصر ؟ وهل كان هناك اتفاق اصلا فيما بينهما على القيام بهذا العدوان على أن يستمرا هما خلف ستار والذى يظهر فى الصورة اسرائيل والانجليز والفرنسيون ؟ هل تضمن اتفاق وقف اطلاق النار بنودا سرية لم تعلن ؟ وهل كان هناك اتفاق بين عبد الناصر وايزنهارد على اخراج انجلترا وفرنسا من المنطقة وتسليم قناة السويس لمصر فى مقابل فتح خليج العقبة امام اسرائيل كما اعلن فيما بعد ؟

ما هو سر هجوم عبد الناصر على السوفيت والامريكان فى اعقاب وقف اطلاق النار ؟ هل لان عبد الناصر رفض تسديد فاتورة الحساب لهم نظير مساعداتهم له لوقف اطلاق النار ؟ هل اخل عبد الناصر باتفاقات عقدها مع كل منهما فهاجموه ورد عليهم هجومهم ؟ هل ارادوا سحب عبد الناصر من تجمع الدول غير المنحازة ورفض ؟ كل هذه اسئلة فى حاجة الى اجابة بالدليل والبرهان حتى نصل الى حل لغز الهجوم على مصر ولغز التوسط لوقف هذا الهجوم وهناك استنتاج اخر يفرضه تتابع الاحداث فيما بعد وهو ما حدث فى العدوان الثلاثى اظهر اسرائيل على انها تفى بكلمتها واظهرت مصر بأنها تنقض تعهداتها وكان ذلك بداية التحالف غير المقدس – بين الغرب واسرائيل ؟

على أنه رغم الغموض الذى احاط بظروف بداية العدوان الثلاثى وبظروف نهايته فانه الحقيقة الماثلة هى ان العدوان قد فشل وجلا الانجليز والفرنسيون ومعهما اسرائيل عن الاراضى المصرية وحمى عبد الناصر الجيش المصرى من الابادة بقرار الانسحاب من سيناء الذى اصدره وقضى على اهداف العدوان تماما وحول المعركة الى ملحمة شعبية خالدة اصبحت الثورة عامة على بريطانيا وفرنسا وعميلتهما اسرائيل وبجانبهم الولايات المتحدة الامريكية من المحيط الى الخليج وازداد هذا الرصيد الشعبى الكبير تجاه عبد الناصر يوم وقف امام القوتين الاعظم عندما احس بأنهما يحاولان استخدام ما قدماه اليه من تأييد اثناء العدوان لتدعيم مصالحهم فى المنطقة ووضعها تحت نفوذها وكانت بداية كشفة لتوجهاتهما السياسية فى ٢٣ ديسمبر عام

١٩٥٧ وهو يحتفل بعيد الجلاء الاول مع شعب بور سعيد الباسل عندما اعلن فى خطابه التاريخى الذى القاه بهذه المناسبة ان هناك مؤامرة دبرت ضد مصر وقال ان مخابرات الدول الغربية اعطت احد الضباط المصريين مبلغ ١٦٢٫٥ الف جنيه لاحداث فتنه فى القوات المسلحة وعمل انقلاب ولكن الضابط المصرى سلمها اليه واضاف فى خطابه انه قرر زيادة هذا المبلغ الى نصف مليون جنيه ومنحه هدية لاهالى بور سعيد وكان عبد الناصر قبل هذا التاريخ حذر الغرب من مغبة محاولة استخدام قوات الامم المتحدة لتدويل غزة والعقبة ولما قدم ايزنهاور مشروعا الى الكونجرس الامريكى يبين سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الاوسط واعلن فى المشروع ان هناك فراغا فى منطقة الشرق الاوسط وانه اى ايزنهاور يطلب من الكونجرس الموافقة على تخويله السلطات لاستخدام القوة لمنع سيطرة الشيوعية الدولية على المنطقة حذر الولايات المتحدة من اقدامها على مثل هذه السياسة واعلن انه ليس هناك فراغ سياسى فى الشرق الاوسط لان القومية العربية والوحدة العربية تملأن هذا الفراغ وان هذا المبدأ ليس الا امتدادا للروح الاستعمارية ووعى الشعوب العربية قادر على قبره وهو فى المهد كما قضى من قبل على حلف بغداد وعلى المشروعات الاستعمارية التى حاول الاستعماريون وعملاؤهم ان يجرؤا بها المنطقة الى مناطق النفوذ .

وكانت وقفة عبد الناصر هذه هى التى شجعت العديد من الدول الافريقية على الحصول على استقلالها وزاد من التحرر وزاد جزر واندحار قوى الاستعمار امام تصميم الشعوب على نيل حريتها وكرامتها ..

هاجم عبد الناصر الغرب باجراءات عملية وقرارات ايجابية مصرية خالصة ومصرية وعربية وهو ما ينفى عنه ما تردد عن وعده فتح خليج العقبة امام اسرائيل اذا توقف اطلاق النار كما أن هجومه ايضا على الاتحاد السوفيتى فى الاحتفال باعياد النصر الذى أوضح فيه ملامح الاشتراكية التى اراد خروشوف تطبيقها فى المنطقة وأعلن أنه يخالف خروشوف وقال يجب الا يبدر الى الذهن ان اشتراكيتنا مذهب وسط بين الرأسمالية والاشتراكية اللينينية وانما الذى حدث أن ثورتنا تسعى الى وضع الحلول للمشاكل التى واجهتها واستوحت فى هذه المحاولة مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فى نطاق التضامن والتآزر والتكامل لافراد المجتمع جميعا .. ووسيلتها فى هذا اذابة الفوارق بين الطبقات والمساواة وتكافؤ الفرص بين الجميع والفرق بين اشتراكيتنا والنظام الرأسمالى واضح بين انما اللبس قد يأتى عند مقارنتها بالاشتراكية اللينينية ولكن هناك فروقا بين الاشتراكيتين .

أولا : نحن نؤمن بالله والدين والرسل والشيوعية اللينينية تنكر الاديان والرسل .

ثانيا : الشيوعية تنتقل من دكتاتورية الرجعية الى رجعية البوليتاريا .

ثالثا : الماركسية اللبننية تنص على تأميم الارض ونحن نؤمن بالملكية الفردية .

رابعا : الشيوعية لا تؤمن بالملكية الفردية ونحن نؤمن بالملكية الخاصة ولا نؤمن بالملكية المستغلة وهناك فرق جوهرى بين طريقتنا لتحقيق اشتراكيتنا وطريقة لينين لتحقيق اشتراكيته فنحن لم نستخدم العنف ولم نحل الصراع الطبقى بالقوة ولا بحمامات الدم ولكن اردنا ان نحل هذا الصراع الطبقى فى اطار من الوطنية ولكن الماركسية اللينينية استخدمت اقصى الوان التعذيب والعنف للقضاء على الصراع الطبقى والتمكين لنظامها الجديد ..

من الطبيعى الا يمر هجوم عبد الناصر على الغرب والشرق الذى اذيع على الهواء مباشرة دون ان يحدث ردود فعل لدى الغرب والشرق فالغرب الى على نفسه ان يتخلص من عبد الناصر واذا كان قد فشل العدوان الثلاثى فى القضاء عليه فان هناك طريقة والف طريقة للخلاص منه ومنذ هذه التاريخ والغرب اصبح يعد اللحظة المرتقبة لحظة اختفاء عبد الناصر من على مسرح السياسة واما الشرق فكان لديه رد قوى فلم يفوت خورشوف هجوم عبد الناصر عليه وعلى النظام الشيوعى علنا وعلى العالم كله فلم تمضى ساعات على هجوم عبد الناصر حتى سارع وكشف النقاب عن اسباب هجوم عبد الناصر عليه ووصفه اى عبد الناصر بانه شاب مندفع انفعالى وانه طلب منه ضرورة اقامة نوع من الكيان الاقتصادى والنظام الحكومى يستهوى الاقطار العربية الاخرى اظهارا لمعارضته للنظام الاقتصادى الذى يحاول عبد الناصر اقامته فى المنطقة ولكن السوفيت كانوا اشطر من الغرب فقد استطاعوا ان يحتووا الازمة مع عبد الناصر ويفتحوا معه القنوات التى توصلهم فى النهاية الى احتلال مكانه ممتازة فى مصر ونجحوا فى هذا الى حد كبير ولكن عبد الناصر استمر فى التمسك بمبادئ عدم الانحياز ولكن لم يستطيع الاستمرار فى هذا الطريق بل اضطر الى التسليم للسوفييت والتسليم للغرب ايضا ولكن هذا لم يمنع من تآمرهما عليه وهذا لغز اخر من الغاز الثورة ...

لم يستطع عبدالناصر الاستمرار في سياسة عدم الانحياز بسبب تآمر الأمريكان والسوفيت عليه وعلى النظام

كان على عبدالناصر – بعد وقفته الخالدة ضد القوتين العظميين وتمسكه بمبدأ الحياد الايجابي كمؤسس له – ان يشرح ويدافع عن سياسته فى خطاباته ولقاءاته ومؤتمراته بنفسه ، حتى قيل انه عمل كوزير للاعلام بجانب عمله كرئيس للجمهورية ورئيس لمجلس قيادة الثورة ورئيسا لمجلس الوزراء ، والحادثة التى رويتها بينه وبين صلاح سالم وزير الارشاد القومي من قبل تؤكد هذا الرأى ، عندما كلفنى محمد امين حماد – بوصفى مندوبا للاذاعة فى رياسة الجمهورية – ان اسأل عبدالناصر عمن سيتولى عمل صلاح سالم عند سفره الى العراق .

ولما سألت عبدالناصر قال أنا ، حيث اننى اقوم بعمل صلاح سالم فى وجوده وفى غيابه وكان أنور السادات حاضرا هذا الحوار وامن عليه ، ولما حللنا – نحن مندوبى الصحف والاذاعة – اجابة عبدالناصر اخذنا منها مؤشرا ان ايام صلاح سالم فى الحكم اصبحت معدودة وصدقت نبؤتنا فلم يمر على هذه الواقعة شهور الا وكان صلاح سالم مستقيلا كما قلنا طبقا لما جاء فى هذه المذكرات سابقا ، وهذا استطراد لم نقصد اليه المهم ان عبدالناصر تولى بنفسه الدفاع عن سياسته بعد وقفته الحديدية امام محاولات الشرق والغرب احتواء مصر الى جانب اى منهما وهى رائدة سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى ، فكان يعلن دائما انه اقام المجتمع الاشتراكى الذى لا يستورد مبادئه من خارج البلاد وانما يستوحى هذه المبادىء من التقاليد والعادات المصرية الاصيلة ويعلن عبدالناصر اننا نحن الذين نصنع النظام الذى يتلائم مع احتياجاتنا ولا ننقله من احد .. نحن لا نريد رأسمالية الدولة ولكن نريد مقاومة الاستغلال .. لا نريد تحويل الملاك الى اجراء ولكن نريد تحويل الاجراء الى ملاك .. ومن اقواله فى هذه المناسبة .. أنا مسئول عن محاربة الفساد ولكن الشعب كله مسئول معى .. كل خطأ لابد ان يصحح وكل اتهام لابد ان يحقق .. نجحت الثورة السياسية والثورة الاجتماعية .. المعركة مستمرة ضد مؤامرات الاستعمار، وللتاريخ فان عبدالناصر اتخذ من القرارات ما يؤكد كل ما جاء على لسانه عن سياسته وتحويل البلاد الى خلية وطنية حقا فى تحركها السياسى والاقتصادى ، مؤيدة حركات التحرير التى قامت فى كافة الدول النامية ونادت بمبدأ افريقيا للافريقيين

دعما لثورة الجزائر التى امدتها بالدم والمال ولم تتخل عنها الى أن نالت استقلالها واطلق عليها ثورة المليون شهيد وكانت ثورة الجزائر رائدة لثورات التحرير التى غطت مساحات شاسعة من القارتين الافريقية والاسيوية وايضا امريكا اللاتينية بفضل عبدالناصر وسياسته ولعل هذه النقطة كان تجمع دائما بين الامريكان والروس ضد مصر اذ ان ذلك يعنى مزيدا من الانحدار لنفوذ هاتين القوتين .

وللحق والحقيقة فان عبدالناصر قد عانى الامرين فى سبيل احتفاظه بتوازن علاقاته مع الشرق والغرب ليزدهر مبدأ عدم الانحياز ويحقق هدفه الاساسى وهو تخفيف حدة التوتر بين المعسكر الغربى والمعسكر الشرقى ، وقف فى وجه امريكا التى ارادت أن تحتوى الثورة المصرية خوفا من تحولها الى الاشتراكية .

عندما عبر جواهرلال نهرو
عن قلة خبرة عبدالناصر السياسية
بقوله إنك فى حاجة إلى بعض الشعر الأبيض

ولما فشلت الولايات المتحدة ان تجعل من الثورة المصرية نظاما عسكريا على نمط النظم التى سعت لاقامتها فى الدول التى انتشر بين ربوعها الوعى الاشتراكى بهدف منع انتشار الاشتراكية بين الدول التى حصلت على استقلالها فى كل من افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية وضعت المتاريس والاشواك والعقبات فى طريق عبدالناصر حتى تفشل الاشتراكية التى نادى بها فى تقديم اية فائدة للشعب حتى لا تنتقل عدواها الى البلاد العربية ويتقلص نفوذها فى المنطقة ، وعليه قادت امريكا الحرب ضد عبدالناصر دون ان تظهر فى الصورة فهى التى رتبت الحرب الاقتصادية وحصار مصر اقتصاديا وسحب تمويل السد العالى وكانت على علم بمؤامرة العدوان الثلاثى وهى التى لجأت الى هذا الاسلوب الملتوى حتى لا تفقد نهائيا امكانية احتواء عبدالناصر وثورته ولما لم يستجب عبدالناصر لرغباتها وخافت ان يهدم مخططاتها وينهى نفوذها جندت كل امكاناتها للقضاء على عبدالناصر فتآمرت على وحدته مع سوريا حتى انفصمت وفتحت جبهة حرب اليمن ورتبت لعدوان ١٩٦٧ وافقدت مصر ايراد قناة السويس بردمها مرتين وتوقف الملاحة بها سنوات حتى كاد العالم ان يستغنى عنها كممر مائى والاستعاضة عنها باللف حول رأس الرجاء الصالح وكان هدف واشنطن من كل هذا اسقاط نظام عبدالناصر واستنفاد موارد مصر واضعاف اقتصادها وتضييع ثمرة الاشتراكية التى اعتنقها حتى لاتحذو حذوها دول عربية أخرى اذا ما بدت هذه الاشتراكية أمام الكثيرين وأمام الدول النامية انها ليست الحل الأمثل لما يعانوه من مشاكل وتخلف .

ولم يقتصر عبد الناصر على مقاومة الولايات المتحدة وضغطها وانما قادم أيضا الضغط السوفيتى واستمر فى مقاومته والتمسك بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز بين القوتين العظميين الى أن جاءت نكسة ١٩٦٧ وقبلها انفصال الوحدة بين مصر وسوريا التى قيل انها كانت السبب فى مرض عبد الناصر بالسكر ، وأن هذا المرض لم يساعده على تحمل صراع العملاقين فترك الحبل على الغارب لظهور شخصيات على السطح لقبت فيما بعد بمراكز القوى التى ضمت كل المؤيدين للاتحاد السوفيتى أو المنحازين لسياسته أو المؤمنين بمبادئه أو قل جند الاتحاد السوفيتى

اعوانه ليستولوا فى وقت ما على الحكم فى مصر ، هذه المراكز استثمرت مرض عبد الناصر وفتحت المجال لتغلغل السوفيت فى شئون الدولة والسيطرة على أدوات الانتاج والقوات المسلحة وتوجيه السياسة المصرية حسبما يتفق مع مخططاتهم الى أن اضطر عبد الناصر الى التقدم للسوفيت بطلب ليمدوه بأسلحة هجومية جنبا الى جنب مع الأسلحة الدفاعية التى كانوا يمدونه بها ولما رفض السوفيت طلبه أدرك عبد الناصر أبعاد المؤامرة واتفاق القوتين العظميين عليه أو قل على الدول النامية قاطبة .

ومنذ ذلك التاريخ بنى عبدالناصر تخطيطه على الخلاص من النفوذ السوفيتى واعتناق سياسة عدم الانحياز دون تفضيل قوة على قوة او السماح لواحدة منهما على التمتع بمزايا اكثر من الاخرى وبدأ فى اعتناق هذه السياسة بأعلانه قبوله مبادرة روجز وهو يجرى مباحثاته مع الكرملين فى موسكو كنوع من الضغط علهم يجيبوه الى طلبه ولكن المنية وافته وهو فى هذا الموقف الذى لا يحسد عليه ولابد ان نشير هنا الى رأى المحللين لهذه الاحداث حيث اجمعوا على ان رفض السوفيت مد عبدالناصر بالاسلحة الهجومية يؤكد الرأى القائل بان العدوان الثلاثى على مصر غير مقطوع الصلة عن نكسة ١٩٦٧ فكلاهما مؤامرة دولية على مصر لاخماد صوت الحرية الذى نادت به مصر والابقاء على الدول النامية ميدان لمناورات القوتين العظميين وان الاتفاق كان قائما بين الامريكان والروس فى اوقات العدوان الثلاثى واوقات النكسة على تدمير القوات المسلحة المصرية وابادتها وتدمير ارادتها التى ايقظت بها الشعوب واقامت التحالف بينها للحد من سيطرة القوتين العظميين ومناوراتهما ومما يؤكد هذا الرأى ايضا ان اسرائيل لا يمكن ان تتحرك الا اذا تلقت الضوء الاخضر من واشنطن لهذا التحرك والخط الاحمر الذى لا يمكن ان تتعداه وايا كان الامر فما لا شك فيه ان عبدالناصر لم يستطع السير بسياسة عدم الانحياز بكياسة وحكمة أمام تآمر السوفيت والامريكان عليه بالرغم من انه كان لا يخطو خطوة قبل أن يستشير معلمه تيتو شريكه فى تأسيس مبدأ عدم الانحياز وكان تيتو يحسده على انه تولى مسئولية الحكم وهو صغير السن وانه كان يتوقع له مستقبلا كبيرا فى عالم عدم الانحياز وفى العالم ولكن عبدالناصر لم يستطع ان يؤدى الدور كما اداه تيتو ونهرو شريكاه فى الدعوة لعدم الانحياز ربما بسبب حساسية المنطقة التى عاش فيها عبدالناصر واهميتها الاستراتيجية بالنسبة للعالم اجمع وربما بسبب وجود اتفاق مسبق حول مستقبل هذه المنطقة بين الولايات المتحدة

والاتحاد السوفيتى وربما بسبب قلة خبرة عبدالناصر السياسية التى اشار اليها نهرو فى عبارة رقيقة وجهها سرا اليه عندما قال له «انك فى حاجة الى بعض الشعر الابيض»

لقد شهدت عبدالناصر فى مواقف القوة ومواقف الضعف وصورته مرسومة فى ذهنى الان يوم كسب معاركه الثلاث مع الغرب - معركة الاحلاف ومعركة احتكار السلاح ومعركة تمويل السد العالى صورته مرسومة فى ذهنى وصوته يرن فى اذنى وكأنه اليوم رغم مرور اكثر من ثلاثين عاما وهو يعلن ان التحرير الكامل هو اساس مبادىء الثورة وان مصر مصممة على تنظيم الدفاع عن نفسها وعن العرب بجهاز ينبثق من ارادتها وارادة الشعوب العربية لتتأكد شخصية مصر المستقلة وشخصية امتها العربية مازال صوته يرن فى اذنى وكأنه اليوم وهو يعلن على الاستعمار ان يحمل عصاه ويرحل فهل كان هناك خلاف بين صورة عبدالناصر وهو قوى وصورته وهو ضعيف اشهد انه فى الظاهر لا فرق بينهما فعبدالناصر كان يكره ان يظهر ضعيفا او مستسلما فقد كان من الصنف الذى يستطيع ان يكظم غيظه ويخفى ضعفه الى ان يستعيد قوته وكأنه لم يكن فى موقف ضعف من قبل وهذا ما كان يخيف اعداؤه منه ولكن عبدالناصر قد تغير بسبب المرض الذى الم به وادرك اخيرا ان انياب القوتين انيابا مفترسة وانهما لن يتركا مصر تصبح قوية ففى قوتها قوة للعرب ولدول العالم الثالث ودول عدم الانحياز وهو ما لا تسمح به هاتان القوتان وعندما ادرك عبدالناصر هذه الحقيقة واعد العدة للتعامل سياسيا على اساسها وافته المنية لتحميه من بطش القوتين العظميين اللتين اتفقا على الخلاص منه ومن نظامه باية طريقة ولكن عبدالناصر لم يشف غليلهما فطوال حياته استمر يهددهما ويخيفهما وانتصر عليهما اكثر مما انتصرا عليه .

اتهمت بإفشاء أسرار اجتماع عبدالناصر مع رؤساء تحرير الصحف

كان عبدالناصر قارئا جيدا يسهر الليل فى قراءة وتمحيص ما يعرض عليه من تقارير سياسية كانت او اقتصادية او امنية ، كما كان يتصفح الصحف العربية المحلية والخارجية فى الصباح الباكر من كل يوم وقبل ان يبدأ عمله ، فكان من طبعه ان يظهر امام المجتمعين معه سواء اكانوا مصريين او اجانب او عرب انه عالم بكل ما يدور فى مصر وفى غيرها من دول العالم وان يظهر انه صاحب نظريات سياسية واقتصادية هى اساس قيامه الثورة .

كما أنه كان لا ينام الليل الا بعد ان يستمع لما تذيعه المحطات الاجنبية من انباء ولا يتوجه الى فراشه الا بعد ان تغلق هذه المحطات ابوابها وتنهى ارسالها وكان يحرص ايضا على قراءة كل التقارير الاعلامية التى تتضمن كل ما تذيعه هذه المحطات سواء اكانت معادية او مؤيدة وكان فى كثير من الاحيان يكتب الردود على ما تذيعه هذه المحطات عن مصر من مثالب واتجاهات معادية وكان يعطى تعليماته والخط الذى ينبغى ان تسير عليه الاذاعة فى تعليقاتها وعرضها وتحليلاتها وما ينبغى ان تقوم به الصحف للرد على هذه الاذاعات بل كان يحرص فى اوقات فراغه على الاستماع الى كل ما تذيعه الاذاعة من برامج واخبار ليقف على مدى تنفيذ تعليماته وتوجيهاته فكان باختصار فى بداية الثورة يعمل كوزير داخلية وفى الوقت نفسه كان يقوم بعمل وزير الاعلام او وزير الارشاد القومى كما كانت تسمى في هذا الوقت ويقوم بعمل وزير الحربية ووزير الخارجية ومدير المخابرات العامة ، وليس ادل على ما نقول من انه لما كلف صلاح سالم بمهمة فى العراق ولما سئل عمن سيقوم بعمل وزارة الارشاد القومى اثناء غيابه كانت اجابته بأنه يقوم بعمل وزارة الارشاد فى حضور صلاح سالم وغيابه على السواء ولما قام احد الضباط بمنع اذاعة اغانى ام كلثوم فى الاذاعة بحجة انها غنت للملك وللعهد البائدا صدر اوامره باعادة اذاعة اغانى ام كلثوم على الفور وحاسب هو بنفسه الضابط الذى اصدر هذه الاوامر وكان كل ذلك مفاجئة للوزير المختص ، ولما استمع لتلخيص لخطاب كان القاه واذيع فى الاذاعة ووجد انه شوه مضمون الخطاب فيما يختص بقضية فلسطين سارع بالاتصال بالاذاعة وطلب وقف ما يذاع من خطابه وصحح الخطأ فيه ولم يكد يطلب هذا الطلب من المسئولين فى الاذاعة حتى سارع هؤلاء المسؤلون باصدار قرار بوقف محرر الاخبار

الذى لخص خطاب عبدالناصر عن العمل ، وكم كانت دهشتى حينما اعلمت عبدالناصر بما حدث استغرب ولكنه لم يخف استياءه من المحرر ، ولما قلت له اذا تم وقف المحرر عن العمل لانه لخص خطابك ووقع فى خطأ لم يقدم محرر بعد ذلك على تلخيص خطاباتك مع الوضع فى الاعتبار ان المحرر لم يكن سوء النية وانما الخطأ وقع بدون قصد منه وعلى الفور طلب من محمد احمد مدير مكتبه الاتصال بالاذاعة والغاء قرار وقف المحرر وعادت الامور الى مجاريها الطبيعية ، وثمة حادث آخر غير النظام الاخبارى المعمول به فى الاذاعة ، فقد كانت اجازتى الاسبوعية يوم الجمعة والاتفاق قائم على أن المندوب النوباتشى يقوم بالاتصال بمنزل عبدالناصر للحصول على نشاطه الاخبارى الى ان حدث فى يوم الجمعة ان اتصل المندوب النوباتشى وكان الزميل حسن شمس الذى اصبح فيما بعد رئيسا لاذاعة الشرق الاوسط وحصل على مقابلات عبدالناصر طوال اليوم وقام باذاعة هذه المقابلات فى نشرات الاخبار طبقا لمواعيدها وكان مقررا ان يلتقى عبدالناصر بالسيد هزاع المجالى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة الاردنية ولكن المقابلة لم تتم والاذاعة قامت باذاعتها وحدث لحسن شمس كما حدث لمحرر الاخبار ، ولكن عبدالناصر لما علم بالموضوع انهى الازمة ولكنه غير فى النظام الاخبارى حيث منع مندوبى الاذاعة والصحف من الاتصال بمنزله فى يوم الجمع على ان يتولى مكتبه هذا الامر بناء على تعليمات منه ثم وسع دائرة هذا المنع فجعل مندوبى الصحف والاذاعة مسئولين عن نشاطه الاخبارى فى الدوائر الحكومية ومقر مجلس الوزراء ورئاسة الجمهورية اما نشاطه فى المنزل يكون مسئولية سكرتاريته وحجته فى هذا ان مقابلاته ليست للنشر كلها فهناك مقابلات لا يريد نشرها او الاعلان عنها فما يريد نشره والاعلان عنه يتولى هو بنفسه امره .

على أن اغرب قصة حدثت بسبب حرص عبدالناصر على الاستماع الى الاذاعة ان كبار الكتاب كانوا يتحدثون بعد نشرة أخبار الساعة الثامنة والنصف تحت اسماء عواميدهم التى يكتبون تحتها كل يوم كهمسة لاحسان عبدالقدوس ونحو النور لزكى عبدالقادر ودخان فى الهواء لجلال الدين الحمامصى وكان يبدى ملاحظات يومية عن هؤلاء الكتاب من واقع ما يستمع اليه من تحليل وعرض وتعليق باقلامهم واذا به يطلب منع هؤلاء الكتاب جميعا من الاذاعة نهائيا ، وكان طلبا غريبا غير معروف الاسباب والدوافع ، ولم يستطيع احد الاستفسار من عبدالناصر واستمر ذلك سرا الى ان فك لغزه وعلم ان احد هؤلاء الكتاب اعتبر حلف الاطلنطى على قدم المساواة مع حلف وارسو وقرر انها احلاف استعمارية تسعى لصالح دولها وليس لصالح الامة

العربية ، وكانت علاقات مصر والاتحاد السوفيتي في هذا الوقت في اوج عزها وكانت علاقات مصر مع الغرب قد وصلت الى ادنى الدرجات وبات التهديد لقطعها وارد من اجل عيون الاتحاد السوفيتي اصدر عبدالناصر القرار ، والقصة الاخرى الغريبة التى ذكرتها من قبل ، عندما استدعانا نحن مندوبى الصحف والاذاعة فى مكتبه واطلعنا على الاسرار السياسية وخطواته المستقبلية وطلب منا نقل وقائع هذا الاجتماع الى رؤساء التحرير فقط دون نشر كلمة واحدة منه ، وصدعنا بالامر ، لكن عبدالناصر وهو يستمع للاذاعات الاجنبية استمع الى كل ما ادلى به من معلومات لنا فى اذاعة الشرق الادنى التى توقفت فيما بعد ، وجن جنونه ، وكلف جهازه الامنى والاستخبارى على الفور بضرورة معرفة من ابلغ اذاعة الشرق الادنى فهناك واحد منكم احاطها بكل مادار بيننا امس وارتجفنا جميعا خوفا على الرغم من انه ليس فينا من يراسل هذه الاذاعة ولكن خفنا من التقارير المغلوطة ولكن عبدالناصر لمح ما نحن فيه على الفور وافهمنا ان احدا منا لم يراسل الشرق الادنى وان الذى حدث ان مندوب جريدة الاخبار وهو يطلع رئيس تحرير .. فى مكتبه على وقائع اللقاء بالمكتب كان مندوب اذاعة الشرق الادنى حاضر الحديث وسمع كل شئ وانطلق حيث املاه لاذاعته .

والاغرب من هذا كله ان عبدالناصر حدث ان استدعى رؤساء تحرير الصحف باستثنائى حيث اننى كنت مسئولا عن اعداد تسجيل وقائع هذا الاجتماع للاذاعة ، وحضرت الاجتماع بهذه الصفة وانتهى الاجتماع فاذا بى بعد ساعات متأخرة من الليل اتلقى مكالمة تليفونية تقول اننى متهم بإفشاء اسرار لقاء عبدالناصر مع رؤساء تحرير الصحف واننى افضيت بوقائع هذه الجلسة الى الزميل عدلى جلال مندوب الاهرام خلال عودتى معه فى سيارة الاهرام من القبة الى منزلى وقد نفيت ما هو منسوب لى تماما ، فقد كنت متعودا مرافقة عدلى جلال فى سيارة الاهرام فقد كان يقطن فى المنيل وانا اقطن فى الجيزة واشهد الله والتاريخ اننى بوصفى مندوبا للاذاعة كنت احضر العديد من الاجتماعات السرية ولما اتهمت هذا الاتهام الخطير قلت لمن اتهمونى هذا ليس الاجتماع السرى الوحيد الى حضرته فكم حضرت من اجتماعات سرية ولم يحدث ان سرا منها قد كشف ، ابحثوا عن غيرى لتعرفوا الحقيقة ونمت ليلتى قلقا مهموما فيمكن ان يحدث لى ظلما ما حدث لبعض زملائى وتوسطت لهم لدى عبدالناصر فمن سيتوسط لى لو ثبتت التهمة وانا منها برىء براءة الذئب من دم بن يعقوب ، واصبح الصبح وكان هذا الموضوع حديث الصحفيين

وظهرت الحقيقة التى تقول ان سرا لم يفش او يذاع وانما كانت اشاعة اطلقها بعض الصحفيين لمحاولة الحصول على مادار فى هذا الاجتماع خاصة وان رؤساء التحرير التزموا تماما بما طلبه عبدالناصر حيث كانت الرقابة مفروضة والعقاب يسقط على الفور على كل من يخالف التعليمات .

حاول عبدالناصر إقامة حياة ديمقراطية سليمة .. ولكن الشعب لم يستجب له

اجمع مؤيدو عبدالناصر ومعارضوه على السواء على ان حكمه كان شموليا دكتاتوريا لم يستطع ان يتنسم فيه الشعب نسيم الحرية ورغم ذلك فان حكم عبدالناصر اتى من الاصلاحات والانجازات ما لم يستطع ان يأتى بمثله اى حكم شمولى دكتاتورى فى العالم ، هذه الاصلاحات والانجازات العملاقة بهرت الشعب المصرى كما بهرت الشعوب العربية حتى أن بعض المحللين اقروا ان الشعب المصرى قبل دكتاتورية عبدالناصر ولم يستجب له عندما حاول اقامة حياة ديمقراطية سليمة التى نص عليها المبدأ السادس من مبادىء الثورة ولسنا مع هذا الرأى ، فاذا كان الشعب المصرى لم يستجب لنداء الديمقراطية من عبدالناصر فان هذا الشعب نفسه استجاب لهذا النداء فيما بعد .

فما هى معاذيره ومحاذيره عندما رفض ديمقراطية عبدالناصر ؟ لا شك ان هذه المحاذير كثيرة وعديدة واحصائها يتطلب بحثا قائما بذاته ، ولكننا يمكن أن نوجزها فى أن عبدالناصر لم يهيىء الشعب نفسيا لقبول الديمقراطية ولم يقدم له من الامان ما يجعله يثق فى هذا النداء ويقبل عليه ويدعمه ، فضلا عن أن هذا الشعب لم ينس عملية الغدر التى حدثت فى مارس عام ١٩٥٤ يوم اعلن ان عهد الدكتاتورية والانفراد بالحكم دون مشاركة الشعب قد ولى وحل عهد من الديمقرطية والحرية ، وانطلق الشعب يمارس هذه الحرية وحرر كتابه وصحفيوه ومفكروه الثلاث بمنتهى الحرية فاذا بهم بعد ايام ينكل بهم ويجرى اعتقالهم وتعذيبهم وتعود ريمة الى عادتها القديمة وتعيش مصر فى عهد من كبت الحرمان لم يحدث مثله فى تاريخه الطويل ، فلا يمكن لهذا الشعب ان يصدق نفس النداء بعد سنوات ثلاث او يزيد عندما اصدر عبدالناصر فى مايو عام ١٩٥٧ قرارا بدعوة الناخبين لاجراء الانتخابات العامة وفتح باب الترشيح خاصة وان الشعب شاهد نوع الديمقراطية التى ارادها عبدالناصر عندما جاءت نتيجتها ونتيجة الاستفتاء بنسبة ٩٩٫٩٨٣٪ وهو ما لا يصدقه عقل ففى هذا الشعب عشرات الالاف ممن صودرت املاكهم وقدموا لمحكمة الثورة ومحكمة الغدر وصحيح ان الذين قدموا لهذه المحاكمة كانوا ممنوعين من ممارسة حقوقهم السياسية وانما كانت هناك فئات كبيرة من الشعب غير راضية عن هذه المحاكمة وتلك المصادرة كما خرج المئات فى عملية التطهير التى قامت بها الثورة فى سنتها الاولى

وكل هؤلاء لم يقولوا بالقطع نعم فى الاستفتاء والانتخاب مما يؤكد ان النتيجة التى اعلنت عنها غير حقيقية بالمرة وكان هذا هدما لمبادىء الديمقراطية وبالتالى لم يعد يصدق الشعب عبدالناصر عندما اعلن فى اول اجتماع لمجلس الامة الذى عقد فى ٢٢ يوليو عام ١٩٥٧ واعلن فيه ان هدف الثورة السادس الخاص باقامة ديمقراطية سليمة قد تحقق وان موعد الثورة مع الشعب لتحقيق هذا المبدأ كان منذ ٥ سنوات ولكن الثورة خاضت حرب الاستقلال وحرب المؤامرات وحرب تثبيت الاستقلال ولم يثق الشعب فى قدرة عبدالناصر على تحقيق ما نادى به عن طريق الديمقراطية عندما قال فى خطابه هذا ثلاث سبل للامان اتحاد يصون جبهتها فى الداخل وعدم انحياز يصون جبهتها الداخلية والخارجية وقومية عربية تضمن اتساع جبهة القتال على اى معتدى على احدى الدول العربية وقد صدقت نبوءة الشعب فقد رحل عبدالناصر الى ربه والجبهة الداخلية تشكو من التصدع وعدم الانحياز يعانى من التفكك والقومية العربية اصيبت بنكسة ..

كل هذا لا يمنع المراقبين من الاعتراف بان عبدالناصر اصبح له مريدون ومؤيدون فى سائر انحاء العالم العربى اطلق عليهم لقب (الناصريين) وان عبدالناصر كان رمزا للامل والقوة لا فى مصر فحسب وانما فى الوطن العربى الكبير من المحيط الى الخليج وانه استطاع فى ظل الحكم الشمولى الكامل ان يصد العدوان على مصر ويمنع القوتين من السيطرة الاجنبية على الاقتصاد الوطنى ويصدر القوانين التى مصرت البنوك والشركات وساعدت على تنمية الانتاج وأقام برنامجا مدته خمس سنوات للتصنيع فى الوقت الذى تفجر فيه البترول فى صحراء سيناء ولكنه لم يكن يتحمل النقد او يتسع صدره للنقاش والحوار والرأى والرأى الاخر ولم يستطع ان ينمى الديمقراطية التى نادى بها ولكنه استطاع ان يحقق الاهداف الخمسة من اهداف الثورة وهذا وحده يشرفه اذ استطاع ان يحقق هذه الاهداف وسط صراع الجبابرة على اضواء مصر بين القوتين العظميين فى العالم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية اما هدف الديمقراطية فلم يستطع تحقيقه للاسباب التى ذكرناها وغيرها ففى عهده تسلطت الرقابة على الصحف التى قتلت اجتهاد الصحف والصحفيين للحصول على الانباء وقتلت فيهم شهوة السبق الصحفى اذ كان اى صحفى يحصل على ما يسمى بالسبق الصحفى يفاجأ - فى حالة السماح بنشره - بأنه منشور فى جميع الصحف بصيغة واحدة لا تتضمن الوقائع كاملة وانما مبتورة ومشوهة بحيث لم يعد سبقا صحفيا ، وقد وصل التحكم فى بعض الصحف وقتذاك ان وضع فى كل صحيفة

رقيب يستطيع ان يمنع طبع الصحيفة اذا حملت نبأ غير مسموح بنشره كما كانت الاخبار الهامة توزع على الصحف جميعها فى اخر كل ليلة ولكن الصحفيين كانوا يعرفون الاخبار الممنوعة من التعليمات التى تصدر بمنع نشرها وكان المقال الوحيد الذى تقوم الاذاعة باذاعته هو مقال محمد حسنين هيكل الذى كان ينشر فى الاهرام كل يوم جمعة بعنوان (بصراحة) وفيما بعد اصبح ينشر فى الاهرام وفى جريدة الانوار فى بيروت بناء على اتفاق تم بين الجريدتين هذا النظام اصاب الرسالة الصحفية والاعلامية فى مقتل حيث تخلفت عن الركب وسبقتها صحف عربية كان الصحفيون المصريون هم مؤسسوها حيث اصبحت الصحف اليومية الثلاث فى مصر وهى الاهرام والاخبار والجمهورية نسخة واحدة فما الداعى لاصدار الصحف الثلاث ولماذا لا يكتفى بجريدة واحدة ؟ هذه الصورة وضحت تماما عندما التقى عبدالناصر باعضاء أول مجلس نيابى شكل عام ١٩٥٧ بالقصر الجمهورى بالقبة وحضر هذا اللقاء رؤساء تحرير الصحف وكان البروتوكول بغرض جلوس اعضاء كل محافظة فى مجلس الامة على حدة ليتمكن عبدالناصر من الجلوس مع ممثلى كل محافظة على حدة ليسمع منهم ما يشكون منه وتخطيطهم للنهوض بشئون المحافظة وكيفية التغلب على كافة العقبات التى تصادفهم وحضر رؤساء تحرير الصحف الاجتماع ولكنهم طبقا لما هو متبع لم يكلفوا انفسهم مشقة البحث عن الخبر ففى النهاية الخبر الذى سينشر عن هذا الاجتماع هو خبر واحد سيمليه عليهم مسئول وكان مصطفى امين احد هؤلاء رؤساء التحرير الوحيد الذى اجهد نفسه حيث لجأ الى حيلة طريفة حيث تقدم الى كل محافظة واختار واحدا من نوابها واعطاه بلوك نوت وقلم باركر وطلب منه تسجيل كل ما يدور من حديث بين اعضائها وعبدالناصر وتسجيل ملاحظاته ايضا على ان يحضر فى نهاية الاجتماع ليتسلم البلوك نوت ويترك القلم للعضو الذى تطوع للقيام بهذه المهمة وتسلم مصطفى امين ما كتبه الاعضاء وتوجه الى مكتبه وحرر كل ما جاء فى البلوك نوت عن كافة المحافظات حيث تكون له موضوع مطول اشبه بالتحقيق الصحفى عن مشاكل المحافظات وتوجيهات عبدالناصر بشأنها فى حين رؤساء التحرير الاخرين اكتفوا بتحرير خبر عام حول الاستقبال الحار الذى قوبل به عبدالناصر من اعضاء مجلس الامة .

وحدة مصر مع سوريا
خلصت سوريا من أمراضها السياسية
وانقذتها من الوقوع فى براثن الشيوعية

كان اختبار جمال عبدالناصر لرؤساء تحرير الصحف المصرية بمثابة بروفا لتخفيف القبضة عن الصحافة المصرية واعطائها قليلا من الحرية فى التعبير عن الرأى وكان ذلك السبب الأساسى فى السماح لمصطفى امين بان ينشر كل ما لديه عن اجتماع عبدالناصر بأعضاء مجلس الامة وكان سبقا صحفيا كبيرا احرزه مصطفى امين الذى لم يستكين لضغط الدولة على الصحافة وانما كان دائما يفعل ما يمليه عليه واجبه الصحفى سواء سمحت الدولة بالنشر أم لم تسمح .

ولم يفكرعبدالناصر فى تخفيف القيود على الصحافة الا بعد ان اطمأن الى أنه كسب المعركة مع الاستعمار سياسيا وعسكريا واقتصاديا واطمأن الى ازدياد المد الثورى الذى أشعله فى ارجاء الوطن العربى الكبير وارجاء الدول النامية فى اسيا وافريقا وامريكا اللاتينية والحق يقال اننى لم اشهد عبدالناصر مطمئنا واثقا من نجاح ثورته كما شهدته فى هذه الفترة .. الفترة التى بدأت بعد ان انهى كل ما ترتب على العدوان الثلاثى من مشاكل وقضايا فيما يختص بقناة السويس ومشاكل وضع المساهمين بعد تأميمها وفيما يختص بموقف مصر من بريطانيا بعد انهاء اجلاء آخر جندى بريطانى عن الأرض المصرية ، هذه الفترة كانت مع بداية عام ١٩٥٨ والتى بدأت بخطاب وطنى رائع لعبدالناصر أمام ممثلى الشعب من أعضاء مجلس الأمة استعرض فيه ما حققته الثورة منذ قيامها حتى تاريخ ١٦ يناير عام ١٩٥٨ موعد القائه لهذا الخطاب كما استعرض ما ينوى ان يحققه للشعب العربى فى المستقبل كما شرح قصة التسليح والسد العالى والتأميم والسودان وكيف استطاع الشعب أن ينتصر فى كل هذه المعارك التى خاضها من أجل استقلاله ومن أجل تثبيت هذا الاستقلال واوضح كيف ان اهداف الثورة جميعها قد تحققت بالرغم من الكفاح المرير الذى خاضته ضد قوى البغى والاستعمار ، ولم يكتف عبدالناصر - للاعلان عن نجاحه السياسى والاقتصادى والعسكرى - بخطابه هذا فلم تمض سوى أيام على القائه لهذا الخطاب حتى دعا عبدالناصر الى مؤتمر صحفى عالمى عقد بالقاهرة فى ٢٧ يناير من العام نفسه حضره اكثر من ثلاثين صحفيا امريكيا عدا العديد من الصحفيين من جنسيات مختلفة شرح فيه ثوابت واساسيات سياسته المستقلة وتمسكه

بالحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وهذه كانت طبيعة عبدالناصر يسوق منجزاته تسويقا جيدا عالميا وغربيا ومصريا وربما جنح الى هذه الطبيعة لتكون بمثابة رد للحملة الشرسة التى تعرض لها طوال فترة حكمه من جانب ابواق الدعاية المفرضة فى العالم الخارجى ومن جانب الموتورين منه داخل الوطن العربى نفسه ومعه بالذات خاصة وأنه كان يدرك جيدا أن القيود المفروضة على الصحافة وقتذاك لا تمكنها من القيام بهذه المهمة .

فى هذا الوقت وعبدالناصر فى أوج مجده وصل الى مصر الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وقتذاك يطلب الوحدة مع مصر كحل وحيد لانقاذ سوريا من مستقبل مظلم ينتظرها حيث كانت نهبا لسائر المذاهب السياسية فى العالم فهناك البعث وهناك الشيوعية وهناك الرأسمالية وهناك القومية العربية وهناك الانفصاليون والرجعيون والمتزمتون وفوق هذا كله كان هناك السنة والشيعة والدروز والصراع المرير قائم بينهم وهو وضع جعل سوريا نهبا للانقلابات العسكرية المتعددة بحيث كانت هناك مقولة تؤكد ان الضابط الذى يستيقظ مبكرا فى امكانه ان يقوم بإنقلاب ويستولى على السلطة ، وقد جاء القوتلى الى مصر وهو على قناعة أن الوحدة مع مصر تخلص سوريا من أمراضها السياسية وتحميها من الوقوع فى مخالب الشيوعية فالوضع القائم بها كان ينبىء اما أن تقع تحت سيطرة الحكم الشيوعى السوفيتى أو الحكم الرجعى الامريكى وهو تعبير كان يطلق على كل حكم يؤيد الامريكان فقد كان السوفيت فى هذا الوقت فى وجه الدول النامية هم المتحررون والامريكان هم الرجعيون ، وهذا يعطينا حقيقة تقول إن السوفيت التفتوا الى سوريا قبل ان يلتفتوا الى مصر وربما تواجدهم فى سوريا هو الذى قادهم الى السعى للتواجد فى مصر .

لم تأخذ اجراءات الوحدة بين مصر وسوريا وقتا طويلا فقد كانت الظروف فى البلدين مهيأة تماما لقيامها فالشعب السورى كان يرى فى عبدالناصر بطلا قوميا ورمزا للوحدة العربية لابد ان يلتف حوله الشعب العربى كله ليفرض وجوده ويعيد مجده القديم فى الحضارة والتقدم لانجازاته الرائعة التى تحققت فى فترة وجيزة جدا بمقياس الزمن المطلوب لمثل هذه الانجازات والاستعمار كان يقظا لهذا التحول فمصر وحدها كانت تمثل عقبة فى طريق بقائه فما باله لو أن مصر اتحدت مع سوريا وتوحد البلدان فلابد ان تزداد عداوتهما للاستعمار ولابد أن يزداد سعيهما وتصميمها لتخليص الامة العربية من كابوسه خاصة وأنه مازال متواجدا فى العديد من الدول

العربية ولم يجد الاستعمار من سبيل للاجهاز على الوحدة بين مصر وسوريا وهي تكتمل بعد اجراءات قيامها سوى سلاحه القديم الذى يلجأ اليه دائما كلما اراد وقف تيار التحرر بين الدول التى يستعمرها فقبل وصول شكرى القوتلى الى القاهرة بدأت حرب الاشاعات فى الاذاعات الاستعمارية الى كانت تبث ارسالها فى الاراضى العربية وتقوى موجاتها حتى تغطى على موجات الاذاعات العربية المحلية والتى تقول إن الوحدة الطبيعية لمصر مع السودان وليس مع سوريا وأن هذه الوحدة لن يقدر لها البقاء طويلا لاختلاف الشعبين وبعد السافات بينهما ووجود اسرائيل بين الشعبين يمثل عقبة كأداء أمام هذه الوحدة وتنقلت هذه الاذاعات من داخل سوريا من يقول إن الشعب السورى قبل الوحدة مع مصر بسبب عبدالناصر وأنه الرابطة الوحيدة بين البلدين ومعنى هذا ان استمرار الوحدة مرهون ببقاء عبدالناصر ، ظروف غريبة ومنطق أغرب ولكن فقد ثبت عدم صدق هذا القول فقد انفصمت الوحدة مع وسوريا وعبدالناصر مازال موجوداً ، كل هذه الاشاعات لم تمنع من انهاء اجراءات الوحدة بين مصر وسوريا فقد تم الاتفاق عليها واجرى استفتاء عليها بين الشعبين وأقرها الشعبان واصبحت حقيقة واقعة دخلت الثورة المصرية بمقتضاها أفاقا جديدة فقد كانت الوحدة بين مصر وسوريا بالنسبة إليها نواه للوحدة العربية الشاملة ولكن الأمل لم يتحقق وانما ظلت تجربة الوحدة المصرية السورية نموذجا لنوع من الوحدة السياسية يرجع اليها للاستفادة منها كلما جاء التفكير فى المستقبل فى وحدة تضم دولا أخرى ، وليس من شك أن الوحدة بين مصر وسوريا زادت من الدفع الثورى بين أبناء الأمة العربية من المحيط الى الخليج وانما كان دفعا لم يكتمل وانما اجهز عليه قبل ان يرى النور .

وبالوحدة مع سوريا دخلت مصر مرحلة سياسية جديدة لها ذكريات مثيرة قد نعود إلى تسجيلها باذن الله .

جريدة

البلاغ

سياسية .

جامعة .

مستقلة

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

عبد المجيد الشوادفى



مؤلف الكتاب

- تخرج فى كلية الأداب عام ١٩٥١ وحصل على الماجستير فى التحرير والترجمة والصحافة عام ١٩٥٥ .

- تدرج فى المناصب الإذاعية والإعلامية والصحفية إلى أن تولى منصب وكيل أول وزارة الإعلام .

- حصل على وسام الإستحقاق من الطبقة الأولى وعلى درع الإعلام.

- فاز بجائزة التأليف القومى عن كتابه "فى المعركة الفاصلة مع العدوان الثلاثى" .

- عاصر الإحداث عن قرب بحكم المناصب التى تولاها وأسهم فى مؤتمرات القمة العربية والقمة الإفريقية ودول عدم الإنحياز والمؤتمرات الإعلامية المتخصصة وحصل على العديد من الأوسمة والنياشين وشهادات تقدير من رؤساء وملوكه الدول التى زارها .

- تفاعل مع الأحداث وانفعل بها وانصهر كل ذلك فى بوتقة فكره حتى أصبح واحداً من المراقبين والمعلقين السياسيين المشهود لهم بالتعمق فى مشاكل الشرق الأوسط وقضايا العالم .

- عضو نقابة الصحفيين العالميين ونقابة الصحفيين المصريين وعضوا المجالس القومية المتخصصة واتحاد الصحفيين الأفريقين وله مؤلفات عديدة فى قضايا السياسة والإعلام والإجتماع .